

رسائل ابديكر الخوارزمي

تقديم

الشيخ نسيب وهيب الخجّازن

منشورات دار مكتبة الحياة
بيروت - لبنان

رسائل أبي بكر الخوارزمي

لقطب دهره في الأدب، وعنوان عصره
في الفصاحة والبلاغة، قلوة الادباء
ومحط رجاء العلماء أبو بكر الخوارزمي.

شبكة كتب الشيعة



شعرات دار مكتبة الحياة - بيروت

shiabooks.net

رابطہ بدیل < mktba.net

حقوق الطبع محفوظة
١٩٧٠

مقدمة

بقلم : الشيخ نسيب وهيبه الخازن

دفعت إليّ دار مكتبة الحياة أربع ملازم نموذجية من رسائل الخوارزمي والحت بسرعة التقديم للكتاب ، وكانت المطبعة تدور وقد تركت صفحات ثلاث بيضاء للمقدمة .

وتصفحت الملازم الأربع وأنا أنتظر أن أجد نثراً فنياً منمقاً مزخرفاً كثرت فيه الاستعانة بالبديع والسجع : صناعة محضة لا تلتفت إلى المعنى التمتاتها إلى المبني ، شأن الأساليب المميزه لما نسميه العصر العباسي الثالث .

وما لبثت أن وجدت بلاغة وسلامة ذوق ، وغزارة علم : صفات تذكر القارئ بالأستاذين ابن العميد والقاضي الفاضل .

كان ما يلفت نظري إلى الخوارزمي كونه ابن أخت الطبري صاحب التاريخ . وقد جاء ذكره في وفيات الأعيان وفي يتيمة الدهر وتاريخ آداب اللغة العربية لخرجي زيدان . وكنت أعرف أنه أقام بالشام مدة وسكن نواحي حلب ، وقصد الصاحب بن عباد وهو في أرجان ، وجالسه ، واشتهر بكثرة حفظه

وهو الذي لما سئل عما إذا كان يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب أجاب : « أمن شعر الرجال أم من شعر النساء ؟ » .

على ذلك تصفحت الأربع والستين صفحة الأولى ونقلت ما رأيته نموذجياً في تراسل الخوارزمي ومن ذلك كتابه إلى يزيد صاحب سمرقند :

« ذنوب الزمان التي إذا ذكرتها كانت غيبة سيدي أولاهها . وانقطاع أخباره غني وسطاها . . فيا سبحان الله في أي طالع ولدت . وعلى أي بخت رزقت . فحيثما أوصل أرى صدا . وأينما أتوجه لا أرى سعداً . قال ابن المعتز « الحمد لله حتى أنت تجفوني » . وأنا أقول : قولي لمولاي في الدنيا وفي الدين « الحمد لله حتى أنت تجفوني » إنما أعاتب سيدي لاتوصل بذلك إلى حلاوة أعتابه » .

كتب إلى الوزير ابن عباد لما ورد باب جرجان لقتال الأمير قابوس بن وشمكير :
و « الوزير بصدد حرب . والمحارب يحتاج إلى طبقات الناس فيجعل الحاضر منهم عدة وعتاداً والعامة حشوا وسوادا . . وإذا ورد علي به اذن ، طفرت إلى عسكريه طفرة تطوي المراحل وتأكل المناهل » .

وكتب معزياً عن ابنة لكثير بن أحمد :

« إن الفجيعة إذا لم تحارب بجيش البكاء ، ولم تقابل بالاذاعة واشتكاء ، تضاعفت داؤها وزادت أعباؤها » .

« لعل انحدار الدم يعقب راحة من الجلد أو يشفي نجي البلايل »

« ولأن تكون الواقعة في الصغير خير من أن تكون في الكبير »

« وأنا أسأل الله تعالى أن يجعل المتوفاة لوالديها قرصاً وأجراً ، وكنزاً من كنوز الجنة وزخراً . وأن يجمع بينها وبين البتول السيدة فاطمة بنت الرسول ، وبين خديجة الأسدية وآسية الاسرائيلية ، بنات الأكرمين ، وأزواج المرسلين وأن يحشرها شفيعاً تقبل شفاعته وتقضي في والديه وأهل بيته حاجته . . وأن يعوض عنها الشيخ أنحاً لها سوي الخلق والخلق ، شريف الفعل والعرق ، يستوفي الشيخ في يومه أجر الصابرين ، وفي غده جزاء الشاكرين . وليكون قد قضى الله تعالى حق الربوبية من طرف العبودية . وأن تكون هذه الحادثة خاتمة حوادث الزمان . . حتى يشتغل بالتهاني عن التعازي وبالمدائح عن المراثي . والسلام »

وكتب إلى محمد العلوي جواباً عن كتابه :

« الكتابة . . . صناعة ، مجانستي لها مجانسة النور للظلام . ومناسبتي لها ، مناسبة الأوز للنعام . لم أقرع بابها ولم أعلق بأسبابها ، ولم أعاشر أربابها وأصحابها ولا ادعيتها بقلممي ولا بلساني . ولا أدعاها لي أصدقائي واخواني . .
« وسألني السيد أن أسأله بعض هدايا تلك الناحية . لا والله لا أعرف نفيسة ولا طرفة خطيرة تعدل عندي وجه . فليهدده إلي . وليخلع نظره إليه علي . وليعلم أنه إذا فعل ذلك فقد زف إليّ الدنيا في معرض الجمال ، وأهدى إلي السعود بين طبق ومكبة من الاقبال . . »

لا يكتب إلي السيد بخط غيره لأنني إذا قرأت كلامه من آثار بنانه فقد جنيت الورد من أغصانه . .

وكتب إلى صاحب انديوان :

« أرجع إليه وعن يميني الرجاء يتربني منه . وعن يساري الحياء يطردني عنه أحب أن أزف أبكار المعاني وأن أغرب في الثناء لمن يغرب في الثناء . . »

هذا قليل مما كان بودنا أن نكتب عن الخوارزمي . ولكننا أردنا بهذه الكلمة أن نفتح باب الاطلاع على هذه الرسائل التي طبعت قبل مئة سنة ثم أهملت إلى أن تناولتها دار مكتبة الحياة بالنشر ، وهي الدار التي دأبت على جمع تراثنا وبعث ما أهمانا منه ونسيناه ! .

نسيب وهيبه الخازن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين * وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
اجمعين * هذه رسائل الأستاذ أبي بكر الخوارزمي رحمه الله تعالى .

* * *

«كتب بها الى الحاجب أبي اسحاق لما نكبه
الوزير ابن عباد رحمه الله» :

وفعلك الله في مراجعة الحق لما تستحق به انتهاء محنتك * والهمك في استيفاء
شرائط التوبة ما يطرق لك النهوض من صرعتك * ولا خلصك الله مما أنت
فيه من جناية غيرك عليك * حتى يخلصك مما كنت فيه من اساءة نفسك اليك *
فان نفسك اعظم خصميك * وان كانت اصغرهما لديك * وقد مثلت ايدك الله
بين ان احرش لك كلامي * وافوق نحوك سهامي * واقضي بذلك حق
عظمتك * واخرج من عهدة ما يلزمني في هدايتك * وبين ان الين مس قولي لك *
فتبقى في نفسي حاجة من نصيحتك * فرأيت الاول علي اوجب * وإلى الصواب
اقرب * هذا وانا اقول :

اخوك الذي ان اجرضتك ملمة من الدهر لم يبرح لها الدهر واجما

(ولا أقول) :

وليس اخوك بالذي ان تشعبت عليك امور ظل يباحك لائماً

أصاب المرقش ايدك الله في بيت الواجم * ولم يصب في بيت اللائم * وكيف
يهادي الطريق لرشده في غده * دون ان يلام عل غيه في امسه * وكيف يتوصل
إلى تحسين الصواب الآنف * الا بتقبيح الخطأ السالف * وكيف لا يلام
المسيء والنهي عما بعد يقتضي اللوم على قبل * وكما لا بد في الكلام من
الاثبات والنفي * كذلك لا بد في العظة والنصيحة من الامر والنهي * فاللوم
إذاً على هذه القضية اجدر * إذ كانت النصيحة التي عليها قامت * وبها
استقامت * وهل يلام المرء إلا اخوانه الاقارب * وهل يرخى له عنان العذل
ويتجاوز معه في اللوم إلا معارفة الاجانب * وإذا فرغت للحق زاوية من قلبك *
وحكمت على هواك لعقلك * علمت ان ما تكره فيما تحب * خير لك مما تحب
فيما تكره * وان دواء تستبشعه وفيه شفاؤك * خير من غذاء تستلذه وفيه دأؤك *
ولئن كان ظاهر كلامي يلدغك * فان باطنه لينفعك * وانت ايدك الله تعلم
انك كنت من الذل في مكان يتخطاك فيه الناظر * ويدوسك الخف والحافر *
لا يشرفك نسب * ولا يرفعك ادب * ولا يرجوك صديقك * ولا يخافك
عدوك * عن يمينك الحمل * وعن يسارك الذبول * وبينهما الفقر الذي
لو قسم على الاغنياء * لصاروا فقراء * والضعف الذي لو فرق على الاقوياء
لعادوا ضعفاء * تصبح في قل * وتمس في ذل * وتروح إلى انثى وتغدو
إلى طفل * فانصلك الدهر الظالم * وانتبه لك البخت النائم * واراد الله تعالى
ان يرفع من حكمتك * ويقوم من قنور حديثك * فينظر كيف تعملون * والله
يعلم ما تبدون وما تكتمون * فاتصلت من ولي نعمتك برجل لو اتصل به الاديار
لتقدم الاقبال * ولو خدeme النقص لفضل الكمال * ولو تعرف اليه الحمد

لنطق بجده * ولو استجار به امس الدابر لرجع بسعده * فما هو الا ان زبنت
اليه * وحسبت في آثار يديه * حتى قاتلت الايام بسلاحه * وطرت إلى المنى
والمطالب بجناحه * وحتى طمحت إلى امور كنت عنها مطروفاً * وخطوت
إلى اشياء كنت عنها قطوفاً *

ومثل الذي نلته حافيا يؤثر في قدم الناعل

وحتى زارك قوم لو زرتهم فيما قبل لطلال وقوفك بين الدار والباب *
وكثر ترددك بين الآذن والحجاب * وخدمك اناس ما منهم احد الا وقد
لاحظته بعين هائب * ونقلت اليه قدم راغب او راهب * هذا إلى استسلامه
لك من الردى * بيد الهدى * واخرجه اياك من ظلمة العمى والتقايد * إلى
نور العدل والتوحيد * فازمك ولاؤه مرتين * واحاطت برقتك نعمته من
جهنين * لانه انقذك من النار * كما انقذك من العار * واعتق رقبتك من اسار
الضلال * كما اعتقها من ذل السؤال * فكانت نعمته عليك مضاعفة * وصنيعه
اليك مداخلة * وكل ذلك بعين احسان الله تعالى يمد نفيس احسانه اليك لتؤدي
زكاة الاحسان * وترتهن الصنيعة باليد واللسان * ويريك يقظان ما لم تحنلم به
وسنان * ويزف اليك من ابيكار الصنيع ما لم تحطبه بهمتك * ولم تستوجه
بقيمتك * إلى أن اصلح عليك الدهر الطالح * وملكك عنان البخت الجامح *
وانت سكران من خمر اليسار والفنى * غريق في لجج المطالب والمنى * لو
طلبت النجم لرقيت اليه بسلم معك * او طرت نحوه بجناح لك * والاقبال
يستر عيوبك * والامهال يغفر ذنوبك * ولا سترأ اكثف من اقبال * ولا
شفيع انجح من اهمال * والدولة تجعل البعيد قريباً * والجد يرى المخطيء
مصيباً * والمجاود يمس بيديه * ما لا يراه المجاود بعينه * ويتناول قاعداً *
ما لا يتأوله غيره قائماً * ولا رسول اسرع من دهر * ولا مستنحث اوحى من

يسر بلا عسر * فلما جازيت النعمة بالكفران * ونسيت هل جزاء الاحسان
إلا الاحسان * نظرت الايام اليك شزراً * واباءتلك باليسر عسراً * فاصبحت
تلك البوارق * وهي صواعق * واستحالت تلك المواهب وهي مصائب *
وتفاضاك دهرك ما اسلف * واستأنف بك خلاف ما سلف * والدهر غريم
لا يماطل إذا اقتضى * وحاكم لا يراجع إذا قضى * ومعير إذا لم تحفظ عاريته
ارتجع * ومعط إذا لم تشكر عطيته منع * ومؤدب إذا لم يتعلم منه عاقب *
وإذا تعلم منه ادب وهذب * على أني ما رأيت معلماً أحسن تعليماً من الزمان *
ولا معلماً اسوأ معلماً من الانسان * فها انت قد ذمك حامدك * ورحمك
حاسدك * واحتقبت اوزار الندامة * ورضيت من الغنيمة بالسلامة * وكانت
الايام تعدنا بك * فواعدتنا فيك * وخلف ليل الشاك نهار * ووراء سكر
النعمة خمار * فانت الآن عليل دواؤه التوبة * وجريح شفاؤه الرجعة والفيئة *
فان قبلت توبتك فقد انقطعت مدة الداء * وظهرت بركة الدواء * وان تكن
الآخرى فربما اخلف الدواء شاربهِ * وخان الرجاء صاحبه * فيا طبيب نفسه
ارفق بها * ويا مداوي جراحته انطف لها * واعلم انه قد كان شكر الرخاء *
اهون من مصابرة البلاء * وكان حفظ الصحة * ايسر من معالجة العلة *
ولو وجدتك العافية من اكفائها لما طلقتك * ولو رأيتك النعمة من رفقائها لما
فارتكتك * واقل ما كان يجب لصاحبك عليك ان لا تستعين بنعمته * على
كفران نعمته * ولا تكتب حسنته في جريدة سيئة * ولا تسل عليه من لسانك
سيفاً يده صقلته * ولا تشرع اليه من كلامك ريحاً كفه قومه .

لقد جازيت بالاحسان سوءاً إذا وصيغت عرضك بالسواد

ورحت تسوق عبر الكفر حتى انخت الشرك في دار الجهاد

فيا أيها الرجل * وكانكم ذلك الرجل * كم تهتكون حجب العوارف بيد الكفران *

وكم تصافحون النعم بالبغي والعدوان * وكم تفضون ختام العافية بالغدر * وكم تسرون الخيرات بقلة الشكر * وكم لا تبرزون الصنائع في معرض من حسن الذكر * ولا تقللونها حلية من طيب النشر * وكم تتبعون الوفاء بالملق * وتنادون على الامانة كما ينادي على الثوب الخلق * وكم تقبحون في النعم * وتحسبون في النقم * وكم تجهلون ما عرفه الحطيثة مع خبث مذهبه * ولؤم مركبه * حيث يقول :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

اعلم ان كفران النعمة لو احله الشرع * لحرمه الطبع * ولو جاز من طريق الملة والديانة * لحظر من طريق المروءة والصيانة * فان للمحسن من الله عيماً كائلة لا تنام * وان وراءه من واقية الاحسان ركناً منيعاً لا يرام * ومن تقلد نعمة الله من انسان فقد ضمن له عهده * وصار في حكم الاحسان عبده * وإذا خدم غيره وهو حي فقد خان الاول في نعمته * وغش الثاني بخدمته * وهل يبرأ العليل بين طبيبين * وهل يسع الغمد سيفين * وهل ينطق لسان واحد بشكرين * أو يتسع قلب واحد لمحبة اثنين * ولهذا الشان طلقت الناس ثلاثاً * وفارقت المدح بتاتاً * لما وردت من الوزير على من خدمة غيره تعد كبيرة ليس لها غفران * وسيئة لا يمحوها احسان * فلما رأيته علمت ان الايام قد خبأت لي ذخراً * واعدته لي عذراً * واراد الله تعالى ان اعاشر الناس حرّاً ونذلاً * واجوب البلاد حزناً وسهلاً * حتى إذا جبت الآفاق * وقلبت الاخلاق * وصارت الارض في عيني داراً * هجم بي السعد على حسنة الايام * وغريبة الانام * ونصيفة الدهر الظلوم * ومكرمة العالم اللثيم * فاذا هو ضالة رجائي الحائم * وبغية قلبي الهائم * فختمت به جريدة المدح والثناء * واغلقت باسمه باب الاستمache والرجاء * وفتحت له مغاليق فكري * ودفعت اليه

مقاليد نظمي ونثري * واقطعته لسانی غیر منقطع * ووهبت له قلبي غير
مرتجع * ونظرت إلى أبي الطيب وإلى تناقض حكمته * وتفاوت طرقي فعلته *
حيث قال في سيف الدولة :

لا تطلبن كريماً بعد رؤيته ان الكرام باسماهم يداً ختموا

« وقال في كافور الاخشيدي » :

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا

فلقد باع من الوفاء علقاً خطيراً * واعتاض من الطمع ثمناً يسيراً * وحال
ضباب الحرص والرجاء * بينه وبين العهد والوفاء * وكان يضايق نفسه في
اختبار المتاع * ويساعدها في اختيار المتاع * ويخلع خلعة من نظمه تساوي بدره *
على عرض من لا يساوي بعره * ويزف كريمة من كرائم شعره * إلى من لم تقم
عنده كريمة * ولم تعرف له قيمة * لو رأى الطمع في جحر فارة لدخله *
ولو اتاه الدرهم من است كلب لما غسله * فلا جرم ان الناس كما استحسنا
قوله * استقبحوا فعله * وكما اعجبوا بشعره * تعجبوا من غدره * يشكر ثم
يشكو * ويمدح ثم يهجو * ويشهد ثم يجرح شهادته * ويعطي ثم يسترجع
عطيته * فكمن من حر فضله ثم ثابه * وكمن من عرض كساه ثم سلبه * وكمن
من صفقة أكل منها ثم بصق فيها * ولكن في قميص أبي بكر رجلا إذا أعطى
لم يرتجع * وإذا طلق لم يراجع * وإذا بني لم يعد على بنائه بالهدم * وإذا مدح
لم يطأ على عقب مديحه بالذم * وإذا طيب فكيه بالمدح للكریم * لم يلطخهما
بمدح للثيم * وإذا زوج كرائمه كفؤا حجبهن ان يتبرجن الا لديه * ويجتليهن
غير عينيه * وانما الغدر من اخلاق النساء فمن تعلق بطرف منه فقد رغب بنفسه
عن كمال الذكران * وجذبها إلى شق النسوان * وهو إذا منحت من حيث
الخلق * وقد يصلح الانسان خلقه * ولا يمكنه ان يغير خلقه * فالغدر إذا على

هذه القضية هو التخييث الاكبر * والتأنيث الاعم الاكثر * والوفاء حمية
القباب * كما ان التوقي من الطعام والشراب حمية الجسم * وثبات الحمية *
من قوة الحمية * وحفظ العهد من شرائط الرجولية * وانني لأعجب ممن
يعادي المقبل والله معه * والايام مدد له * وداعية الجدد خلفه وقدامه * وقد
رأيت ما صار اليه مصارع اعداء هذه الدولة * وختمت به احوال حساد هذه
النعمة * فقد غمزوا قناتها وقرعوا صفاتها * فانخرموا واصطلموا * فتلك
بيوتهم خاوية بما ظلموا * طافت الايام على الوزير بمناياهم * فابقاه الله تعالى
وافناهم * ولم يزل نقصهم يحارب كماله * وادبارهم يزاحف اقباله * حتى
اجلت معركة العواقب عنه راضياً وعنهم سائحطين * واقتشعت غيرة الايام
والليالي عنه قائماً وعنهم مصروعين :

فلو لم تبق لم تعش البقايا وفي الماضي لمن يبقى اعتبار

عافاك الله امش مع الدهر كما يمشي * واجر مع الفلك كما يجري * وارفق
بمن رفقت الايام به * واراع لمن رعت السعادة له * ولا تراحم الفلك النوار *
ولا تناطح الاقسام والاقدار * ولا تصغر الكبار * ولا تتحكم على الدهر فان
الدهر حاكم لا يحكم عليه * ومسلط لا يؤخذ ما في يديه * وانزل حيث انزلك
الاستحقاق * ونخذ ما سمحت به لك الارزاق * ولا يجلس على طريق السيل
الراعب * ولا تطعن في بحر القضاء الغالب * ولا تحارب جيش السعد * ولا
تطاعن حد الجدد * ولا تستسلف اجلك * ولا تتناول ما لم يوضع لك * واحذر
قوس الخذلان * فانها نافذة الرمية * صريعة الرمية * قد والله اوجعت بهذا
العتاب قلبك * وجاوزت بالعقاب ذنبك * ولكني عاتبتك لك * وحاربتك عنك
رجاء ان يستخشن مس هذا الكلام لك * ويستحسن تألم وقع هذه الاسهام بك *
ولولا ذلك * لم اذقك مرارته * ولم اعرض لطيف ما بيني وبينك له * وما

اغتم لك من الحبس وروعته * ولا من الهوان ولذعته * كما اغتم من نظر ولي
 نعمتك اليك * ووقوع بصره عليك * وقد فعدت تحت اعباء بره * وقابلت
 احسانه بكفره * وزرعت منك النعمة في بقعة لم تزد ريعاً * ولم تجلب نفعا *
 فأنا أبكي لك من يوم اطلاقك لا من يوم حبسك * واتفكر في ساعة سعدك *
 لا في ساعة نحسك * فقد شغلني الحجل * عن الوجل * ونسيت لقبح الموقف
 الثاني هول الموقف الاول * فلا غضاضة عليك * من امتداد يد الدهر اليك *
 فان اير المؤمنين وفعله * لكالدهر لا عار بما صنع الدهر .

* * *

«وكتب الى كثير بن احمد لما هرب

من الامير ابي الحسن» :

كتابي إلى الشيخ وانا في خمار شربتي من يد الدهر * فقد كانت بشعة الحمر *
 طويلة السكر * قليلة النفع كثيرة الضر * والحمد لله تعالى على حفظه على
 الدين وان ذهبت الدنيا * وعلى ان صودرت على المال لا على العرض وانتقوى *
 وصلى الله على محمد خير النورى * خرجت ايها الشيخ من نيسابور وانا زائلة
 شكر وثنا * وحمال مدح ودعا * وقتيل خجل وحيا * إذا تفكرت في كثرة
 اعدائي وقلة شفعائي * وفي ضعف اعواني وقوة خصمائي * ثم نظرت إلى وقد
 خرجت من تلك الغمة * وشققت رداء تلك الظلمة * موفر الحال والمال *
 صحيح العرض والجمال * لم تنشب في اظافر الفقر * ولم ينفذ في حكم الدهر *
 علمت ان الشيخ قصر عني يد المحنة وهي طويلة * وصرف عني ولاية النحوس
 وهي بسيطة * ولو بلغه غاية راده امكانه * وساعده على نيته في زمانه *

لحجب صروف الدهر عن فتائي * ولقाम بين الحوادث وبين لقائي * عرف
الله تعالى له نيته * وبلغه في الدنيا والآخرة أمنيته * ولا زالت نعم الله تعالى عليه
ضافيه * وإيامه من الغير صافيه * ولا زال كما لم يزل عليه رقيب من عدله *
ومعه وزير من عقله * وله مادح من فضله * وطوله * ووراءه واق من قوله
وفعله * فلعمرى لئن كنت أشكر لمن وهب لي مالا أني لمن وهب لي روجي
أشكر * ولئن توفر على أفضال من أغناني فإن أفضال من استبقاني ولو شاء أفناني
أوفر * فقد جاد على الملوك بالصلوات * جاد - على ذلك الأمير بالحياة * فهناه
الله بهذا الشكر الغريب * وهذا الثناء العجيب * وذلك أني أشكر الماوك على
أنهم أغنوني * وأشكره على أنه لم يفقرني * وأمدحهم لأنهم أحيوني * وأمدحه
على أنه لم يقتلني * واعتد لغيره * أن بذل لي كل خير * واعتد له بأن كف
عني بعض شره * والشكر على قدر الاحسان * والساع بازاء الأثمان * والسلام .

* * *

« وكتب الى محمد العلوي من الري

في هذه المحنة » :

أطال الله بقاء سيدنا من بعض مطارح الغربة * ومساقط النكبة * فانا فل من
فلول هذا الزمان * لا بل فل من فلول هذا السلطان * والحمد لله على سلامة
الروح والمهجة * وان كانت سلامة ضعيف المنة * رقيقة الكسوة * ثقيلة
الحركة * قليلة البركة * ليس بينها وبين الهلاك الا اقرب من خطوة *
واسرع من لحظة * ذكر الشوق فما بينه وبين السيد رجيع من القول * وكلفة
من كلف النقل والفصل * على أني والله مشتاق اليه * شوقه إلى ابتناء العلا *

ومشته للقاءه شهوته لبذل الندى * أذكره وان كنت لا أنساه * والقاء بقلبي
وان كنت لا ألقاه * وأسأل لله تعالى ان يرينا سلامة سليمة * واستقامة احوال
مستقيمة * فلا شيء احوج من السلامة الى السلامة * ولا إلى الاستقامة من
الاستقامة * وان يجعل اقسام صنعه لديه * واحسانه اليه * متناصرة مترادفة *
ومتلازمة متوالدة * قد رأى السيد ما كان من العلانية حين فوقت نحوي
سهامها * ونشرت طربي اعلامها * وتسلمت علي بالسعاية وهي سلاحها الذي به
تقاتل * ويدها التي بها تظاول * والسعاية سلاح من لا سلاح له * والنميمة كيد
من لا كيد عنده * وشر من الساعي من انصت له * وشر من متاع السوء من
قبله * فلما رأيت بني وبين الموت حجاباً رقيقاً * وحجراً دقيقاً * ورأيت
نفسي وقد اكتنفها اربعة اشياء ما منها شيء الا وهو يقرب عليها مسافة
الممات * ويقطع عنها علائق الحياة * خصم فاجر * وسلطان جائر * وبخت
عائر * وزمان غادر * آثرت الغربة على وطن معه اذى * واخترت الظمأ
على شراب فيه قذى * وفارقت دار الهوان والحمية تتبعني * وعزة النفس
تشيعني * ولي من الصيانة رفيق وزميل * ومعني من العزم هاد ودليل * وليست
تبعد على العزم مسافة * ولا تصعب مع الارادة شقة ولا مشقة * وما علمت
أني اعيش حتى اصادر على اللسان * واسلف الشكر قبل الاحسان * وقد كنت
رأيت حاكماً يحجر على يتيم او معتوه في وفرة * ولم أر اميراً يحجر على كاتب
في كتابته او على شاعر في شعره * — وانما الشكر ايد الله السيد فرس
جامح * ان منع عن سننه قطع ارسانه * واستلب عنانه * فشقي به سائسه *
وهلك معه فارسه * والشعر ينقلب مع الجود حيث كان * ويرتاد المعروف
والاحسان * وانما هو ماء سارب * بل سيل زاعب * إذا سد عليه طريقه خرق
في الارض خرقاً * وجعل لنفسه طريقاً بل طرقاً * وما اشبه من اكره الالسن

على مدحته * الا بمن اكره القلوب على محبته * يحب المديح ابو خالد ويضجر
من صلة المادح * كبكر تحب لذيد النكاح وتفرق من صولة الناكح *

* * *

« وكتب الى تلميذ له فوض اليه اشغاله » :

كتابي ولو استقبلت من امري ما استدبرت * وقدمت من رأبي ما اخرت *
لما امضى الفراق فينا حكمه * ولا أنفذ فينا سهمه * ولا قمنا جميعاً * او رحلنا
معاً * واني لازللم الفراق إذ شكوته * واتعنف الدهر اذ هجوته * ويبيدي
ضرباني * ومن سهمي رمياني * فأنا كالقاطع يده بيده * والفاجع نفسه بنفسه *
ومطرق الفراق إلى قلب اظوى المنازل عن حبيبي دائماً * واطل ابكيه بدمع
ساجم هلا اقامت ولو على جمر الغضا * قلبت اوحذ الحسام الصارم * ما
تذكرت تلك الايام التي سلبنيها الدهر بل سرقنيها * وغبني بل داس على فيها *
وكانت أدق من حاشية البرد * واحسن من طلوع السعد * واحلى من انجاز
الوعد * واعذب من القند * بل من النقد * واعبق من الورد * وما اردت
إلا ورد الخلد * بل من المسك والند * واطيب من القرب بعد البعد * ومن
الوصل في اثر الصد * بل كانت ارق من نسيم الزهر في السحر * ومن قضاء
الوطر على الخطر * بل كانت اقصر من ليل السكرى * او نهار الحيارى *
إلا أكلت الوجع * وشربت الجزع * وانشيت على كبدي خشية ان تتقطع *
ولو انني أعطيت من دهري المنى * وما كل من اعطى المنى بمسدد * لقلت
لايام مضين الا ارجعي * وقلت لايام اتين إلا ابعدي * البستان قد وعدتني
يا سيدي اقامة وظيفته بالشجر * وبالنور والزهر * وانت يا سيدي بالانجاز

قمين * ووافؤك به ضمين * وذلك المكان مرتع ناظري * ومتنفس خاطري *
 ومجال بصري * ومراد فكري * ونقلي إذا شربت * ومحدثي إذا خلوت *
 وتسليتي إذا اغتممت * وشمامتي إذا شممت * وما ظنك بمكان ليست فيه
 زاوية الا وقد صب على فيها طاس * بل كاس * وشرب عليها انسان بل
 اناس * وقام في حافتها وجه صبيح * وتقلب في اطرافها قد مليح * وكأني
 بك وقد عرضت هذا الفصل على الناس فظنوا أني اصف بستان الزاهر * او
 دار ابن طاهر * او اذكر الجفري * او البركة المتوكلية * أو أعني صعد
 خراسان * او شعب بوان * او انعت نهر الابل * او متنزه الغوطة * او شعب
 انطاكية * ولا يعلمون أني انما أذكر بقية طولها باع * وعرضها ذراع * اعني
 باع البقة * وذراع الذرة * واقل من لا * واصغر من الجزء الذي لا يتجزأ *
 لو طارت عليه ذبابة لغطته * او دخلته نملة لسدته * تسقي بالمسقط صباحاً *
 وتكنس بالظلال مساءً * اشجاره مائة الا تسعة وتسعين * وانهاره خمسون
 الا تسعة واربعين * واني شاعر إذا احس من لسانه بسطه * ووجد في خاطره
 فضله واصاب من القول جريئاً * ورجد ميداناً * وقال ما وجد بياناً * وما
 ظنك بقوم الاقتصاد محمود الا منهم * والكذب مذموم الا فيهم * إذا ذموا
 ثلبوا واذا مدحوا سلبوا * وإذا رضوا رفعوا الوضيع * وإذا غضبوا وضعوا
 الرفيع * وإذا اقرؤا على انفسهم بالكبائر لم يلزمهم حد * ولم يمتد اليهم بالعقوبة
 يد * غنيهم لا يصادر * وفقيرهم لا يحتقر * وشيخهم يوقر * وحديثهم لا
 يستصغر * وسهامهم تنفذ في الاغراض * إذا نبت السهام عن الاغراض *
 وتصل إلى البعيد كما تصل إلى القريب * وشهادتهم مقبولة وان لم ينطق بها
 سجل * ولم يشهد بها عدل * وسرقتهم مغفورة وان تجاوزت ربع دينار * ولو
 بلغت الف قنطار * ان باعوا المغشوش لم يرد عليهم * وان صارموا الصديق

لم يستوحش منهم * بل ما ظنك بقوم هم صيارفة اخلاق الرجال * وسماسرة
 النقص والكمال * بل ما ظنك بقوم هم امراء الكلام يقصرون طويله ويخففون
 ثقيله * ويقصرون ممدوده ولم لا أقول ما ظنك بقوم يتبعهم الغاؤون * وفي
 كل واد يهيمنون * ويقولون ما لا يفعلون *

* * *

« وكتب الى تلميذ له قطع في مجلس وكابر واختلط » :

بلغني أنك ناظرت * فلما توجهت عليك الحجة كابررت * ولما وضع نير
 الحق على عنقك ضجرت وتضاجرت * وقد كنت احسب انك اعرف بالحق
 من ان تعقه * واهيب لحجاب الانصاف والعدل من ان تشقه * كأنك لم تعلم
 ان لسان الضجر ناطق بالعجز * وان وجه الظلم مبرقع بالقبح * وانك إذا
 استدركت على نقد الصيارفة * وتتبع خطأ الحكماء والفلاسفة * فقد طرقت
 إلى عيبك لعائبك * ونصرت عدوك على صاحبك * وقد عجبت من حسن ظنك
 بك * وانت انسان والله المستعان *

* * *

« وكتب الى ابي عمر المكندري وزير صاحب جرجان » :

وعد الشيخ يكتب على الجلمد * إذا كتب وعد غيره على الحمد * ولكن

صاحب الحاجة سيء النظر بالأيام * مريض الثقة بالانام * لكثرة من يلقاه من
 اللثام * وقلة من يسمع من الكرام * وفلان نعص عندي غرائر شكره * واستعان
 بي على تحمل ما أثقله من اعباء بره * فاعلمته اني اثقل منه بنعمة الشيخ ظهراً *
 واضيق منه بما لزمي اداؤه صدرأ *

« وأنشدته شعراً »

اعنين هلا إذ كلفت بها كنت استعنت بضارع العقل
 اقبلت ترجو العون من قبلي والمستعان به لفي شغل

ثم اني تذمت في ان ارد اخواني * في ماعون طلبوه من لساني * فاصحبه هذه
 الاحرف * والشيخ يلمظه بالزيادة حلاوة الشكر * ويعرفه فعلا لا قولاً حميد
 عاقبته وما افاض فيه من جميل النشر * فمثله عرف الشاكرين الصنعة * ونفق
 بينهم هذه السلعة *

* * *

« وكتب الى صاحب ديوان الحضرة وقد

طوب ابو بكر بحضور الديوان فانفعل » :

هذا اطال الله تعالى بقاء الشيخ الرئيس حال نيسابور واهلها * بلى حالي وحال
 الاحرار فيها * واصبح اتوام يقولون ما اشتهاوا وغاب ابو عمرو وغابت
 رواحله * وقد كنت آوي من الشيخ ايام مقامه بهذه الجنبه إلى كنف رحيب
 وجناب خصيب * وباع واسع * ونائل شائع * ووجه إذا نظرت اليه *
 قرأت نسخة الكرم في وجنتيه * تلمع آثار الكرم بنور اساريه * وتعرف
 بشرى النجاح في تباشيره * وفهم يبشرني بآبته سامه * قبل ان يبشرني بكلامه *

بويحيي بالنجح بشارته * قبل ان يترجم بعبارته * وإذا رأيته رأيت بخي قد
 أقبل إلي في معرض الكمال * وطالعت سعدي وقد طلع علي بنيل الآمال *
 عن يميني الجمال * وعن يساري الكمال * فاغدو إلى بابه يقدمني الامل
 والرجا * واروح عنه فيشيعني الشكر والدعاء * واحمل حوائجي منه على
 جبل الجود الذي لا تحركه المطالب * ولا تثقل عليه الرغبات والرغائب *
 بل على بحره الذي لا ينزفه الاستقاء * ولا تكدره الدلاء * ولا يرى قعره *
 ولا يدرك غوره * وانما يصبر على حوائج الناس * ويلتذ باستماع صوت رجاء
 الاضراس * من ولد في طالع السخاء * وغذي في حجور الكرماء * وقرع
 سمعه منذ صباه باصوات الادباء والشعراء * ومرن على البذل والعطاء والثقل
 ليس مضاعفاً لمطية * إلا إذا ما كان وهماً بازلاً * حتى إذا كادت غصون
 آمالي تزف بعدما يبست * ووجوه مطالبي تضحك بعدما عبست * رمني الأيام
 بفراق الشيخ فاخدج رجائي الحامل * وجف ضرع املي الخافل * وسكت
 لساني القائل * وفترت فتور التاجر بار متاعه * وعاب مبتاعه * وخجلت نخجل
 أبي البنت زهد فيه اختانه * وضحك منه جيرانه * وردت عليه بكرة * وسبق
 اليه مهره * وقلت لو اراد الله بالادب خيراً لما غاب من كان يجمع شمله *
 ويكرم أهله * ويعرف فضلهم وفضله * ولو انصفت الادب بعد الشيخ لريثته
 مريثة الاموات * ولأقمت عليه ماتم الممات * ومحوت اسمه من جريدة
 الحياة * هذا وقد ورد علي عمل الخراج من لا اطره بجرمه * ولا أتناوله
 بطرف ذريعه او وسيلة وكأني به وقد حسدني في جملة العامة * وادخلني في
 غمار سائر الرعية * ووقفني على جسر قدامه الحسران * وخلفه الهوان *
 وفجعني بدرهمات جمعت بتقحم المهالك * واختراق المسالك والممالك *
 ودنانير قطعت القفار * وخاضت البحار * وناطحت الحوادث والاقدار *

فإن بذلتها ابرزت وفرأ طال ما كان مخزوناً * وإن منعته ابتذلت عرضاً لم يزل
مصبوناً * على انني احمل الجمل على التجمل * واوثر البذل على التبذل * وانشد
شعراً * حنانيك بعض الشر اهون من بعض * وما ايسر دواء هذا الداء لو
طاوعتني نفسي العاصية * وتابعتني رجلي الآبية * فدخلت الديوان * وصانعت
الزمان * وفتحت جراب النفاق والريا * واغلقت باب الحفاظ والوفا * ولكن
النظر إلى عين الشمس ايسر علي واهون على عيني من ان انظر إلى هذا الصدر *
وقد جلس فيه غير ذلك البدر * واني لا غار على الكرم * كما يغار على الحرم *
وابخل بالمراتب كما يبخل غيري بالمكاسب * واستحيي لعيني ان افتحها على
الصغير * وقد جلس مجلس الكبير * لا ابتلاني الله بمجالس الغيرة * ولا اقامني
في مقامات الغم والحيرة * فانه ان ابتلاني بذلك وجدني ضيق ساحة الصدر * قريب
غور الصبر * كثير المباراة * قليل المداراة * هذه اطال الله بقاء الشيخ حالي *
فهل لي عنده فرج ارتجيه * او نظر اتجمع فيه * وهل يحرك لفظه من الفاظه *
أو لحظة من الحاظه * يرد بها على وجهي ماء نضب من مائه * وعلى عرضي
ما ذهب من بهائه * ولعمري ان حاجتي إلى الشيخ في هذا الخراج صغيرة ولكنني
استصغر منه يسيراً * كما لا استعظم منه كبيراً * واعلم ان الحر يسع الصديق
بفطنته * والخليل بهمته * وان ابطأ عني كتابه بالفرج خشيت ان يسري في
السم الوحي * إلى أن يصل إليّ الترياق البطي * اعوذ بالله من أن يكون دائي
فقدأ * ودوائى وعدأ *

« وكتب الى رئيس طوس يعزيه عن شقيق له » :

كتابي عن سلامة * وما سلامة من يرى كل يوم ركناً مهوداً * ولحدأ
ملحوداً * واخأ مفقوداً * وحوضاً من المنية موروداً * ويعلم ان ايامه مكتوبة *
وانفاسه محسوبة * وان شباك المنايا له منصوبة * اف لهذه الدنيا ما اكدر صافيتها *
واخيـب راجيها * واغدر ايامها ولياليها * وانغص لذاتها وملاهيها * تفرق
بين الاحياء والاحباب بالقوات وبين الاحياء والاموات بالرفات * ورد علي
خبر وفاة فلان * فدارت بي الارض حيرة * واظلمت في عيني الدنيا حسرة *
وملك الوله والوهل قلبي وساوس وفكره * وتذكرت ما كان يجمعني واياه من
سكرى الشباب والشراب * فعلمت انه شرب بكاس انا شارب من شرابها * ورمى
بسهم سوف أرمى بها * فبكيت عليه بكاء لي نصفه * وحزنت عليه حزناً
لنفسي شطره * وسألت الله تعالى فانه أكرم مسئول * واعظم مأمول * ان
يفيض عليه من رحمته * ما يتم به سهمه من نعمته * وان يتغمد كل زلة
ارتكبها برحمته * ويضاعف له كل حسنة اكتسبها بمنته * وان يذكر له تلك
الاخلاق الكريمة * وتلك المروءة الواسعة العظيمة * فان الله تعالى ليحب السخاء
في الملحد * فكيف في الموحد * وان سخاء النفس ونصب المائدة خلق من
اخلاق الصديقين * وشعبة من شعب النبيين * ثم تذكرت مسا نزل بسيدي من
الوحشة لفقده * والغمة من بعده * والتحسر على قربيه ببعده * فخلص إلى قلبي
وجع ثان انساني الماضي * وثالث انساني الثاني * حتى استفرغ ذلك ما في
صبري * بل ما في صدري * وحتى صار الوجع وجعين * والمصاب اثنين *

ثم رجعت إلى أدب الله تعالى فقلت أنا لله وانا إليه راجعون اللهم لا شكاية
 لقضائك * ولا استبطاء لجزائك * ولا كفران لنعمتك * ولا مناصبة لقدرتك *
 اللهم ارحم الماضي رحمة تحبب إليه مآته * وابق الحى بقاء يهنيه حياته * واطبع
 على قلبه حتى لا يطيع داعية الجزع * ولا يضيع عنانه بيد الهلع * ولا يثلم جانب
 الاجر والذخر * بالاثم والوزر * ولا يجد عدوه الشيطان سبيلا إليه * ولا
 سلطاناً عليه * اقتصرت من تعزية سيدي على هذا المقدار * لا جرياً على مذهبي
 في الاقتصار والاختصار * ولكني لم اجد من لسانى بسطه * ولا في قريحتي
 فضله * ويحق لهذه الفادحة الحادثة ان تدع اللسان محصوراً * والبيان مقصوراً *
 أو أن تحدث في العقل خللاً * وفي البيان شللاً * وليعرفني سيدي خير ما هداه
 الله إليه من جميل العزا * الذي لم يعدم جميل الجزا * ليكون سنكوتي إلى ما
 اعرفه من سلوته * اضعاف فاق كان بما ظننته من حرقة * وان كنت اعلم
 انه لا يخلي ساحة الحلم والعلم * ولا يخل بالواجب من التمسك بالحرم * ولا
 يخل عقدة صبره * ولا تتداعى اركان صدره * ولا يعمي الرشد في جميع
 امره * وهذه شريطة الكمال * وسجية الرجال *

* * *

«وكتب الى أبي الحسن الطرحدوي بدار طوس» :

فلا ترتفع عنا لشغل وليته * كما لم يصغر عندنا شأنك العزل * ليت شعري ما
 الذي راه في الكبر حتى اعتقد ملته * واستقبل قبلته * وفي العجب حتى تبوأ
 ساحته * واستوطن راحته * وفي الجفا حتى علق اسبابه * ولبس جلبابه *

وما الذي ارتكبته من بين اخوانه * حتى افردهم غني * وكاتبهم دوني *
حتى كأني قطعتة ووصلوه * ونسيته وذكروه * وجفوته وبروه * كأنه
عرض جريدتهم فوجد اسمي ماحقاً بجواشيها * ومثباً في اخريات اساميهـا *
فهلا إذ لم يوهائي لمرتبة الخاصة * جعلني اسوة بالعامـة * وهلا إذ لم استحق
منه فضلاً * رزقت منه عدلاً * وهلا تصدق علي * بكتابه إـلي * فالزمني
على المساكين صدقه * وللفتح هدية * فكنت اجعل يوم وصول كتابه إـلي
عيداً * ونيروزاً جديداً * واتصدق بمالي فيه طريفاً وتليداً * واطوف بكتابه في
اخوانه واخواني * واباهيهم به مباهاة الاخ باخيه * الذي مساعيه مساعيه *
ومساويه مساويه * وكل شيء من فضيلة ورذيلة فهو شريكه فيه * صفحت
ايد الله سيدي عن هذا الذنب الفظيع * والجرم الشنيع * فهل لسيدي ان يستأنف
ما احاله آخرأ * ويأخذ بنا في طريقه غير الاول * فان الاستقالة تأتي على
العثرات * وان الحسنات يذهبن السيئات * وان قليل الاستغفار * ينسي قليل
الخطأ والاوزار * خرج إلى ناحية سيدي فلان وهو جوهرة من جواهر الشرف *
لا من جواهر النـصف * ويقوته من يواقيت الافكار * لا من يواقيت الاحجار
وإذا نظرت اليه من مرآة الحيرة * وقلبه بيد العشرة * استدل به على حسن
انتقادي * وصائب ارتيادي * وعلم أني لا اختار غير الخيار * ولا أجني غير
خير الثمار * ولا اصادف غير الاحرار * فلينطق سيدي لسانه بشكره *
وليكشفه الدقيق والجليل من امره * وليمش على عقبي لا بل مقدمتي إلى الطافه
وبره * عرض سيدي هدايا تلك الناحية * وكيف اطمع في هدية من يبخل برد
السلام * ويحاسب اصدقاءه على الرسالة والكلام * وكيف يسمح بالجواهر
الحاصل * من يبخل بالعرض الحائل * وكيف يتوسع في النافلة من تضايق
بالفريضة * انصفنا الله تعالى من اصدقائنا * فانا بحوله وقوته نتتصف من
اعدائنا *

وكتب الى وزير قابوس بن وشمكير:

وكل ولاية لا بد يوماً مغيرة الصديق على الصديق

قد كنت انتظر مصداق هذا البيت من سيدي حبي حقق الله تعالى ظني *
ولو اكذبه كان احب اليّ * وأوقع لدي * فسبحان من جعل حصتي من وفاء
الاخوان منحوسة * وتجارتي فيما أعاملهم به ويعاملوني مركوسة * فان كان
سيدي عم بهذا الجفا اخوانه فخلطني بهم * وجعاني واحداً منهم * لقد
أخلف ثقتي بانفرادي عن صحبه * وخلف ظني بانهيتي عن قلبه * وكنت
احسب انه يخفي من بينهم بفضل المقة * كما خصصته من بينهم بفضل الثقة *
وان كان وصلهم * وقطعني دونهم * لقد عكس حكم الرجاء * وغرس
الجفا في منبت الوفاء * واساء الترتيب بين الاصدقاء * وما أدري له في واحد
الفعلين عذراً * وان كان احدهما اثقل وزراً * واسوأ برأ * واقبح ذكراً *
وقد كنت طويت بيد اليأس بساط العتاب * واغلقت باب المراجعة وضيعت
مفتاح الباب * ثم استظهرت بهذه الاحرف وستردي على من سيدي اذن من
العتاب صماء * وعين من الوفاء عمياء * ونفس تبغض الوفاء * كما يبغض
الناس الاعداء * وتعشق الجفاء كما يعشق الرجل المرأة الحسناء * وتشتهيه كما
يشتهي الظمان الماء * وانتظاري الجواب عنها اكلوبة من اكاذيب الاماني *
واغلوطه من اغاليط زماني * ومناقضة لحكم القياس * وارجاف من اراجيف
الوسواس * ولكنها سخرة من سخر الفراغ تكلفتها * وحاجة في نفسي قضيتها:

• • •

« وكتب الى رئيس بهراه يعزيه بابن اخته وبنته » :

كتابي ايد الله الشيخ الرئيس * وانا سليم المهجة * سقيم القلب والمنسة
والنية * صحيح العرض والجسد * عليل الخاطر والجلد * للمصيبة في فلان
رحمه الله * فانها مصيبة خرجت من كمين الدهر * قبل ان يستعد لها بعدد
الصبر * وجاءت مجيء البغية * ووثبت وثبة المسارقة * وغلبت الايام على
ذلك الحر اطراً ما كان غصناً * واتم ما كان حسناً * وابتعد ما كان املاً *
واظهر ما كان سراً * حتى كأن المنون اخذته خاسمة * وانتهزت فيه
فرصة وفقد الشباب الطري اكثر جزعاً * وكسر العود الرطب اشد وجعاً .

ان الفجیعة بالرياض نواضرا لا شد منها بالرياض ذوابلا

ولو كان الدهر يجيب من خامله * ويعتب من عاتبه * لاستدركت هذه
الفعلة عليه * ولفوقت سهام اللؤم اليه * لكنه اصم عن الكلام * صبور على وقع
سهام الملام * يختصر العیدان * ويهتصر الاغصان * ويخترم الشبان * ويبكي
الانام والابدان * ويلحق من يكون بمن كان * والشيخ جدير بان يتدرع
لهذه الفجیعة درعاً من كرم التسلي * وجميل التعزي * لا تحرقها يد التذكر *
ولا تهب عليها ریح الغم والتحسر * ولا تطمح نحوها عين التغير والتنكر *
وان يلقي هذا الخطب الكبير * والغم الكثير * بصبر منهما اكبر * وتجلد هو
منهما أكثر * فان الكبير في قلب الكبير صغير * وان العظيم على العظيم صبور *

والثقل ليس مضاعفاً لمطیبة إلا إذا ما كان وهماً بازلا

وليحذر ان يجمع على نفسه ذل الغربة * وثقل الكربة * وان كان لا غربة على عاقل * ولا وحدة لفاضل * فان الداء إذا قابل داء لم يقبل دواء * ولم يرج لصاحبه شفاء * وليعلم ان الله تعالى قد اخذ منه اليسير * وابقى له الكثير * وسلبه الصغير * ومنحه الكبير * سلبه اخاً كان يعتضد باخوته * ومنحه ابا يجمع خير الدارين بابوته * وابقى له اخوة هم قوة اليد والععضد * وغاية الايد والمدد * وزينة العدد والعدد * وجمال الدهر والابد * فسبحان من إذا سلبنا من هو املك به منا آجرنا * وإذا صبرنا على ما لا بد من الصبر عليه شكرنا * وإذا امتحن كانت محنته خيره * وإذا منح كانت منحته نعمة كبيرة * ورحم الله فلاناً ذا الخلق المعسول * والكنف المأهول * والطعام المبذول * صاحب المرعى الخصب * والقلب الرحيب * والوجه الطلق * والجناب الغدق * الشاب سنا وجلاداً * والشيخ حلماء وسداداً * الذي كان زيناً إذا دنا * وذخراً إذا نأى * وعدة للأخرة والاولى * والذي كان يميناً له * ليكرم نزاله * ويبدل ديناره وداره * ليضون زواره * ويضحك في وجه النازل عليه * عند نظره اليه كأن الموت ينتقد الافاضل * ويهرج الاراذل * وكأن الآخرة تختار الاخيار * وتترك على الدنيا الاشرار * وكأن اعمار الكرام مشاهرة * واعمار اللثام مداهرة * قال الطائي :

عليك سلام الله وفقاً فاني رأيت الكريم الحر ليس له عمر

فأما البنت رحمها الله تعالى فقد كانت حياتها عفافاً وسترأ * ووفاتها ثواباً وذخراً * ولقد كانت في زمان النجاة في رجاله غريبة * وفي نسائه عجيبة * والعفاف في ذكرانه معوز * وفي انائه معجز * والعقل في شيوخته نادرة تفقد * وفي شبانه ضالة لا توجد * فالحمد لله الذي سترها بالحياء في حياتها * وبالثواب بعد وفاتها * فاسبغ الله تعالى على سيدنا سترين * واستوجب منا ومنه له

شكرين • ولقد ثكلتها ثكل الرجل لاختص اخواته • بل لاكرم بناته • فقد كانت لي من جهة ميلادها والحال بيني وبين والدها بنتاً • ومن جهة تربيتها اختاً • والمستور عزيز في كل مكان • ومحجب إلى كل انسان • وممدوح بكل لسان • فان تكن خلقت انثى لقد خلقت كريمة غير انثى العقل والحسب فرحمها الله تعالى رحمة تلحقها بمريم وآسية في الاولين • وبخديجة وفاطمة في الآخرين • وبام الدرداء ورابعة في نساء الصحابة رحمهم الله تعالى اجمعين • ولولا ما ذكرته من سترها • ووقفت عليه من غرائب امرها • لكنت إلى التهنتة اقرب من التعزية • فان ستر العورات من الحسنات • ودفن البنات من المكرمات ونحن في زمان إذا قدم احداً فيه الحرمة • فقد استكمل النعمة • وإذا زف كريمة إلى القبر • فقد بلغ امنيته من الصهر •

« وقال الاول »

ولم ار نعمة شملت كريماً كنعمة عورة سترت بقبر

« وقال الثاني »

تهوى حياقي واهوى موتها شفقاً والموت اكرم نزال على الحرم

« وقال الثالث »

وددت بنيتي ووددت أني وضعت بنيتي في لحد قبر

« وقال الرابع »

ومن غاية المجد والمكرمات بقاء البنين وموت البنات

« وقال الخامس »

سميتها إذ ولدت تموت والقبر صهر ضامن وبيت

وقد كنت على أن أفرد في معناها كتاباً إلى الشيخ ثم تطيرت له من تناسق التعزيتين • كما توجعت له من تواتر المصبيتين • وأرجو أن تكون هاتان

الحادثان خاتمة الكروب * وقافية الخطوب * ثم تجيء النعم بعدها مترادفة *
 بل مترادفة * ثم متظاهرة * بل متواترة * ومتناسقة * بل متطابقة * فان المحن
 اذا تناهت انتهت * والرزايا اذا توالى تولت * ولكل غمزة محنة معبر * ولكل
 مورد غمة مصدر * وسيجعل الله بعد عسر يسرا * ولعل الله يحدث بعد ذلك
 امرا * على انها تعفو الكلوم * وانما توكل بالادنى * وان جل ما يمضي اسأل
 الشيخ أن يكتب لي حصر ما وجده من برد السلوة * لاشركه فيه كما شركته في
 حرارة اللدغة والفجعة * والسلام .

* * *

«وكتب الى صديق له جواب كتابه»:

ما تأخر جواب كتاب سيدي وشيخي جهلا بحقه اللازم الواجب * ولا
 انكارا لافضاله المتراكم المتراكب * ولكني تحريت وقتا ينشط فيه اللسان
 للبيان * والبنان للجريان * ويوما يحسن فيه الدهر * وينشرح فيه الصدر *
 ويقل فيه الفكر * فلا والله ما وجدته وقد كنت اشتاق الى غدي * فانا الآن
 الهف على امسي * وما من وقت كرهته الا وانا احن اليه * ولا من يوم بكيت
 منه الا بكيت عليه *

* * *

«وكتب الى حاكم»:

ورد كتاب الحاكم بما ملائي سرورا وجورا * وصار في رجائي الميت
 حركة وفتورا * وشكرته على ما بذله شكرا * لارضاء مهراً * لاساءته

لو انتهت الي * فكيف لاحسانه المتظاهر علي * ولكن لن تتجاوز الطاقة ذرعها
ولن يكلف الله نفسا الا وسعها * وما عندنا غير خلق لا يشترى بـشمن * ولا
يعارض بايعه بقبيح ولا حسن * وهو الدعاء استجاب الله في الحاكم صالحه
واسبغ عليه منايحه * واعطاه من كل خير مقاليد ومفاتيحه *

* * *

«وكتب الى نائب الوزير ابن عباد باصفهان»:

كـتـبـت الى الـاسـتـاذ مـعـاتـبا مـرة * ومـسـتـعـتـبا كـرة * فـما وـجـدـت للـعـتـاب اعـتـابـا
ولا قـرأت عن الـكـتـاب جـوابـا * ولـيـت شـعـري ما الـذي مـنـعه عن صـلة لا تـضـره
وتـنـفـعني * وعن تـواضـع لا يـضـعه ويرفـعني *

ولربما بـخل الجـواد وما به بـخل ولكن سـوء حـظ الطـالب

فالان قد عـنـيت بـجـواب كـتـبه * وعـرـفـت بـين عـتـابه وعـتـبه * يـكـلـفني ان اورد
على الـاسـتـاذ خـبر شـكـره * وان اـجـعـله بـعض ودائـعي عـند احـسانه وبره ومـذ
اخبرته انني قد ركبت من التـقـصـير في شـكـر الـاسـتـاذ عن خـاصـيـتي * مـركـبـا
سـقـطـت مـعـه شـهـادتي * واخفقت بـعـده شـفـاعتي * وان شـكـري له عن غـيـري *
بـعـدما ضـيـعـت الواجب مـنـه على نـفـسي * نـافـلة اـقـيـمها بـعـدما ضـيـعـت الفريضة *
وتفصيل اصلحه بـعـد ما افسدت الـجـمـلة * ولـن تـقـبـل النافـلة او تـؤـدي الفريضة
فـلم تـقـبـل حـجـتي الا بـالـحـمد * وعـذري الا بـالـرـد * وما زادني على كـتـبه العريضة
الطويلة * ومـعـاتـباته الثـقـيـلة * فـذـكـرتـه الـآن الـاسـتـاذ فان كـنت اسأت فالاساءة
بيني وبينه * وان كـنت احسنت فالاحسان لي دونه * ويا عـجـبا مـني اعـجـز عن
تـحـمـل نـعـمة ثم اخطب نـعـمـتين * ولا أقوم تحت عارفة ثم اطلب عارفتين * ولا

أرضاً البر الا مداخلا * ولا اقبل الاحسان الا مضاعفا * وما يستبدع منه بذل
الرجية بعد الرغبة * ولا مني اقتراح الغريبة بعد الغريبة * فانه ايده الله اوجد
في النوال * كما اني اوجد في السؤال *

* * *

« وكتب الى ابي الحسن الحكمي » :

خرج الشيخ من هاهنا على حالة ان كان الذنب فيها له فقد غفرت وعذرت *
وان كان لي فقد استغفرت واستعذرت * والدهر يوزع بافساد الاحوال * وتكدير ماء
الوصال * وقطع قرائن الرجا * ثم يعود العاقل لما يرفو به الخرق ويرتق به
الفق * فيقبل الزلة ويراجع الوصاة وينشد :

إذا نزعات الحب أورثن بيننا عتاباً تراجعنا وعاد العواطف

فاما الجاهل فانه إذا هجر لم يبق في القوس منزعاً * ولم يترك للصلح موضعاً *
والحمد لله الذي وفقني في أثناء هذه الحال حتى كبحت فرس الغرامة * وغمدت
سيف الشكوى والملامة * وايقنت الحال في صوانها * ولم اتعد منها حكم
زمانها * فهجرت هجر منازل كريم المقاطعة * ووصلت وصل مراجع حميد
المراجعة * لتكون الأولى بدرة مغفورة * والثانية كفارة مشكورة * والعبي
عروس ليس لها غير الصلح مهر * والاعتذار سعي ما له غير القبول اجر *
وقد كنت قلمت عن عرض الشيخ بنانا حديد المخالب * وفلتت عن جانب
سيفا مرهب المضارب * وإنما سلطان الغضب ساعة تورث ندامة الابد * ويوماً
يثمر حياء الغد * إلا من أعين بالعصمة * واطاع راعية العقل والحكمة *
والسلام .

* * *

«وكتب الى صاحب ديوان الخراج بالحضرة»:

قد كنت أرجو أن تعلقي بالشيخ بأسو خراج الايام لي * وينزع نصالها الواقعة
يجني * فطالما تعلق المدبر بذيل المقبل فأقبل باقباله * وصارت حاله قطعة من حاله.

وكم صاحب قد جل عن قدر صاحب فالقى له الاسباب فارتفعاً معاً

وبا عجباً كيف لا يغار الشيخ على جانبي منه * وكيف لا يخاف على سخطي
فيه * وكيف يرضى بان يرى مصون قولي فيه وقد ابتذله * وكيف يستحسن
أن اسأل غيره بعدما سأله * فوالله تعالى أن لساناً جرى بمدح سواء بعد مدحه
لاهل أن ينزع * وأن كلاماً كان فيه ثم صار في سواء للحدير بأن لا يسمع *
وقد كنت زففت إلى الشيخ عروساً من كلامي عاتبته فيها * فان كانت حسناء
فأين حق الزوجية * وأن كانت قبيحة فأين حق النية * ولا أقل من أن يرضى
بالمجان * ان لم يشتر بالأثمان * وأن يمساك بالمعروف أو يسرح باحسان * وأن
درهماً يؤخذ مني لدرهم ثقيل الوضع على السلطان * قبيح الاحدوث في البلدان
ولئن كان يعمر به بيت المال * فان يخرب بيت الجمال * ولئن كان يزيد
به عدد الدراهم * أنه لينقص من عدة المكارم * ولئن كان يسمى في
العامة جباية * أنه يسمى في الخاصة خزاية * وللبس أكفان الموتى * وسرق
أدوية المرضى * وقطع الطريق على حجاج بيت الله الحرام * وزوار قبر
النبي عليه السلام * أحسن في الاحدوث وأبعد من العار والنقيصة من انزام
مثلي خراجاً * وسومه غرامة واستخراجاً * وإنما يحاسب نفسه في مثل هذا
من وزن أفعاله بمعيار الحرية * وأخذ نفسه بشرائط الانسانية وغار على
نفسه * كما يغار على عرسه * وضمن بقدره * كما يضمن بوفره * وهذه
خصائص لا يؤاخذ بها الاحرار * والشيخ بحمد الله صدرهم وبدرهم *

وعليه مدار أمرهم وهو أولى من غضب للادب * وحافظ على الاقدار
والرتب .

* * *

« وكتب الى ابي الحسين علي بن دايه » :

لم ينقطع عن كتاب سيدي مع ضى به * وعشقي له * إلا أنه يبخل علي
بأن أحفظه وأرويه * ويخشى علي أن انتحله وأدعيه * فعهدي به لا يبخل علي
الفقراء * ولا يرضى لاسمه أن يكتب في جريدة البلاء * أم لأنه يكره أن
يصير نظيراً إذا كاتب دونه كثيراً * فهذا ظن غير صائب * ورأي غير
ثاقب * فقد يكاتب الكبير الصغير * فلا الكبير يصغر * ولا الصغير يكبر *
أم لأنه يخاف أن لا يعرف حقيقة خطابه * ولا يبلغ غور كتابه * فقد علم أن
الله تعالى خاطب العامة بوحيه كما يخاطب به الخاصة * أم أنه يأنف اكتابته
اللطيف * من جواني الكفيف * فأزال الخطأ منبهاً على مقدار الصواب * وما
زال توسط المجيب دايلاً على تقدم المجاب * أم لأن أخوانه الذين استطافهم
من بعدي واعتاضهم مني * قد شغلوا يده عني * فما كنت أظن أنه يحفظ
لكل جديد لذة * وينسى لكل غتيق حرمة * أم لأن الأيام أعدته فما حسنته
يقبل عدواها * ويتحلى بحلاها * ويرضى لنفسه أن يسعى مسعاها * أم
لأن سمرقند بعدت عليه * والكاغذ عز لديه * فأنا اجهز إليه قوافل تحمل
من الكاغذ أوقاراً * ويتصل مني إليه قطاراً قطاراً * أم لأنه يتمكسل عن
مكاتبتني فأنا أكسب عنه إلي * وأرضي قلبي بيدي * هذا إذا تواضع وقبلني
كاتباً * فأما أنا فقد رضيت به صاحباً * على أنني منتظر منه أن تعطفه علي
العواطف * وأن تعود إلي نعمة السوالف * فلربما غاظ الدهر المسيء إلي

بالأحسان * وعاد علي الهدم بالبنيان * هذا والكتاب ملقى * لا مؤثى *
 تسرع إليه اليد الحاملة * وتعرض له الآفات السانحة * فالماء يفرقه *
 والنار تحرقه * والريح تطيره * كما أن الأيام تغيره * والدخان يسود بياضه *
 كما أن الحلك يبيض سواده * والرطوبة تضره * كما أن اليبوسة لا تنفعه *
 فآفاته أكثر من آفات الزجاج الذي يسرع إليه الكسر * ويبطىء عنه الجبر *
 وحوادثه أكبر من حوادث الغنم التي هي لكل يد غنيمة * ولكل سبع فريسة *
 وأقل آفاته خيانة الحامل * ووقوع الشاغل * وعواقب الفتوح والقوافل *
 وهذا انطويل كله إرتياد لعذر أجده لسيدي * وأن رجلا اعتذر عنه إلى
 قلبي * وأبرز ذنبه في معرض ذنبي * لأعظم في عيني من كل عظيم *
 وأكرم على قلبي من كل كريم * وكأنه في وفيه قيل :
 إذا مرضنا أتيناكم نعودكم * وتذنبون فنأتيكم فنعتمر

* * *

«وكتب الى ابي الحسن الحكمي» :

طالت أيام الشيخ في تلك الناحية * حتى ظننت أن الدهر فطن لأيامنا في
 ظله * ولرتعنا في فضله * فزاحمنا عليه * وسابقنا إليه * وسلبنا النعم به *
 لاسلبنا الله نعمته * فأنها نعمة متجاوزة إلى كل من قدح بزنده * واستظل
 بظل إحسانه ورفده * وإنما يريد الناس النوال للمال * وهو يريد المال
 للنوال * فالنعمه عليه نعمة على من سواه * والنعمه على غيره نعمة لا تعداه
 على أني عارف بأن الله تعالى لن يختم للشيخ إلا بأحمد العواقب * ولا يعدل
 بحاله إلا إلى الين الجوانب * وعلى الكريم واقية من فعله * وله حصن حصين

من فضله * فإذا زلت به النعل زلة * أو صال عليه الدهر صولة * أقامته
يد إحسانه * وانتزعت من مخالب زمانه * فليمد الشيخ عنان رجائه *
وليتوقع الفرج في صبحه ومسائه * وليعلم أن وراءه رباً لا يخذله * وسريرة
صالحة لا تسلمه * وسلطاناً عادلاً لا يظلمه * أراه الله تعالى وأراني في حساده *
ما يصيرهم نكالا بين عباده وبلاده * وأراهم فيه من رغائب النعم *
وغرائب القسم * ما يتمنون العمى قبل رؤيته * والصبم قبل روايته * وأطال
لغهم ورغهم بقاه * وجعلهم فدائي ثم جعلني فداه *

* * *

« وكتب إلى أبي الفرج لما قلده خلافة البندار بطوس » :

وردت كتب ولدي على يد جماعة أصدقائه * وكافة أوليائه * وطلبت
حصتي منها فلم أجد فيها * فليت شعري كيف قصدني من بينهم الزمان * وكيف
خصني منه بالحرمان * وكيف صرت المثنى * وقعدت على طريق الا *
وكيف عدني ولدي في الأجانب * وكنت أعد نفسي في الأقارب * وهلا
إذا لم يدخلني في جملة أخوانه وأصفيائه * ادخلني في جملة شيعة وأوليائه *
وقد اغتفرت هذه الواحدة * وسأؤاخذه إن عاد إليها ثانية * فما يسع
عفوي لأكثر من مرة * ولا تنال إقالي أكثر من عشرة * هذا العمل أول
ما جرى ولدي في ميدانه * وسابق أهل زمانه * فان طلب الغاية * وبذل
الجهد والطاقة * لحق السابق * وفات اللاحق * وإن قصر فاته المراد *
وسبقته الجياد * وهو ابن رجل إن سبق لإبنة فلم يشكر * وإن سبق لم يعذر *
فليتعب نفسه * فلا راحة مع الهمة * وليسهر عينه فلا نوم مع طلب الغاية

وليحذر فلتات اليد واللسان * وسكرات الشبان * فان سكر الشباب * أشد
من سكر الشراب * وليكتب في قلبه بيد عقله قول الأول * خدمة السلطان
والكآسات من أيدي الملاح * ليس يلتثمان فاختر رفعة أو شراب راح *
وأني لأعلم أن لولدي عرقاً سيرخي عنانه * ويخلف أقرانه * وأنه لن
يستقبل إلا قبلة حسبه ولن يفعل إلا ما يليق به * ولكن أحزم الحزمة لا يستغني
عن عظة الأخوان * كما أن اعتق الجياد لا يستغني عن ركض الفرسان *
كنت كتبت كتاباً قبل هذا أرخيت فيه عنان لساني * واتعبت في تطويله
قلي وبنائي * والتطويل في شكر الجميل اختصار * والاطناب في قضاء
الواجب تقصير واقتصار * فلان قد ألف طوس حتى عشقها * وهجر
نيسابور حتى طلقها * وتعدى طلاقه إلى طلاق إخوانه بها * وأنا أحسد
ولدي على ما خصص به من قربه * وأود لو شركته فيه كما شركته في حبه *
والحسد على مثل هذا سنة متبعة * وفي غير هذا بدعة مبتدعة * وقد كنت
أشكو الأيام وهي تفارقني بأخواني فرادى * وهي اليوم تفارقني بهم مثنى *
فتكلفني أن أقيم للشوق نوبتين * وأوجه قلبي إليهم من طريقتين *

* * *

«وكتب الى وزير خوارزمشاه لما نكب وكان خريجة هرجة»:

أصبحت ايد الله الشيخ وامسيت شعبان من كل بغية * ريان من كل مراد
ومنية * غير خبر انقشاع هذه الضبابة * وانجلاء هذه السحابة * فاني يعلم
الله تعالى ظمآن إلى خبر * يذيل فرحي على غمي * ويهزم بسروري عساكر
همي * فما أسرع خبر السوء حتى كأنه يخب * وما أبطأ خبر السرور

حتى كأنه يذب * وما أولع الدهر بهم ركن الفضل * وثلم جانب العقل * وما أسرع الأيام على الكريم فيما يضره * وإلى اللثيم فيما يسره * وما أبين مجانسة الدهر لأهله * وأكثر مناسبة الجاهل في جهله * وما أشد غيظي على فلتات الأيام في الكرام * وعلى نفحات الارزاق في اللثام * وما اشوقني أن استمع من أخبار تلك النفس النفيسة ما أبكي له طرباً * كما ضحككت من ضده عجباً * وإلى الله أشكو حالاً ضحكها سخرية * ومجاز وعارية * وبكاؤها حق وحقيقة وإياه أسأل أن يفي مدة النقص فقد طال * ويضع من غرة الجهالة فقد استطالت * ويعيد للفضل الكرة * ويزيل عنه الفتور والفترة * ويصب في سمعي من خبر انحسام دواعي هذه المحنة ما يعيد شبابي الذي ولى * ويطرّد شبي الذي تجلى * فحق لمن شاب عن سماع ما يسوءه * أن يشب من سماع ما يسره * وحق لجسم هدمه الغم الالمسى * أن يبنيه الفرح اليومي * وحق الدهر أن يكف فقد بالغ في العقاب * وتناهى في العتاب * وحق لصروفه أن تنصرف فقد اشفّت وشفّت * واكتفت وكفت وزادت على ما في الامكان وأوفت * وحق لها أن تخاطبها بقول ابن المعتز :

يا محنة الدهر كفي إن لم تكفي فخفي

قد آن أن ترحمينا من طول هذا التشفي

على أني أرجو أن يكون في طي هذه المحنة من المصالح ما يغمض مسلكه * ويخفي مذهبه * وأن يكون أقل ما يكسبه الشيخ فيها * ويستفيده منها * تمييز معارفه من إخوانه * والوقوف على من لا يصادقه إلا بصداقة زمانه * وإذا به المغشوش من الدعوى * بنار الاختبار والسلوى * كما قال البحرى وصدق في المقال :

لئن نفي الدهر عن عزى فلم يصل وكف من يدي الطولى فلم تطل

لقد حمدت صروفاً منه حيرني مذمومها غضباً مما علي ولي

ومما سرني والشيخ أن المحنة لم تثلم جوانب جلادته * وأن طول مدة الذلة والقلّة لم تعتصر ماء احتماله وصلابته * وأن الوحدة والوحشة لم تقلّدا في لسانه وقلبه ولم يظهر اثرهما على صفحات ثباته وعزمه * وإن لم تصغر على تلون الزمان نفسه * ولم يلن على أكف أعدائه مسه * وإنهم كتبهم الله وإن توصلوا إلى تغيير نعمته وقد حجّبوا عن تغيير همته * وإن تطرقوا إلى كيدّه باطناً فقد اضطروا إلى تبجيله ظاهراً * وقد قيل في ذلك لعلي بن الجهم:

وما المكر إلا للنساء وإنما عدوك من اشجاك حين تصارع

حتى اجتلت عنه غبرة العواقب والعرض نقي * والقلب بالله تعالى قوي * والفعل بحمده تعالى مرضي * والنفس تلك النفس إلا ما نقص من مال * وتضعضع من حال * والجملة فلك الجملة لا الرخاء اكسبها بطراً * ولا البلاء اورثها ضجراً * ولا أساء مجاورة النعمة فتطاول * ولا محاورة المحنة فتضاءن والحمد لله الذي كشف عن مقداره في ميزان الاختبار والابتلاء * وظهر عن حقيقة كيفيته في مرآي الرخاء والبلاء * والايام مرآة الرجال * والاطوار معيار النقص فيهم والكمال * والعثرة بعد الدولة تخرج خبيث الاخلاق * وتكشف عن مقادير الاصول والاعراق * ثم الحمد لله الذي ابتلى في الصغير وهو المال * وعافى في الكبير وهو الصيانة والجمال * وقد قيل ما يليق بهذا الحال * من حسن المقال :

ولا عار إن زالت عن الحر نعمة ولكن عاراً أن يزول التجمل

المال أيدك الله تعالى حطام ينقص ثم يزيد * وظل ينحسر ثم يعود * والشيخ يقضيه قول امير المؤمنين رضي الله تعالى عنه « قيمة كل امرئ ما يحسنه »

أنت ايدك الله تعالى اغنى أهل خوارزم يوم نصير افقرهم * وأكبرهم ساعة
تظن اصغرهم * وهو الوزير يوم يعزل * والمصون ساعة يتبدل * والكبير
بنفسه * وإن انفرد عن غيره * والمستأنس بفضله * وإن استوحش من
دهره :

ان الامير هو الذي يضحي أميراً يوم عزله
إن زال سلطان الولا ية كان في سلطان فضله

* * *

«وكتب الى ابى علي البلعمي لما فارق الحضرة وورد نيسابور» :

كتابي إلى الشيخ وقد امضت الأيام في حكمها * وانفذت في صبري
وتجلدي سهمها * والحمد لله تعالى على كل شيء إلا غيبتني عن الشيخ فاني
أخشى أن ازداد منها * إذا حمدت الله لها * انتهت بي المحنة بعد فراق
الشيخ إلى غاية ليس بينها وبين الموت حجاز * ولا وراءها للبلاء مجاز *
حتى لقد ركبت غير دابتي * وأكلت غير نفقتي * ونزلت بيتاً بكرأ *
وأكلت خبزاً بسراً * وحرمت العيني * وشربت الزبيبي * ولبست الصوف
في المصيف * والبردى في الخريف * وكوتبت مواجهة * وخوطبت
بالكاف مشافهة * واجلست في صف النعال * أعني اخريات الرجال *
وناظرني من كان يدوس علي * وخالفني من كان يختلف إلي * وحتى لقد
نشزت على جاريتي * وحرنت على دابتي * وتقدمني في المسير رفيقي *
الذي جمعتي وإياه طريقي * وحتى أنني أخذت الدرهم الجيد فصار في يدي

ستوقاً * وقطعت الثوب المشتري فصار على بدني مسروفاً * وغسلت ثيابي
في تموز فغابت الشمس وطلع السحاب * وسافرت في حزيران فعصفت
الريح وسد الافق الضباب * وفقدت كل شيء ملكته غير عرضي الذي
عهده الشيخ معي * وصبري الذي عرفه مني * ومن لم يكن على المحنة
صبوراً * لم يوجد للنعمة شكوراً * ومن لم يحقر سوء ما يبلى * لم يحمد
حسن ما يولى * انكر الشيخ عروف نفسي عن مواقف البذلة * وصعوبة
جانبي على من جرنى الى مظنة الهوان والذلة والادب سلطان ينسى هيبة السلطان
ولطول العشرة دالة تقيم الملوك مقام النظراء والاخوان * ولا ذنب إلا وله
في العفو ساحة عريضة * كما أنه لا ذنب إلا وله من العذر مسافة قصيرة *
وإنما المندار على الرضى فانه يقرب البعيد * وعلى الغضب فانه يبعد القريب *
الهم الله رؤسانا عنا الرضى * واتم لنا باحسانهم إلينا الحسنى * قد علم
الشيخ أني مذ كنت لم يسم نخدي عذار الهوان * ولم يوضع على رقبتي نير
التبذل والامتهان * ولم تطرق الايام حريم عرضي فتنهكه * ولا نالت ستر
صيانتي فتهتكه * ولا ماء وجهي ففسكه * ولقد اخترقت البدو والحضر *
ودخلت ديار ربيعة ومضر * فما رأيتني بحمد الله تعالى أوخر عن رتبة *
ولا خالف عن الغاية في موطني رغبة أو رهبة * ومعني إذ ذاك سكر الشباب *
وذل الاغتراب * والقوم قد باينوني بالنسبة * وفارقوني بالتربة * وإن
عرضاً صنته في غير مظنة الصيانة * بلخدير أن لا اهينه في غير موضع الالهانة
فقد يتنذل الشاب ويقول اتصون إذا شئت * ويمتحن الغريب ويقول اتعزز
إذا ابت * فما اعذر من يحتمل الذل وقد رجع إلى الوطن من الغربة *
وخرج من حد الشبيبة إلى الشيبة * وهل وراء الغاية منزلة * أم هل
بعد الشيب إلا الموت مرحلة * ورد على كتاب سيدي يدعوني * ومثلي

لَا يَجِيبُ دَاعِي الْقَوْلِ * دُونَ أَنْ يَصِدِّقَهُ دَاعِي الْفِعْلِ * وَبِالْجُمْلَةِ أَنَا قَدْ
تَفَارَقْنَا عَلَى حَالَةٍ فَإِنْ كُنَّا عَلَيْهَا وَالتَّمَيَّنَا فِيهَا فَأَخَّرَ التَّلَاقَ * أَوَّلَ الْفِرَاقِ * وَلَا
يَرْبِحُ مِنْ هَذَا اللَّقَا غَيْرَ تَخْرِيجِ فِرَاقٍ جَدِيدٍ وَتَوَلَّدَ حُزْنَ جَدِيدٍ * وَالْمَرَّةُ مِنَ
الْفِرَاقِ مَرَّةٌ فَكَيْفَ الْمَرَّتَانِ * وَالسَّهْمُ مِنْهُ نَافِذٌ فَكَيْفَ السَّهْمَانِ * وَإِنْ كُنَّا
تَغْيِيرَنَا عَنْ ذَلِكَ الْخَلْقِ * وَمَشِينَا فِي غَيْرِ تِلْكَ الطَّرِيقِ * فَيَجِبُ أَنْ نَدُلَّ عَلَى
ذَلِكَ بِالْأَحْوَالِ * لَا بِالْأَقْوَالِ * وَالشَّيْخُ خَلِيقُ أَنْ لَا يَفْلُ سَيْفًا شَحَذَهُ *
وَلَا يَضْبِعُ عِلْفًا اتَّخَذَهُ * وَلَا يَعْطِشُ زَرْعًا سَقَاهُ * وَلَا يَمِيتُ خَاطِرًا أَحْيَاهُ *
وَلَقَدْ أَرَخِيتُ عَنَانَ خُطَابِهِ * وَوَسَّعْتُ ذَرْعَ عَتَابِهِ وَلَكِنْ لَا خَيْرَ لِلشَّيْخِ فِيمَنْ
لَا يَحْمِي عَرَضَهُ * وَلَا يَسْخُو عَنْ بَعْضِهِ إِلَّا إِذَا أَفْسَدَ بَعْضُهُ * وَيَدُ الشَّيْخِ
أَطْوَلُ مِنْ لِسَانِي * وَأَمْرُهُ أَمْضَى مِنْ قَلَمِي وَبَنَانِي * فَلْيَنْلِنِي لَيْنَ مَسْهَا وَأَنَا
بَعِيدٌ * كَمَا نَالْتَنِي خَشُونَتَهَا وَأَنَا قَرِيبٌ * وَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مَتَى أَرَادَنِي خَيْرًا أَرْجِفُ
بِهِ النَّاسَ * وَحَمَلْتَهُ إِلَى الْإِنْفَاسِ * وَكَانَ أَوَّلَ رِسَالِهِ إِلَى عِزْمِي الْمُتَذَبِّذِ *
وَقَلْبِي الْمُتَقَلِّبِ * وَفِي الْأَرْضِ مَتَحَوَّلٌ * وَعَلَى اللَّهِ الْمَعْوَلُ *

* * *

«وكتب الى ابي محمد العلوي» :

بكتب الانام كتاب ورد فدت يد كاتبه كل يد

ينخر عن حاله عندنا ويذكر من شوقه ما نجد

ورد كتاب السيد اطال الله بقاءه * واجزل من كل خير قسمه * ووفر منه
مهمه وجعل امسه يحسد يومه * ويومه يحسده غده * فترع الطرف منه
بروضة مطورة * وحلة منشورة * ولآلي فرائد منشورة * وجال منه

الخاطر في حكم لا تعرف ولا تجهل * وفقر لا تترك ولا تستعمل * وفصول
يحسد عليها الخاطر الناظر عند الرؤية * ثم يحسد عليها الناظر الخاطر عند
الرؤية * وجعلت انافس فيه البياض الذي يحتوي عليه * واغبط به المداد
الذي جرى في طرفيه * واتمنى لو كانت اعضائي كلها نواظر تبصره *
ونواظر تتذكره * والسنة تكرره * على شريطة أن يكون الناظر لا يمل
لحظا * والخاطر لا يكل حفظا * واللسان لا يزل لفظا * فسبحان الله
كيف جعل محاسن القول والفعل إلى السيد محشورة * وعليه دون الانام مقصورة
وكيف لم يرض له بان يسود العالم شرفاً ونسباً * حتى سادهم علماً وادبا *
وكنتم تعتقد ان الكتابة سوادية ونبطية * فانا الآن اعتقد انها خراسانية وعلوية
وكنتم ارى ان المحاسن في الناس متفرقة * وانا الآن اراها في واحد مجتمعة
وكنتم احسب قول الحكمي :

وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد

كلام مهيب * وملتق متكسب .. حتى علمت انه قال ما لا يمتنع امكانه *
ولا يتعذر وجدانه * وليت شعري ماذا أقول في هذا الكتاب وقد سد علي
مسالك الصفات * وحمى على قلبي ولساني موارد التشبيهات * فاني أن
وقفت وقد اجريت لساني * وتوسطت ميداني * ذلك على عرقي في
الكوادن * وانسلخت عما سربلنيه السيد بشهادته لي من المحاسن * وأن
جريت وقد سد علي توسعة انفاس بياني * وافترع دوني ابكار الالفاظ
والمعاني * ناديت على نفسي بانه السابق وأنا اللاحق * وشهدت له علي
بأنه المسروق وأنا السارق ولكن الحازم يختار خير الشرين * ويرجع بين
المتماثلين * وانا استخير الله تعالى * واعدل عن الأولى إلى الأخرى *
واقول هذا الكتاب احسن من كل حسن * إلا من وجه كاتبه * ومن

خلق صاحبه * واغرب من كل غريب * إلا من السيد في زمان لا يسع فضله * ولا يقتضي مثله * واعمج من كل عجب * إلا من قيامي اعزني الله مقام المجيب * عن كتاب اقصى غايي ان اذريه واوسع خطي همي أن ارويه * وانور من كل نير إلا من أوقاتي بلقاء السيد فانها اوقات أيامهن قصيرة وسرورهن طويل * وسعودهن طوالع ونحوسهن افول واجل من كل جليل * إلا من مقدار اوبة السيد إلى بلد هو حال ياوبته * عاطل بغيبته * عامر به وان خلا من سواه خراب منه * وان جمع العالم إلا اياه * وتعرفت فيه من خبر سلامته ادامها الله له * ولي به * ما اوجب صيام ايام دهري * وقيام ليالي عمري * على ان تكون الايام في طول يوم يزيد بن الطثرية * والليالي في وزن ليالي النابغة الذبياني اردت بقول ابن الطثرية .

ويوم كظل الرمح قصر طوله

ويقول النابغة :

وليل أقاسيه بطيء الكواكب

لا بل على شريطة ان تكون الشمس النهار كشمس ذي الرمة التميمي * ونجم الليل كنجم العباس بن الاحنف الحنفي اردت بقول ذي الرمة * والشمس حيرى لها في الجو تدويم * ويقول العباس بن الاحنف الحنفي *

والنجم في جو السماء كأنه اعمى تخير ما لديه قائد

لا بل على شريطة ان تكون صفة الليل كما قال خالد الكاتب * وليل المحب بلا آخر * وصفة النهار كما قال الآخر .

ويوم كأن المصطلين بحـره * وان لم يكن جمر فعود على جمر ولئن اصبحت كل أيام الزمان صائماً * وكل لياليه قائماً * شكرا لله تعالى

على سلامته * ثم تصدقت بعد ذلك بعدد نخيل البصرة * وأجر الكوفة بل بعدد
 رمل الدهناء * ونجوم السماء * بل بعدد العالمين * وعدد نبات الارضين *
 بل بعدد قطر كل بحر * وتربة كل بر * وسراب كل قفر * وحوادث كل
 دهر وخواطر كل صدر * بل بعدد فضائل علي بن الرضى * ومحن محمد بن
 العباس الطبري * فانها اكثر من كثير * واكبر من الكبير * لم اكن وفيت
 النعمة على مهرها * ولا قدرتها حق قدرها * ولا بلغت غورها * ولا اديت
 شكرها ولا وفيتها بعض قيمتها ولا عشرها * الا اني لما عرفت قصوري عن
 قضاء الحق ووقوفى دون أدنى مسافات المجهود والطوق * قلت كلمة جعلها
 الله ثمنا لجنته ورضى بها ثوابا من نعمته * وهي الحمد لله رب العالمين * وصلى
 الله تعالى على سيدنا محمد وآله الطيبين * وعدني السيد من سرعة رجوعه عدة
 اخشى ان يحمله لؤم دهره على الرجوع فيها * وان يعلمه تنغيص ايام السرور
 فان الدهر بنس المعلم لبنيه * وبئس المثل لمن يحتذبه * وعهدي باليد لا
 يرجع في هبة ولا ينظر في اعقاب صلة * ولا يندم على حسنة * اللهم الا ان
 اكون اصبت كرمه * لحبي له * وعجبي به * فان عين الاستحسان *
 فة من آفات الاحسان * وفرط عجب العاشق بالمعشوق باب من ابواب التغير
 والتشكر * وسبب من اسباب التنقل والتحول * وانا والله اهتم على السيد عيني *
 وان كنت لا اهتم قلبي * وارضى لمودته نيتي * وان كنت لا ارضى لها
 طاقتي .

لي لسان كانه لي معادي ليس يني عن كنه ما في فؤادي
 حكم الله لي عليه فلو انصف قلبي عرفت قدر ودادي

قرأت الفضل المسجع فشغلني الاقتباس منه * عن الجواب عنه * ولقد عمد
 السيد الى كل سبعة متخبة في زاوية * ملقاة في ناحية * فالحمها بلجام *

وقادها بزمام * وغير بها في وجه سجعي الملتزق * وكلامي الملتق * وضربني
ضربا آلم الخاطر * وان لم يجرح النظار * وينكأ في الفهم * وان لم يؤثر في
الجسم * واوجع الضرب ما لم يكن معه البكاء * واشد الشكوى ما لم يخففه
الاشتكاء * ومن بلغ من البلاغة مقداره * واقتدر على التصرف اقتداره *
واحسن ان يسيء في معرض الاحسان * وان يعطي في اثناء الحرمان * وان
يمدح مدحا حقيقته هجاء * ويظهر رضى باطنه استبطاء * فيها انا ايد الله
السيد وقيد العي والقدامة * وجريح الخبل والندامة * اذا انتهت لقاء لشوقي
اليه * وتلهفي عليه * آثرت غيبته لحيائي منه * وقصوري عنه * فويلي من
فراقه اذا نأى * وويلي من لقائه اذا وفي * وكما قيل يا عبري مقبلة * ويا
سهرى مدبرة * ولكن :

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا ————— على ان قرب الدار خير من البعد

عجل الله تعالى اوبة هذا السيد على حالة تحكي وجهه ضياء * وخلقه سناء *
وجلسه بهاء * وقدره علاء * وعقله صفاء * وقلبي له نقاء * وودي له بقاء *
ونيتي فيه استواء * وتراب تشيعي له ولاهل بيت هو فيه زكاء ونماء * واراني
الله فيه من الصنع الجميل ما يستغرق نثر كل نائر * ونظم كل ناظم شاعر *
ويقع وراء ذكر كل ذاكر * وشكر كل شاكر * ولا زالت ايامه تصبحه
بكل فتح * وتمسيه بكل نجح * وتلاقيه بسعد * وتبصافحه بمجد * وتزوره بمجد
* وتودعه بحمد * لياليها اسحر * وظلمائها انوار * وطول اوقاتها قصار :

ان الليالي للانام منها ————— تطوي وتبسط بينها الاعمار

فقصارهن مع الهموم طويلة ————— وطواهن مع السرور قصار

وما ارضى للسيد دعائي بان يخرج على مقدار همتي * وينزل على حكم قدرتي

وقيمتي * ولكني اقول: جعل الله تعالى رزق سيدي في سعة همته * وماله في
 كبر قيمته * وعيشته في حسن شيمته * ونعمته في كثرة نعمته * ليكون دعائي
 مداخلا * ومدحي له مقابلا * وذكرى له بالجميل من كل جانب معما ومغولا
 ولتكون اقسام وصفه متعادلة * واجناس فضله متماثلة * ذكر السيد انه كتب
 جواب كتابي من الظهر الى العصر * ولقد استبطأته مع ما أعرفه من بعد غوره *
 وغزارة بحره * ولكني اغلقت لهذا الجواب بابي * وارخيت له حجائي *
 وضممت الى نشر كتب آدائي * وجلست من الدواوين بين آل الخراج وآل
 بويه * ومن بني الخصيب وبني مقله * ونشرت من المقابر آل يزداد * وآل
 شداد * وحشرت من الآخرة ابن المقفع البصري * وسهل بن هارون الفارسي *
 وابن عبدان المصري * والحسن بن وهب الحارثي * واحمد بن يوسف المأموني
 ووضعت عن يميني عهد ازديشير بن بابكان * وعن يساري كتاب التبيين
 والبيان * وبين يدي فصول بزرجمهر بن البختكان * وقبل ذلك رسائل مولانا
 الصاحب عين الزمان * وزين الشيب والشبان * فما زلت اسرق من هذا كلمة *
 وانظر من ذاك فقرة * واستعير من هناك نادرة وثيقة * اغضب الاحياء على
 بيانهم * وابش الموتى من اكفانهم * وانا في اثناء ذلك رطب اللسان بالدعاء
 رطب العين بالبكاء * ادعو الله بالتوفيق والتسديد * وبالعصمة والتأييد *
 واسأله ان يحفظني من نفسي * فانها اعدى الاعداء * ومن عجيبي فانه ادوا
 الادواء * ثم قمت فصيليت ركعتين * ختمت في كل ركعة منها ختمتين *
 واستعدت بالله من الشيطان الرجيم * وقلت بسم الله الرحمن الرحيم * وابتدأت
 فسودت هذا الكتاب كله * ثم نظرت فاذا انا قد تعبت وحبط العمل * وانتفت
 مالي وحج الحمل * السيد ابو الحسن اكثر الله في ابني طالب مثله * ولا سلبهم
 جماله وفضله * فان كون مثله في ابني طالب * رغم لانوف النواصب *

وهيئات لقد اعظمت غلطا * وسألت الله شططا * فنجمنا معاشر الشيعة النخس *
وحظنا من الاقبال انخس * من ان يفلح في الدنيا طالبي * اويسقي فيها ناصبي *
ومن حصل مثل هذا السيد والدا * فقد حصل المجد تالدا * وحق لمن كان
السيد اباه * ان يكون من الكرم اخاه * فيستويا بالانتماء اليه في الميلاد * وان
اختلفا في الولاد * فهذا بضعة من خلقه * وهذا شعبة من خلقه * ومن استقى
عرقه من منبع النبوة * ورضع من ثدي الرسالة * وتهدلت اغصانه على بيعة
الامامة * وتبجحت اطرافه في عرصة الشرف والسيادة * وتفقات بيضته عن
سلالة الطهارة * وتناول المعالي بيد طويلة * وجرى اليها عن غاية قريبة * لم
تستكبر منه حسنة وان كبرت * ولا تستصغر منه سيئة وان صغرت * فامتع
الله هذا السيد بهذا الولد * الذي لو لم ينتم اليه قولا * لانتفى اليه فعلا * ولو
لم نعلم ولادته من طريق الضرورة * لعلمناها من طريق القياس والفكرة * فان لسان
الشبه ناطق * وشاهد النجاة عدل صادق * وقد تكرم الاعراق فتخونها
الاغصان * وقد تسبق الشيوخ فتخلف عن مضمارهم الشبان * ولكن بنو
طاهر زينوا طاهرا * كما زان اباه طاهر * فكم من اناس لهم اول * وليس
لاولهم آخر * طولت على السيد بكلام اسفيد باجي قليل العظم * منحل النظم *
داعية الى التكرار والاختصار * يمشي في طريق الاقتدار * فان رأى السيد ان
يعير هذا الهذيان اذنا واسعة * ونفسا صابرة * ويتضحك له تضاحك
المعجب به ليغلط به العامة * وان عرفته الخاصة فعل .

* * *

«وكتب الى تلميذه قصيدة يسأله نسخة قصيدة مما أحدثه»:

وصلت القصيدة الغراء الزهراء * فكانت ارق من الماء * بل من الهواء *
والذ من الصهباء * واسر من اللقاء بين الاحباء * ومن هجوم السراء * غب
الضراء * واعذب من مغازلة النساء * ومن مجالسة الندماء * ومن مساعدة
القضاء * ومن معاقرة الشراب على الغناء * ومن استماع فوائد الحكماء *
وخطب البلغاء وقلائد الشعراء * ومن اخذ جوائز الامراء * وتحصيل مراتب
الخلفاء * فكانت معانيها ابدع من الوفاء * واعز من السخاء * واغرب من
النصفة في الاصدقاء * ومن الامانة في الشركاء * بل اغرب من المغرب
العنقاء * والفاظها احسن من البدر في الظلماء * واطيب من وصال الحسناء *
ومن افتراح العذراء * ومن الشماعة في الاعداء * بل كما قالت الست سكية
بنت امير المؤمنين الحسين رضي الله تعالى عنهما * كنت احسن من السماء *
واعذب من الماء * لا بل كانت اهنأ من الشفاء * بعد انداء * ومن الرضا
عقيب البلاء * ومن النعماء في اثر البأساء * ومن استجابة الدعاء * وتحقيق
الرجاء وفتحها عن الوشي الوشاء * وعن الروضة الغناء * لا بل نشرتها عن
الزهرة الزهراء * وعن الغرة الغراء * وعن الذرة العذراء * ورأيتك نطق
بها وعن يمينك التأيد * وعن يسارك التسديد * ومن ورائك الجد السعيد * وانما
صنعها صنع من طب لمن حب * فاني اشهد انك اطب من كل طبيب *
واني اليك احب من كل حبيب * واذا صدر الكلام عن صفاء ود * ونقاء
عهد * وخرج من متفضل الى مستأهل حضره من التوفيق اذن واعية * وهمة
كالية * وصحبه من التسديد عين راعية * وقوى مراعبة * ولم يكن للاخطأ
طريق اليه * ولا للخطل مجاز عليه * وانما بز القول يحسنه القائل على مقدار حصه

من يهديه اليه * ورغبته فيه * وموضعه منه * وانت ايدك الله تحفني بما لا
استأهله الا على قدر حصتي من قلبك * وموضعي من حبك * ولو عاملتني
على طريق المجازاة * لا على طريق المحاباة * لخرج لك على غايط كثير *
وحاصل كبير * وقد حملت اليك نسخة كلمة قلتها * فرضيت بها عن شيطاني *
وصالحت لها قلبي ولساني * ولعمري لقد أكلتها من جراب الدق * وورثتها من
كيس اللب * وعبأتها من رزمة الخاصة * ونسجتها على منوال النصيحة *
وقلبت لها جريدة التصفح والتخير * ونشرت فيها صحيفة التدبر * ونظفت
طرفها من اللفظ المستبرد * ومن المعنى المردد * وصقلتها بمدوس النظر *
وجاوتها بكف التفكير * ووكلت بها من اتميز جفنأ ساهراً * ولمحأ باصراً *
حتى دارت في كوكب التنظافة * وخرجت في معرض الطرف واللاطفة *
وحتى بدت عروساً تفتن الناظر * وتغطي المناظر * وحتى حذيت حذاء
الحضرمية ارهفت * وأجادها التحسين والتلسين *

* * *

« وكتب الى حاجب الوزير بن عباد

وقد وردت عليه كتب ثم انقطعت » :

أما قصور أجوبة كتبي فاني لا أعاتب الحاجب عليها * ولا أوجه الشكاية
عنه اليها * فأنا ولا كفران لله تعالى في زمان يجب أن يجري الجفاء فيه مجرى
العادة والسجية * ونضعه موضع السنة بل الفريضة * ونقيمه مقام الجيلة
والشيمة * فننظر الى حفظ العهد بين الشمامسة والطرفة * وننزل منزلة الغربية
والنادرة * ونحكم عليه بنقض العادة وخلاف الجيلة * عل أني اذ كنت
استثني الحاجب من غيره * وأميزه بالفضل وسائر خصال الخير عن أبناء دهره *

واعتقد أني قد ضمت يدي منه على ذخيرة ليس للزمان فيها عمل * ولا عايتها
 للحوادث والغير مدخل * فإن صدق ظني فقد غرست في أرض كريمة * وبنيت
 * مسألتي على علة صحيحة غير سقيمة * وان تكن الأخرى فعادة من عادات
 الأيام * وغاية من غلطات الاوهام * وعين عاينة من عيون المعجذ * وعارضة
 من عوارض الوفاء وصحة العقد * وما خاوت منذ تفارقنا من نفس تتد في
 الأضلع * وذكر تفيد له الأدمع * ولا أنسى تلك الأيام الطويلة القصيرة
 بصحبته * والليالي المظلمة المغمرة بدواعيه * ولا أنفكر في صغر حجم المقام *
 وتوابع خطر تلك الأيام * إلا أنشدت :

لم أستم عناقسه للقائه حتى ابتدأت عناقسه لوداعه

وإذا كان في قصة الشعراء * وفي شريطة الوصافين والبلغاء * أن الوقت
 الطيب قصير وان لم يقصر * كما ان غيره كبير وان لم يكبر * فعلى هذا
 القياس ان أيامنا كانت قصيرة مرتين * وقليلة من جهتين * اما الاولى فقصر
 الأمد * وقلة العدد * واما الثانية فصفاء الوقت من الكدر * ونقاؤه من ضر
 الحوادث والغير * فسبحان من جعل محنتي زائدة على محن الناس * وفاضلة
 عن معاسير العادة والتمياس * حتى أن نقصان أوقاتي المسعودة * وأيامي
 المحمودة * حصل مثنى مثنى * ورجحانها يحصل فرادى فرادى * كما أن
 نحوسي لا يجب أن يجيئني الا غريبة عجيبة * ولا يمكنها أن تسلك طريقها إلي
 حتى تقود حبيبه * وصلت الرسالة والقصيدة * وكانت الأولى ماء زلالا *
 والأخرى سحراً حللاً * وما منهما إلا قريب شاسع * ومما منع * كالشمس
 تقرب سنا * وتبعد سناء * وتنال ضياء * وتبعد علاء * وكالماء يرخص
 موجودا * ويغلو مفقودا * ورأيت فيهما من غرائب الرجحان * ما نقض
 عادة الزمان * حتى لقد قامت الحيرة منهما في وجه عامي * وحتى لقد توقفت

بين فهمي ووهمي * والآداب كلها زين * وهي اذا تكافأت أزين *
 والمعارف كلها حسنة وهي إذا تقابلت أجمل وأحسن * والكتابة آلة
 عجيبة * وهي من الشاعر أعجب * كما أن الشعر صناعة غريبة *
 وهو من الكاتب أغرب * وإذا ورد علي من الحاجب كلام فضلته على ما قبله *
 واستثنيت في التفضيل ما بعده * لعملي أنه قد امتطى من الاقبال مطية لن تقف
 به إلا على الغاية * وسلك من السعادة طريقاً يؤديه الى الزيادة * وابتدأ في وظيفة
 من الجمال * لن تختم له الا باقصى غاية الكمال * وانا اسأل الله تعالى ان
 يجعله في هذه الصناعة نجماً يهتدي بأثره * ودليلاً يورد بورده * ويصدر
 بصدرة * وان يقيم لكلامه علماً يرمقه البعيد * ويستندري به القريب * انه
 قريب مجيب * والحمد لله الذي جعل الحاجب يضرب في المحاسن بالقدح
 المعلى * ويسمو فيها الى الشرف الاعلى * ولم يجعل فيه موضعاً للولا * ولا
 مجالاً لالا * فان الاستثناء اذا عرض في الكلام نصب مأوّه * وكدر نقاؤه
 وصفائه * ونطق فيه حساده واعدائه * ولذلك قالوا ما املح الظبي لولا
 خنس انفه * وما احسن البدر لولا كلف لونه * وما اطيب الخمر لولا الخمار
 وما اشرف الجود لولا الاقتار * وما احمد مغبة الصبر لولا فناء العمر * وما
 اطيب الدنيا لو دامت واستقامت *

ما اعلم الناس ان الجود مكسبة للمجد لكنه يأتي على النشب

* * *

«وكتب الى محمد بن حمزة رئيس خوارزم»

ورد كتاب الشيخ فاورد من السرور * اضعاف ما كان فيه من السطور *

بل اعداد ما كان فيه من الحروف * بل اضعاف ذلك بالالف بل الوف *
 وفهمته اما ما ذكر الشيخ من انثيال الناس عليه * يستعبرونه نسخ كتي اليه *
 فانما حملهم على ذلك عجبهم بي * وصار سببا لعجبه بكتبي * وصار ذلك
 داعية الناس الى عجبهم بها * وحاملا لهم على انتساخهم لها * وهم في ذلك
 رجلان * اما احدهما فانه يتبرك باتباع رأيه * والسير تحت لوائه * واما الآخر
 فانه يتقرب اليه بمجانسته * ويتشرف بين الناس بمناسبته * والا فهذه الكتب
 ايبس متونا * واقل عيونا * من ان يفخر بها على * او يرغب فيها مستملى *
 او تشغل بها الاقلام والدفاتر * او يوقف عليها ناظر او خاطر * او يحرص
 عليها كاتب او شاعر * ومما يحملني على التجوز فيها * وبنهائي عن الاحتشاد
 والتكلف لها * اني اصدرتها الى حضرة من اذا رأى سيئة ستر وغفر * وعذر
 واعذر * وان رأى حسنة نشر واطهر * وقرر وكرر * وفكر وصور * وجعل
 الخمسة عشرة * والعشرة خمسة عشر * وسيرد كتابي بعد هذه الكرة الى
 الشيخ مشيع الفصول * ضافي الذبول * وافي القسم من العرض والطول فقد
 وافق مني هذه الكرة ساعد فصادواهن الآلة * واورث الكلاله والملاله
 وعاجلني الفتح ملازما بالباب * مطالبا بالجواب * مجاوزا باب المسألة الى باب
 العتاب * فكتبت وسرح البديهة عازب * وماء القرية ناضب .

* * *

«وكتب الى كاتب الرئيس بنيسابور»

ليت شعري ما صنع بعد العهد * بقلب سيدي هل غيره عما عهدته عليه من
 إقامة رسوم الود * وتوثيق أطناب العقد * أم هب عليه رياح التنقل والتحول
 ومد إليه يد التغير والتبدل * فان ذلك صنع الأيام بالقلوب وتقلبها يمينا
 وشمالا وتلونها حالا فحالا * بل ليت شعري هل نسي سيدي من لا ينساه .

وسلى من لا يسلاه * واستبدل بمن لا يريد إلا اياه * ولا يعتاض من
لقيه غير ذكراه * وهو صديقنا أبو بكر الخوارزمي الطبري اعزه الله تعالى
أم هو على رخم ظني به وكذب وهمي عليه * ثابت ركن انصفاء * صافي
شرب الاخاء * حافظ علي الغيب ما كان يحفظه على اللقاء * فقد علم الله
أنه تقاسم قلبي هذان الظان ونازحني في علمي به هذان الطريقان * فان ملت
إلى أولهما وهو أغلبهما على وأقربهما إلي * ذهبت في القياس بالناس على الناس
مذهباً شديداً * ووقف بي سوء الظن بالزمان وأهله موقفاً قريباً بعيداً * وأن
ملت إلى الثاني فسيدي أيدى الله تعالى يستحق أن يستثنى من غيره * وأن يحكم
له بحكم يباين به أهل عصره وأن يكذب فيه الظن إذا نسبته إلى مجانسة الدهر *
ويرد له القياس إذا قضي عليه بمعاونة التلون والغدر * وأنا الآن في هذه الحملة
واقفي وعنده بي لا أتواضع لمذهب الواقفية * ومزجي وما كانت تطمع في
مثلي شباك المزجية * فكيف أعاتب سيدي بل كيف أعاقبه * بل كيف
أخاصمه وأوابه * بل كيف اطاعته واضاربه * وأقل ما جنته علي غيبته
أني كنت معتزلاً * فصرت مزجياً وقاطعاً على صحة مذهبي فعدت به واقفياً
هذه أصغر جنايات فراقه علي * وأقل صنيع وداعه إلي * ثم أني بعد هذا
كله طويل الليل منذ فارقت بل قصيره وقايل الأنس بعده بل كثيره * أما
طول ليلي فلتذكر لي طول غيبته * وأما قصيره فلقطعي له بتمني أوبته * وأما
قلة أنسي فلبعده عني الآن وأما كثرتي فلتعلم لي قرب الدان ولتصوري طلعتني في
قابي وعيني ونظري إليه عن مرآة من هاجسي وظني على أنني أرجو أن خطو
أيام الفراق قد قصر * وأن حجمها قد صغر * وأن سيادي وارد قبل أن
يبرني بالجوَاب عن هذا الكتاب * ولعمري لئن ورد علي قبل أن يكتب
الجواب إلي * لقد بر الكاتب * وإن عني الكتاب * فيكون قد بر بالكبير

الكبير * وعق في الصغير الصغير * ولأن يونس عني بلحظه * أحب إلي
من أن يؤنس سمعي بلنظله * وأن كان كلامه في نفسي ماء زلالا * وفي
أذني سحراً حاللاً * وكلام الحبيب حبيب * وكل شيء من القريب
قريب * قال جرير :

إن البلية من يمل كلامه فانقع فؤادك من حديث الواثق

وقال غيره :

وإذا كرهت فتى كرهت كلامه وإذا سمعت غناه لم تطرب

أردت * كاتبة الرئيس ثم أشفت على سمعه أن أملاه بالكلام الغث * وعلى
ناظره أن اشغله بالخط الرث * ورأيت رثاء بلاغي أقصر * وقيمة ألفاظي
التي فيها أقل واحقر * من أن اعرضها لنظره * وأمرها على سمعه وبصره
واتعرض بها لخطه اسلم طرفها طريق العذر * وآمن مسالكها مسلك التغافل
والستر * ومن فطن لعبه فقد استتر * ومن عرف ذنبه فقد اعتذر * ومن
مد يداً قصيرة ليتناول بها غاية بعيدة فقد استهدف لسهام التوقيف * وقعد
على قارعة التقرع والتعنيف * وسيدي يعتذر عني إليه * ويقرأ سلامي
عليه * ويعرفه عني أني أعد نيسابور رستاقاً إذا غاب عنها واعد الرساتيق
تصبه إذا أقام فيها * وأني لا آنس بشيء إذا غبت عنه * كما لا استوحش
من شيء إذا قربت منه * والله تعالى أسأل أن يرد علي نيسابور بهاها *
ويعيد إليها بطلعنه سناها وضياها * ويحلي بشمسه ظلماتها * وأن يجعل
نعمته عليه الوفا لا عزوفاً * فإن النعمة إذا التفت قرت * وإذا غرفت فرت
لأنها لا تألف إلا مكاناً تتزين بنزوله * ولا تقيم إلا على باب لا تأنف من
دخوله * ولا يطول مكثها إلا في بيت لا يشرف فيه مجال * وللمادح فيه
مقال * وللادب فيه ممرح * ولعصا الأمل فيه مطرح * فان أصابت مثل

هذا المكان نفضت غبار الترحال * ونسيت حديث الزوال والانتقال *
 وخالطت خلطة الشركاء * وواصلت وصلة الاقرباء * وصارت من الاجداد
 إلى الآباء * ومن الآباء إلى الأبناء * وإذا كان نزولها في مكان هي فيه
 غريبة احتشمت حشمة الغرباء * وانقبضت انقباض الاجانب البعداء * أو
 تقلبت إلى الارتحال * وأقامت بين الدلال والادلال * ولم يكن مقامها إلا
 عدد أيام * واضغات احلام * وإنما النعمة انثى إذا أصابت كفوا ناكحت
 وإذا صادفت غير كفو سافحت * فهي تقيم مع اكفائها الشهر والدهر *
 وترحل عن غير اكفائها الظهر والعصر * وأين يقع مقام الحليلة خليها *
 وأن ما أسسه الحق وبنته الشريعة * خير مما أسسه الباطل وبنته البدعة * والله
 تعالى يطيل بقاء * ويجعل من يحسده فداه *

* * *

«وكتب الى ابي الحسن الحاكم بن أبي حاتم لما هرب من نيسابور الى
 بخارا بعد ان أرادوا القبض بها عليه بعث خلفه فلم يجده»

ما زلت انشد ايد الله الحاكم قول الاول :

رب امر تتقيه جر نفعاً ترتجيه
 خفي المحبوب منه وبدا المكروه فيه

فانظر إلى تنزيله * ولا اقف على حقيقة تأويله * وارى ظاهره * ولا
 استشف باطنه * حتى خرج من خروج الحاكم ما جرى * ووقى الله من
 المكروه في ذلك ما وقى * فعلمت حينئذ ان الطاف الله تعالى تسير إلى عباده

في طرق خفية المذاهب * دقيقة الجوانب * وان السلامة ربما نشأت في
 معرض الخطر * وان الامن ربما ظهر في قالب الخوف والحذر * وانا
 لشي ما امرنا أن نستعيد من شر ما ندرى وما لا ندرى * وما كنت أشعر أن
 فراق الصديق يسر * وان الاجتماع معه يضر * ولا كنت اصدق ان الداء
 يستحيل دواء * ولا ان الدواء يجلب داء * ولو رأيت في المنام أني فارقت
 الحاكم ولم يتفطر عليه كبدي حرقات * ولم تذهب نفسي في اثره حسرات
 لتعوذت بالله من شر منامي * وسألت العافية من طوارق احلامي * ولظننت
 أن تلك الرؤيا نتيجة فكر ردي * وبخار خلط سوداوي * وأني إنما دفعت
 في منامي إلى مثل هذا التخليط * لأكل الباذنجان والقنبيط * فانهما منابع
 السوداء * على مذهب الاطباء * والآن فقد فارقت الحاكم وانا ضاحك
 السن قرير العين * قليل الحزن جلد على وقع سهام البين * لأنني رأيت
 العافية وهي متعلقة بذنب رحيله عنا * وإلى البلايا وهي مشتملة على قربه منا
 فاخترت على مقامه رحيله * وآثرت اغتنامي له * وقلت يا عين * لأن
 ترى فراق ما تحبين * خير من أن ترى في من تحبين ما تكرهين * فالحمد
 لله الذي اقصى بي من المكروه إلى اخفه وقعاً * واقله لدعاً * وانتهى بي من
 المحنة إلى غاية لم تستغرق اقصى امكان الدهر * ولم تستوعب ابعد غايات
 التجلد والصبر * وما نقص من النشر * فهو زائد في اقسام الخير * وما
 وقع من المكروه فهو محبوب وإن كره ظاهره * ومحمود وإن ذم عاجله *
 وما كنت احسبني اعيش حتى احمد الله على فراق الاصدقاء * واتكلم في
 مواقف الضراء * بما يتكلم به في مواقف السراء * ولقد اغرب علي الدهر
 وما كنت اظن يغرب علي * ويزيد من بواده على ما لدي * هذا أيد الله
 الحاكم وقد بث الاعداء شباك الغدر * ونصبوا حبال المكر * واستفرغوا

في السعاية جهدهم * واخرجوا اقص ما عندهم * فابى الله تعالى وله الحمد
 إلا أن يقع في البئر من حفر * وأن لا يحيق المكر السيء إلا بمن مكر *
 وخرج الحاكم من غيابة تلك الأحوال * خروج المشرقي من الصبقال * وقد
 فديت عنه عين الزمان * وقصرت دونه خطوة الحدثنان * إذا أذن الله في
 حاجة * اتاك النجاح بها یركض * إذا الله سنى عقد شيء تيسرا * والحمد
 لله الذي لم يرني وجه الحق اسود * ولا ناظر العدل والتوحيد ارمد * ولم
 يشمت الناقص بالفاضل * ولم يضحك الحق سن الباطل * ثم الحمد لله
 الذي جلى تلك الضبابية * وقشع تلك السحابة * وغسل عن وجهي وعن
 وجه أهل الحق تلك الكآبة * ثم الحمد لله انذني ختم للحاكم بالمصير إلى حضرة
 تترفرف عليها الرجال * وعليها تحوم الهمم والآمال * وإليها تنتهي الرغبة
 والسؤال * فلا مجاز لهمة خلفها * كما لا منتهى لها دونها * ولا غاية
 لطالب قبلها * كما لا نهاية له بعدها * وارجو أن اناهر المحارب قد سالم *
 وأن البخت المعاند قد سلم * وأن مدة النمرة قد تناهت * وأن غاية المحنة
 قد انتهت * وأن عسكر النحوس قد عزم على التمنول * وأن نجم الهم قد
 أذن بالأفول * وأنا بعد هذا كله اتعجب من كثرة قولي الحمد لله ثم الحمد
 لله * وأقول هذا حمدي على فراق الاصدقاء * فكيف حمدي على اللقاء *
 وهذا شكري على المحنة * فكيف به على المنحة * وقد كان مات لعبد
 الملك بن مروان ابن فقال الحمد لله يقبل أولادنا ونحبه * وأنا أقول الحمد لله
 الذي فرق عنا أخواننا ونحمده *

* * *

« وكتب الى وكيل الوزير ابن عباد بأصفهان وقد ولي سوق

الطعام بعناية وهو أمي » :

كتابي وقد علم الله تعالى ان امرك مستول على افكاري * وشاغلي عن
ساعات ليالي ونهاري * فاذاك بصدد شغل ان كفيته لم تشكر * وان عجزت عنه
لم تعذر إذ كان الاحسان في شرطك * والاساءة غير مظنونة بك * والذي اراه
لك ان تقسم لكل ساعة حقاً من نفسك * وتصرف إلى كل وقت طائفة من
شغلك * ولا تبیت ليلة الا وقد اقمّت وظيفة يومها * ولا تمر بك ساعة إلا
وقد توفرت عليها بقسمها * ولا تؤخر عمل اليوم إلى الغد * ولا تهمل نفسك
في شغل السبب إلى الاحد * فان الاشغال إذا تراحمت اعمت الناظر * وشغلت
القلب والخطر وبلدت الكافي والماهر * وكيف مثلك وانت اعزل اليد من
سلاح الكتابة * مصروف عن اعظم حظوظ الكفاية * فاياك وتعريض مائي
عند ولي نعمتي للنضوب * ووجهي للشحوب * وعلى بن سعيد ذو القلمين *
والفضل بن سهل ذو الرئاستين * واسحق بن كنداح ذو السيفين * وصاعد
بن مخلد ذو الوزارتين وفي المتقدمين خزيمة بن ثابت ذو الشهاداتين * وقيس
بن مسعود ذو الجلدين وابن الشريد ذو السهمين * والنعمان بن المنذر بن ماء
السماء ذو القرنين * وكعب بن مانع ذو الكتابتين * وجعفر ذو الجناحين *
وعثمان ذو النورين * وفلان ذو اليدين * وفلان ذو الشمالين * وفلان ذو
البردين * وعبدالله ذو النجادين وابو بكر الخوارزمي ذو الغرامتين * وذلك
أنّي ثقلت على ولي نعمتي مرة في حوايجي ثم اثقل عليه اخرى في حوايجك
ثانية * على انه ايده الله تعالى واسع الحكمة طويل الخطوة * كثير التوسع
والمساحة في باب الاموال مع انكمال * يسامح في بدرة سائلا * ويضايق في

حبة عاملاً * وكذلك الكريم يتسع من حيث السخاء ويضيق من حيث الوفاء *
ويبتذل ماله تخرجاً * ويحمي دينه تخرجاً * فلا يحملني معه على خطئة ان اجابني
منها إلى مرادي استوحش * وان منعي اوحش ولا تأمن السم باصفهان * إذا
كان درياقه بخراسان * وفي هذا القدر ذكر لمن كان له فاب * واغاثة على من
له لب * الاستاذ فلان ايده الله تعالى * قد كثرت كتبي اليه * وطال وعرض
صداعي عليه * ولذلك لم اكتبه في هذه العلة التي عظم موقعها مني * وجل
خطرها في قلبي وعيني * ولقد اعتل بعلته الكرم * وشكا شكاية السيف والقلم *
وكسفت به شمس الادب * وتزعزع له عرش العرب * فانما عاة مثله تغير
عالم * وفساد امم * وخراب مسالك * واضطراب ممالك * وكرة النقص
على الفضل * ودولة الجهل على العقل * ووهن على العلم واهله * وفترة في
الكرم وحزبه * فالله تعالى يعيد بصحته إلى الدنيا ضيآها * ويرد على السحب
ماءها * ويجعل ما يستأنفه من عمره * ويقتبله من عيشه * مصفى من الغير *
منقى من الوضر * وخالصاً من كل خوف وخطر * وصافياً من كل شوب
وكدر * ليكون ما مضى كفارة * وما بقي نعمة * سيدي فلان قد فطمني عن
عادته الجمية * وارنجع ما كان عندي من عطيته الجزيلة * وقطع عني كتبه
التي إذا وردت إلي حسدت على لمسها يدي * وعلى لحظها عيني * واحتسب
على ما زاده الله تعالى جلاله قدر * وكمل كمال بدر * ولكن تلك الزيادة
يحاسب عليها الاعداء لا الاصدقاء * فأما من هو شريك فيها وآخذ بقسم منها
فلا بل زيادة النعمة توجب زيادة الصدقة * وفضل المال يقتضي فضل النوال *
والتواضع في الرئاسة * احدى شبائك السياسة * فاقرأ اعزك الله تعالى سلامي
عليه * وعرفه أني قد كنت رويت ابياتاً والقلب غير مقسم الافكار * والحفظ
غير كليل الفرار * فلما سلبني الدهر ثوب الشباب * ومزق علي رداء الجمال

والكمال نسيتهما * فلما عاملني سيدي فلان بما ذكرته ذكرتها ولقد احسن إلي *
 من حيث رد روايتي علي * وان كان اساء لي من حيث ارتجع مني بره *
 وجانس في دهره * وفديت من له اثناء كل مساء منه مسرة * وفي ضمن
 كل جفوة منه مبرة * ومن إذا احسن كان احسانه خالصاً من كل شوب *
 وصافياً من كل عيب وريب * وان اساء كانت اساءته بالاحسان مشوبة *
 وإلى غير جهتها مقلوبة .

والايات :

| | |
|-----------------------------|------------------------------|
| كفى حزناً ان لا صديق ولا اخ | يفيد غناء لا يداخله كبر |
| والا التوى او ظن انك دونه | وتلك التي جلّت فما عندها صبر |
| فلا نال فوق القوت مثقال ذرة | صديق ولا اوفى على غيره اليسر |
| وما ذاك إلا رغبة في وصاله | والا حذاراً ان يميل به الدهر |

* * *

«وكتب الى أبي القاسم الدوادى اول ما افتتح بمكاتبته :

كتابي وعزيز علي ان يجمعني والفقير بقعة * او تشتمل علينا جملة * والكتابة
 فيما بيننا دراسة الاثر * مهملة الورد والصدر * واشد على من هذا ان افتتح
 ذلك بسؤال حاجة * او امزج ماءه وبهاءه بتكلف كلفة * ولقد حاسبت على
 هذا نفسي * وعاتبت فيه قلبي * فرأيت ان جفاء يؤدي إلى البربر * وان
 ذنباً ينتسب إلى العذر عذر * وان حاجة حملت على طي بساط الحشمة *
 وعمارة طريق المكاتب والمباطنة * حاجة عظيمة البركة * محمودة التفصيل
 والجملة * فعذرت نفسي اعزني الله تعالى قبل ان تعذر * وغفرت لها قبل

ان تستغفر * ونسيت قول الاول :

وما حسن ان يعاذر المرء نفسه وليس له من سائر الناس عاذر

حتى كان هذا البيت لم يجر بين قلبي وكتبي * ولم يسافر بين جنبي وقلبي *
وحتى كأني لم أدرسه صغيراً * ولم أدرسه الناس كبيراً * وحتى كأني لم ار
الديوان الذي هو فيه * والشعر الذي هو بعض قوافيه * والعجب أني في هذا
الفصل بينما انا اعتلر * إذ صرت افتخر * وبينما انا اضع من نفسي لجنايتها *
إذ صرت اعدلها لحفظها وروايتها * وهكذا من جمع به قلبه وبنانه * واستنزله
تبيينه وبيانه * بل هكذا يكون من جرى في ميدان الكتابة وهو راجل * ورمى
في هدف البلاغة وسهمه افوق ناصل * ثم نرجع إلى حديث المكاتبة * والله
لو كان من النورق اعز من الوفاء * واغرب من السخاء * والقلم اغلى من
الماء * في وسط الدهناء * واقل من المغرب العنقاء * واعوز من الكمال في
النساء * ومن الصدق في الشعراء * ومن ترك الريا في القراء * والخبر والمداد
اضيق من الانصاف في الاصدقاء * وحسن العشرة في الندماء * بل اضيق من
امانة الشركاء * بل اضيق من خاطر أبي تمام حيث قال * قدك اتب افرطت
في الغاواء * حتى كأنه لو لم يقع على احلى من هذا الابتداء لما كان لي عذر في
ترك مكاتبة الفقيه * وبينني وبينه ثلث للخريطة * ومسيرة سبع للقافلة * هذا
في الظاهر فأما في الحقيقة فبيننا ألف فرسخ بذراع الميل * وخطوة الفيل *
الخطوة بين المتحابين * فراسخ كثيرة * ومراحل طويلة عريضة * ما زلت
ايد الله الفقيه اورد على قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي *

يا اهل بابل ما نفست عليكم من عيشكم الا ثلاث خصال

ماء الفرات وطيب ظل بارد وسماع محستين لابن هلال

فأقول هلا حسد أهل العراق على المتصرفين * او الرافدين * او على الرطب
السابري * والتين الوزيري * والعنب الرازي * او على فرضتهم من ماء

الساج والعاج * وطرارهم بنو الخز والديباج * لا بل هلا حسدهم على
 ان فيما بينهم مشهد امير المؤمنين سيد الاوصياء * ومشهد الحسين سيد الشهداء *
 وهلا حسدهم على ان ارضهم واسطة العماراة في خط الاعتدال * بين الجنوب
 والشمال * وهلا حسدهم على ان الرأي كوفي * والاعتزال بصري * والخط
 انباري * والحساب سوادي * والتشيع عراقي * وهلا حسدهم قراء الكوفة *
 وعباد البصرة وابدال الابلّة وعلى من هاجر اليهم من الصحابة * ونبغ فيهم
 من التابعين وابدال الامة * وما انذي خالف به إلى ان حسدهم على ظل هو
 مشترك بين سائر البلدان * وعلى قنيتين كسائر القيان * بكل مكان * في كل
 زمان * حتى حدثت نفسي بمنافضته * وحملت خاطري ولساني على معارضته *
 فاذا انا جالس تحت قول الطائي :

نقضينا للحطيئة الف بيت كذلك الحي يغلب الف ميت
 إذا ما الحي هاجى حشو قبر فذلكم ابن زانية بزيت

وتذممت من ان اعارض بلسان خوارزمي * وعقل طبري * وخاطر اعجمي
 من لسانه عربي * وعقله قرشي * ونشؤه مكبي * وظرفه محزومي * فعدلت
 عن المعارضة إلى المناقلة * فقلت يا اهل هراة ما حسدتكم الا على ثلاثة: مشهد
 عبدالله بن معاوية الجعبري فيكم * وكون أبي القاسم الدوادى منكم *
 وحصول شراب الكشمش لكم * وان بقعة خصت بالفقيه لوافرة القسم من
 الاقسام * معلاة السهم من بين السهام * غير عاتبة على الحظوظ والايام *
 فلا زالت البقاع يبقائه تضيء وتزهر * والايام يجماله تتباهى وتنفخر * ولا
 زالت الفصاحة من لسانه في مسكن لا تريد منه بدلا * ولا تبغي عنه حولا *
 ولا زال العلم يأوي منه إلى ركن منيع * وجناب مريع * واطال الله تعالى

للدحاسن بقاء ولا سلبه زينه وبهاه * وجعل من يحسده فداه .

* * *

« وكتب الى تلميذه رسالة وقصيده » :

وصل كتابك المبشر بخبر افاقتك عن علتك * بشارة لو تصدقت
لها بمالي وذبحت لها على وجه القربان أطفالي * لكان ذلك صغيراً
جلا * ومباحاً مبتذلاً * وفي ضمنها القصيدة التي كبرت بل
صغرت * وقلت بل كثرت * اما كبرها وكثرها فليجلالة قدرها * وعظم
امرها * واما صغرها وقتلها * فلانها في جريدة الشعر وحدها * لا مثل لها
قبلها ولا بعدها * وفهمتها وتعجبت من اعتذارك بالعلة * وما ارى هذه العلة
زادتك رجحاناً * ولا نقصتكم الا نقصاناً * ونقصان النقصان اول الرجحان *
كثر مدحي ايدك الله تعالى لما يرد على من نثرك وشعرك * بل درك وبحرك *
حتى خشيت ان يحسب أني ازف مدحي إلى كل خاطب * وابدل شهادتي لكل
طالب * وان يظن أني اقارضك الثنا * واصارفك الجزا * ولا والله مالي للنديا
استحسان * الا وإلى جنبه إحسان * واني لضيق ذرع التزكية والثناء * قصير
خطي المدح والثناء * محاسب لتقليبي إذا مال * وللساني إذا قال * لا امدح إلا
مدوحاً بكل لسان * ولا ارضى الا مرتضى بكل مكان * ولا أقبل مدلس
الفضل * ولا أتبع مغشوش القول والفعل * ولا يستغزني رعد كل سحب *
ولا يستخفني طنين كل ذباب * وسرعة الشهادة طريق من طرق الخفة *
وابتذال المدح والتزكية باب من ابواب الزلة والمأق * والمجازفة بحساب القال *
اقبح من المجازفة بحساب المال * لان الغلط في المال سماحة وندي * والغلط

في المقال حمافة وعيا * واقضى غايات فوات المال ان يكون من صاحبه فقيراً *
 وادنى غايات فوات الصواب ان يكون صاحبه سخيلاً حقيراً * وبين الخسرانين
 نفس مديد * وبون بعيد * ومن لم يعرف صرف ما بين النقصانين * لم يعرف
 صرف ما بين الخسرانين * ومن لم يحس بنقص ما عليه * لم يحس بفضل ماله *
 ومن لم يحاسب نفسه سرّاً * حاسبه غيره جهراً * ومن لم يكبح عنان لسانه
 وقلمه بيد التأمل ولسان انتبين * جمحاً به إلى غاية اولها ندامة * وآخرها ملامة *
 جعلنا الله تعالى ممن إذا تكلم لم يضع زمام كلامه في يد هواه * وإذا شهد لم
 يلتق رق شهادته في عنق سخطه ورضاه * وحشرنا في زمرة من إذا تكلموا
 كانوا غانمين * وإذا سكثوا كانوا سالمين * انه ارحم الراحمين * رجعنا إلى
 حديث الرسالة والقصيدة * نظمك ايدك الله تعالى احسن من نثرك * ونثرك
 احسن من شعرك * فكل واحد منهما عيار على صاحبه حسناً وجمالاً * ومثال
 له تماماً وكالاً * فالحمد لله الذي جعل بيانك متكافئ الشرف * متعادل الظرف
 والظرف * وجعل سماء محاسنك متعابلة لارضها * وبعض مناقبك منعوتة
 ببعضها * ولو انصفتك لاحببتك بقليلين * ومدحنتك بلسانين * كما انك تحسن
 إلي من جانبيين * وتبرني من لونين * ولكن إلى غايته ينتهي المدد * وعند
 طاقته يقف المجتهد * فأما اعتذارك بالعلة * من وقوفك دون الغاية * وجريك
 في بعض الحلبة * فاحسن من الحسن استزادتك منه * واجمل من الجميل
 اعتذارك عنه * والكتاب مذ ورد يدور في العيون والافهام * ويسافر دون
 الدوي والاقلام * وفهمت الفصل في حديث المصيبة * وانما كانت نازلة
 طرقت ثم مرت * وشقشقة هدرت ثم فرت * وإذا قابلنا بين حسنات الدهر
 وسيئاته * ووازننا بين طرفي ارتجاعه وهباته * خرج له علينا حاصل كثير *
 ولكن الانسان إلى الشكاية اعجل * وطريقها عليه اسهل * ولقد اعطيتي الايام

حتى صرت لا احمدها إذا وهبت * واخذت مني حتى صرت لا أذمها إذا
أخذت وسلبت *

وفارقت حتى ما ابالي من انثوى وان بان جيران على كرام
فقد جعلت نفسي على النأي تنطوي وعيني على فقد الصديق تنام

* * *

« وكتب الى رئيس سرخس وقد ورد عليه ابنه

يعتذر من تقصيره اليه » :

كتابي وقد كنت أخرج إلى اخواني من عهدة تقصيري * واقر لهم بما في من
عيب تفريطي وتعذيري * واعرفهم أنني في تعدهم دون مقتضى حقوقهم *
واخرج مما اریده في برهم إلى عقوقهم * حتى اتفق الآن من ورود فلان *
ما كشف عن غيبي * وابرز من عيبي * ونادى علي باني صديق مقال * لا
صديق فعال * وان مودتي مجازية لا حقيقية * ولسانية لا قلبية * واقل ما
يجب علي وقد حضر مثله في داري * ان اثر عليه صك عقاري * ثم اعتذر
اليه من قلة نثاري * وان ابقى على وجهه كل نسمة احتويها * واحل له كل
عقدة اتصرف فيها * واصبح صائماً * وابيت قائماً * ثم اعتد ذلك كله في جنب
الواجب هباء منثوراً * وقليلاً محقوراً * ولقد كنت تذكرت وروده علي حتى
رجوته وتمنيته * ثم خفته واتقيته * اما رجائي له فحياء للقياء * واما خوفي له
فعلمنا بقصوري عن بلوغ رضاه * وضعفني عن اقامة شريطة ما يقتضيه جبي
إياه *

و كنت كبكر تحب النكاح وتفرق من صولة الناكح

واما ولدي فلان فقد كشفته عن جوهرة كريمة * ودرة يتيمة * وقلبه
عن عقل كثير * وأدب غزير * وشعر يحسده عليه الاعداء * وتغبطه به
الاصدقاء * يلتقط بالابصار ويخزن في الافكار * وقريحة اصفى من ماء السماء *
واصح من الوفاء * فهو بحمد الله على قرب اسناده * وحدث ميلاده * شيخ
قدر وهيبة * وان لم يكن شيخ وشيبة * ووالد من حيث الذكر والفخر * وان
كان ولداً من حيث العرق والنجر * ومثل والده فلان خرج فاغرب * وادب
فهذب * وولد فانجب * ان الاصول عليها ينبت الشجر * وليست النجاسة في
هذا البيت مورثة عن كلاله * ولا خارجة عن رسم وعادة * امتعنا الله تعالى
بهذا الولد الذي سبق الاولاد * واحيا الالباء والاجداد * وارغم الاعداء
والحساد * وكتب اسمه في حسنات الايام * بل في حسنات الانام * كما كتب
شعره في محاسن الكلام * والهمنا من شكر نعمته به علينا ما يرهن به بقاها *
ونتمنى معه بهاها * فان النعم إذا ارتبطت بالشكر اقامت وسكنت * وإذا
لقيت بالكفران قامت فظننت * واما ايام فلان عندنا فقد كانت اطيب من ليل
المراد * ولكنها اقصر من ساعات الاعياد * ولكن * لم استم عناقته للقاءه *
حتى ابتدأت عناقته لوداعه * ونا كان قدومه الاتيهجاً للشهوة * وتطرئة للشوق
والصبوة * وذكاء للفرجة التي كانت تفرقت بالصبر والساة * وسبحان من
جعل فراقه بالمن الرازي * ولقائه بالمن البغذاذي وجعل مدة غيبته مشاهرة
ومعاومة * ومدة اوبته مسايعة ومياومة * ولو انصفنا الدهر لكانت مدة الفراق *
في اوزان مدة التلاق * وكان السم بازائه الترياق سألت فلاناً عن جسم سيدي
في صحته وعلته * وفي ضعفه وقوته * فعرفني ما سرني فلا زال صحيح الخلق *
كما هو صحيح الخلق * وقوي الجسم كما هو قوي الدين والعلم * وسليم

الاعضاء كما هو ساييم الود والوفاء * ولا زالت اوقاته تتنافس بهاء * وتتفاضل
حسناً وضياء * يومها فوق امسها * ودون غدها * وقد كنت قبل لقاء فلان
رطب اللسان بانشاد *

متى يكون الذي أرجو وآمله * أما الذي كنت أخشاه فقد كانا، فلما فارقت
صرت انشد :

صلى الاله على امرء ودعته واتم نعمته عليه وزادها

* * *

« وكتب الى صاحب البريد بالري كتبها من اصفهان » :

قد كنت احسب الفراق يسير الخطب * حين الوقع * قليل العبء والثقل
خفيف الكل والظل * حتى دهيت بفراق سيدي فعلمت من مقدر الفراق
ما كنت جهلته * ووجدت من شخصه ما كنت اضلته * وعلمته من طريق
المطالعة والمعرفة * وإنما كنت أراه من طريق التخيل والصفة * وتذكرت
قول جرير :

لو كنت أعلم أن آخر عهدكم هذا الفراق فعلت ما لم أفعل

ولكني لو علمت أني أقعد تحت أعباء الاشتياق * واتفسخ تحت ثقل الفراق
لصحبت سيدي فراشاً أو ركابياً * أو طباحاً أو شاكرياً * ولو وسعت
أكثر من ذلك لقلت أصحابه كاتباً أو حاجباً * أو نديماً أو صاحباً * أو مغنياً
أو ضارباً * ولكنني أخشى أن يتفضل سيدي بقبولي * وينشط لحضوري
ويحملني عند المشاهدة على شرائط المحبة * ويتقدم إلى بالخروج من العهدة *

ويقول أيها المبرز علينا نفسه في معرض الدعوى العريضة * دونك فأكفف
 عما إدعيت * أو فأكفف عما حكيت * وعد وأضرب عما اظهرت
 وابدت * فاذا بسيدي أبي بكر أنجل من بخراء تكلمت * ومن فوهاء
 تبسمت * قد جلس على قافية الدهش والتحير * وفتح جراب الحجل
 والتشور * وحك لحييه خجلا * وعبث بلحيته ارتياذا وذهلا * وأخذ
 يتشاغل بالحديث عن السدى * وعن الحسن البصري * وعامر الشعبي وينشد
 قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

اللهم أنا نعوذ بك من مواقف الانخدال * ومن سقطات المقال * ومن
 دعاوي المحال * سبحان الله ليت شعري ما الذي جمع بي إلى كل هذا
 الهذيان * وما الذي حملني على أن أركض في عرض هذا الميدان * وما
 الذي مال بنا من ذكر الاشواق * ومن حديث الفراق * إلى كل هذا
 الحديث الغث * والكلام الرث * وهكذا من يركب الجواد وليس بفارس
 ويكاتب وليس بكااتب * ويقرع باب صناعة لم يستوف حقوقها * ولم
 يسلك طريقها * ولم يختلف إلى اهليها * ولم يعثر قدمه فيها * قد خرجنا
 إلا من هذا الميدان * ورجعنا إلى باب هدر اليوم والغربان * وأنا والله
 اشوق إلى سيدي منه إلى احرار خصيل المجد * وتحصيل قصب الحمد * بل
 اشوق منه إلى الاحسان الذي هو اخوه وشقيقه * والافضال الذي هو شريكه
 ورفيقه * بل اشوق منه إلى اصفهان * وإلى فراق خراسان * بعد ما عاين
 من تفاوت احوالها * وسخافة رجالها * وحقارة اعمالها بل عمالها * ولو
 لم ير سيدي فيها من طبقات التخلف غير كاتب هذا الكتاب * لكان كافية
 في هذا الباب المخلوقون صانهم الله تعالى قد انقذت رسولي إليهم * وعرضت
 مالي وقليل جاهي عليهم * فانقبضوا ولا ألومهم على ذلك بعدما رأيت من

الانقباض سيدي عمن كان لا ييخل عليه بملك خراسان * وتاج انو شروان *
 وصرح هامان وطرازي قاشان وخورستان * وبعدهما عرض عليه ما يملك
 عرضاً غير سابي * وبذله بذلا غير مجازي * والانقباض في غير مكانه
 توكيد للحشمة * وظلم للود والثقة * وقطع لعلائق المباشطة والخلطة *
 وكذلك الانبساط في غير مكانه استهداف للهوان * واكتساب للمقت
 والشنان * وفتح لباب الهجران * وتعرض لقطيعة الاخوان * والسلام

* * *

« وكتب الى اردهل وقد ورد عليه خبر علقته » :

كان قد ورد علي خبر علة الشيخ وبلغ مني ما لم يبلغه شيء قبله * ولا
 يبلغه شيء بعده * واردة أن ارسل إليه في ذلك رسولا * وافرد نحوه
 كتاباً * ثم رأيت في قراءته للكتاب تعب ناظره * وفي وصول الرسول
 شغل خاطره * فابقيت عليه بقية تحتها جفاء * وراعت حقه مراعاة
 في اثنائها تغافل واغضاء * وقد ورد الآن خبر افاقته من علقته * جعل
 الله تعالى ذلك آخر محنته * وأول نعمته * فكان سروري بالأخرى *
 في وزان غمي بالاولى * لا غم الله في الشيخ اصدقاءه * وحرس من
 الحوادث حوباءه * ومن الغير فناءه * ولا أراني الزمان فيه ظفرا * فان
 الزمان حديد الظفر * لثيم الظفر * دقيق النظر حلو المورد * مر المصدر *
 معين اللثام على الكرام * والليالي على الأيام * ميلا منه على الضوء للظلام *
 تقاطرت على كتب ثلاثة وفلان يذكر ما وجده لكتابي عند الشيخ من ايجاب *
 ولحاجتي من اسعاف واطلاب * حتى قلم عنهم أظافير الأيام * وقشع لهم

ضباية الاهتمام * وأراهم من النجاح ما لم يروء في المنام * وهذه نعمة
احتاج لها إلى دهر أوسع من دهري * وإلى عمر انفس من عمري * وإلى
شكر أبلغ من شكري * فاما هذا الدهر وهو العمر النزر * فما يسع أن
اشكر فيه حراً * اللهم ارزقني زماناً أوسع من زماني * ولساناً افصح من
لساني وبنانا اجرى من بناني * حتى اقضي بالشكر حقوق أخواني * فلا بذل
إلا بجود ولا جود إلا عن موجود * ولكن الدعاء غاية من ضاق امكانه *
ولم يساعده زمانه * وقطعت عن مسافة همته * خطوة جدته * وبه يكفي
من قلت بسطته * وعجزت مقدرته * وأنا أسأل الله تعالى أن يجعل الشيخ
غاية لسؤال كل سائل * ومثابة لأمل كل آمل * ورحلة كل راحل * وأن
يجعل انسن اصدقائه * مشغولة بشكر آلائه * كما جعل قلوبهم مشغولة
برجائه * وانفسهم مرتهة بنعمائه * ويحملهم بل يحمل زمانهم بهائه *
والسلام

• • •

«وكتب الى يزيد صاحب سمرقند» :

صدر غني إلى حضرة سيدي كتابان * احدهما عامي والآخر خاصي •
فلا جرم حرمت جواب الماضي * ولم ارزق جواب الثاني * وقد انتظر
غير ما جاعني به الزمان * وعارضني به الحرمان * لأن الزمان لا يستحق
مني حسن ظن * ويستأهل أن اصيبه بعين * مع ذنوبه إلي التي إذا ذكرتها
كانت غيبة سيدي أولها * وانقطاع اخباره عني وسطاها * ولكن لأنني
كنت أظن أن سيدي يغلب بكرمه لومه * ويهزم بيمينه سومه * ويحولني

عن شكايته إلى شكره * وينقلني عن حربه إلى صلحه * فالحمد لله الذي
 جعل سيدي كأهل زمانه * وأن قدمه عليهم بفضل له لأقرانه * وأخرجه من وحشة
 الوحدة إلى انس الجماعة * ونقله في معاملته لي عن قبح البدعة * إلى حسن
 السنة * فخلطته بهم * وشكوته شكايتي لهم * وقات فيه قولي فيهم *
 فيا سبحان الله في أي طالع ولدت * وعلى أي بخت رزقت * فحيثما
 أواصل أرى صدا * وإينما أتوجه لا أرى سعدا * قال عبد الله بن المعتز :

قولاً للمكوم يا خير البساتين الحمد لله حتى أنت تجفوني
 قد كنت منتظراً هذا فجئت به وليس خلق على غدر بمأمون

وأنا أقول

قولاً لمولاي في الدنيا وفي الدين الحمد لله حتى أنت تجفوني

وصرت أناقض ابن المعتز في شعره * طرباً مني على مخاطبة سيدي وذكره
 والطرب يرخي العنان * ويبصر العميان * ويجريء الجبان * ويجري
 اللسان والبنان * لا زال ذكر سيدي يطرب إخوانه حتى ينطقوا وهم بكم *
 ويعربوا وهم عجم * ويفصحوا وهم غم * ولا زال اصدقاؤه يعاتبونه
 على كتاب يقطعه وبر يمنعه * ظمأ منهم إلى فائدة من فوائد كلامه * وحرصاً
 على غريبة من غرائب لسانه وأقلامه * وأطال لهم بقاءه وصل أم صرم *
 أعطى أم حرم * أهان أم كرم * أنصف أم ظلم * فلا خير في حب لا
 تحمل اقدائهم ولا يشرب على الكدر مأوه * وإنما العشرة بماملة * لا معاملة
 والمجاملة لا تسع الاستقصاء والكشف * ولا تحتمل الحساب والنصرف * ولكني
 إنما أعاتب سيدي لأتوصل بذلك إلى حلوة أعتابه * وأخاطبه بما لا أرضاه
 له لأتسبب به إلى ما أرضاه من جوابه * وأرجو أن الناس يغفرون سواء
 الابتداء الحسن الجواب * ويعامون أن الخطأ إذا سبب الصواب * فهو

ضرب من الصواب * لبت شعري ما الذي ورد على سيدي من عمله * وهل
 رأى صيداً أم قيداً * ووجد سعداً أم سعيداً * ويا لبت شعري ما الذي
 استفاده بعدنا من الأخوان * ووجدته في سؤال المودة والخلصان * وعهدي
 به يلتقط الأخوان التقاط الحب * وينتقيهم انتقاء اللب * ويدخرهم بين
 العين والقلب * ويعدهم الكنز الذي لا عمل فيه للزمان * والركاز الذي
 لا نصيب فيه إلى السلطان *

* * *

« وكتب الى الوزير ابن عباد لما ورد باب جرجان لقتال الامير

قابوس بن وشمكير » :

كتاني وأنا بما يترامى إلي من أخبار نعم الله تعالى على الوزير في حله وترحاله
 وسائر منصرفاته وأحواله * قرير العين * قوي الظهر * شديد الازر *
 راض من افعال الدهر * اسمع كل يوم بشرى * واحتمل للايام نعمى *
 فأما أحوالي متماسكة ببقاء نعم الوزير علي * وآثاره لدي * فان فارقتني
 امطاره فأكثر غدرانه ما نضب والحمد لله رب العالمين * وصلى الله على سيدنا
 محمد وآله أجمعين * قد كانت كتبي انقطعت عن حضرة الوزير بصيانة
 لسمعه * عن ان أقرعه بالكلام الوسط * وشفقة على ناظره من أن أجيله
 في الخط السقط * وعلماً مني أني إذا قطعت على هذه النية فقد وصلته * وإذا
 جفوته فقد بررته * حتى ورد علي خبر حركته إلى هذه الوجهة التي ركب
 إليها مطية الاقبال * وجذب نحوها ازمة الآمال * واستظهر عليها بعساكر
 الأيام والليال * فلم أجده بداً من الاذكار بنفسي التي إنما ارتبطتها لتلك

الخدمة * وامسكت رفقها ببقاء تلك النعمة * ولعمري أني لأعرض منها
 ماء راكداً * ومتاعاً كاسداً * ولكن الوزير بصدد حرب * وعارض
 خطب * والمحارب يحتاج إلى طبقات الناس فيجعل الخاصة منهم
 عدة وعتادا * والعامه حشوا وسوادا * قد شمרת أيد الله الوزير ذيل
 المحارب * ورفعت رجل الراكب * وفارقت خراسان عزما * وإن
 كنت بها جسماً * وإذا ورد علي له إذن طفرت إلى عسكره طفرة تطوي
 المراحل * وتأكل المناهل * بعد أن حصلت من العتاد والعدة * ومن
 الشوكة والشكة * ما ينظم شرائط أوس بن حجر الكندي * ومزرد بن
 ضرار الثعلبي * قال أوس :

وأني امرؤ اعددت للموت بعدما رأيت له نابا من الشر اعضلا

وقال مزرد

وعندي للحرب العوان مهذ

هذا غير ما عندي من العدة التي يصنعها غير الله صانع * ولم يبعها غير الايام
 بائع * على أيد الله الوزير من انتماء إقبالي إلى إقباله * درع لا تصدئها
 الايام * ولا تنفذ فيها السهام * وعلى رأسي من واقية دولته مغفر * لا
 تعمل فيه السيوف * ولا تمر بطريقه الختوف * وببيدي من صنعة يمينه
 وبركته * قوس وترها الجلد * وسهمها السعد * وفي عنقي من صقال
 نعمته سيف يقطع الآجال * لا الأوصال * ويهزم الاقدار لا الرجال *
 وتحتي من نتاج شوقي إليه فرس إذا سرت به طار * وإذا وقفت به سار *
 الشوق عنانه * والايام ميدانه * والعجلة سرجه * والسوط بلحاه *
 والعزيمة لبيه وحزامه * فان أذن لي الوزير في ورود عسكره المحفوف بجناح
 النصره * المكنوف بجوانب الدولة والكرة * رأى مني بحمد الله تعالى فارساً

ملء العين * كما سمع * في عالماً ملء الأذن * فيعلم حينئذ أن إقباله خرج له
 تلميذاً انتظم فيه فروسية اللسان * وفروسية السيف والسنان * ويكر في
 معركة الطعان * كما يكر في معركة البيان * ويثبت اسمه في جريدة العلماء
 والفرسان * فان الاقبال ربما التقى طرفاه * والكمال ربما اعتدل جانباه *
 والاحسان ربما تكافأت يمناه ويسره * وإذا كان الوزير وهو استاذ فارس
 الميدانين * وسابق الرهانين * وكانت يده تجيل قدحي الشجاعة والكرم *
 وتجمع بين السيف والقلم * وتحقق آداب العرب والعجم * ولم يكن القباء
 البق به من الطيلسان * ولا الدفر في يده اخلق من السيف والسنان * فلا
 بد لنا معاصر تلاميذه من أن نرقى على درجه * ونمشي في منهجه * وإذا كانت
 حياته نفسها الله تعالى حياة امه * ونفسه صانها الله تعالى مقسمة من نفوس جمه
 فلا بد من أن تفديه تلك النفوس بنفوسهم * وأن يلحقوا دونه السيوف بوجوههم
 بل برؤوسهم * وأن يخدوه في مواطن المنايا * كما خدموه في مواهب انعطايا
 وأن يبذلوا معه مجهودهم قتالا * كما بذل معهم مجهود نوالا * وأن يبتذلوا
 فيه للنفوس الكريمة * كما ابتذل فيهم النفائس العظيمة * هذا واجب في
 قضية الكرم والمجد * لازم في شريطة الوفاء والعهد * على أني أظن
 العدو إذا ظلته تلك الراية المنصورة يخطو خطوة أولها جرجان * وآخرها
 خراسان * تقبلا لاوليه * وجرياً على وتيرة ابيه * فإنه أعقل من أن يقذف
 أمه ويخالف أباه * ومن خالف والده فقد نفاء * سيهزم من رجل طالما هزم *
 وينهزم ابن رجل طالما انهزم * ومن اشبه أباه فما ظلم



« وكتب الى كثير بن احمد يعزيه عن ابنة له » :

نحن معاصر أولياء الشيخ ومتحملي أعباء نعمته * والمتسمين بسمه جملته *
إذا صدئت قرائننا * وفسدت اذهاننا * جلوانها بمجالسته * وغسلنا عنها
ضر التغير باتباع طريقته * وسسنا أنفسنا بما نراه ونتعلمه من سياسه * لبطانه
ثم لرعيته * وإذا كانت الحال هذه فمن المحال أن نبيع على الشيخ ما اشتريناه
منه * وأن نجلب إليه ما جلباه عنه * وأن نقيم أنفسنا مقام المتعلمين * وأن
نحمل إليه مواعظ بذله * كلامه منها ابرع * وبداية توقيعاته منها ابداع *
ولكن لا بد للمحب أن ينطق لسانه وقلمه * بما يترجم به عن ودائع صدره *
ويعبر عن نيته وسره * ولا بد لمن شارك ربيبه في أيام الرخاء والمواهب * من
أن يشاركه في أيام الغوم والمصائب * ليكون قد خدمه في النوبتين * وتصرف
معه في الحالتين * واثبت اسمه في جريدة الشركاء المساهمين مرتين * وبلغني
خبر المصيبة فاغتممت بها غمين * ونفذت إلى سهام الفجيعة من طريقين *
أما أحدهما فهي أني أغار على هذه الجنبه الكريمة * وعلى هذه الدولة المستقيمة
من أن ينفذ فيها رمية الزمان * أو تتناولها يد من أيدي النقصان * وأما الثانية
فهي أني علمت أن الفجيعة إذا لم تحارب بجيش البكاء * ولم تقابل بالاذاعة
والاشتكاء تضاعف داؤها * وزادت اعباؤها * وإنما الغم سم ترياقه المبائة *
والموت خرق رفؤه التسلية والتعزية * قال ذو الرمة :

لعل انحذار الدمع يعقب راحة من الوجد أو يشفي نجيّ البلابل

وإذا كان لا بد من عين تصيب طرفاً من أطراف الكمال * ولا بد من عودة
يعوذ بها وجه الجمال * فلان تكون الواقعة في الصغير * خير من أن تكون
في الكبير * ولأن يقع سهم الزمان على النسوان * أمثل من أن يقع على

المذكوران * فالحمد لله تعالى الذي جعل في طبي المحنة منحة * ومزج الترحة
 بفرحة * فستر عورة من حيث سلب انسا ونزهة * وكفى مؤنة من حيث
 جلب فجيحة * وأبقي الكبير من حيث أخذ واحدة صغيرة * وجمل والدا
 من حيث ائكل والدة وهكذا تكون مصائب المقبلين المجلودين * فان الدهر
 إذا ساءهم في القليل * أحسن إليهم في الجليل * وإذا كاشفهم في الخفي
 المستور * صانهم في الجلي المشهور * والمدابرون مثلنا فانما تكون محنتهم
 صافية صرفاً * وخالصة بحتاً والدهر يعلم أين الزبون * ومن المغبون * وأنا
 أسأل الله تعالى أن يجعل المتوفاة لوالديها فرطاً وأجراً * وكنزاً من كنوز
 الجنة وذخراً * وأن يجمع بينها وبين البتول * السيدة فاطمة بنت الرسول
 وبين خديجة الأسدية * وآسية الاسرائيلية * بنات الأكرمين * وأزواج
 المرسلين * صلوات الله تعالى عليهم اجمعين * وأن يحشرها شفيعاً تقبل
 شفاعة * وتقضي في والديه وأهل بيته حاجته * ويعوض عنها الشيخ
 أخاها سوى الخلق والخلق * شريف الفعل والعرق * ليستوفي الشيخ في
 يومه أجر الصابرين * وفي غده جزاء الشاكرين * وليكون قد قضى الله
 تعالى حق الربوبية * من طرف العبودية * وأن تكون هذه الحادثة خاتمة
 حوادث الزمان * وساقية عساكر النقصان * فلا يرى بعدها في تلك الدار
 الشريفة إلا موهبة مستطرفة * وفائدة مستجدة مستأنفة * حتى يشغل
 بالتهاني عن التعازي * وبالمدايح عن المراثي * والسلام

* * *

« وكتب الى ابي محمد العلوي جواباً على كتابه » :

ورد كتاب السيد مبشراً من خبر سلامته بالبشرى التي تنسي كل بشرى *

وبالنعمى التي تلغي كل نعمى * وبالفائدة التي تفطم فوائد الاولى والاخرى
وفهمته ولما بلغت منه إلى ذكر الاعتذار عن تأخر كتابه غني * وشمول النعمة
بأمثاله للناس دوني * امتلأت عجباً * ورأيت لي في كل جارية قلباً
ورأيت السيد قد سلك بي من التواضع طريقاً قد رفعه الله تعالى عنها * وجعله
بنجوة منها * وتكلف ما لو تكلفته له لكنك سالكاً طريق الافراط * وراكباً
مطية الغلو والاشتطاط * وكيف به هو وإنما كلامه لنا معشر شيعته كنز
وذخر * وعز وفخر * ومال ووفر * وكبر وكثر * وحياة وعمر *
فكيف كتابه الينا * وسلامه علينا * والرئيس إذا أعطى المرؤوس فوق حقه *
فقد استرجع منه * وإذا باسطه بما لا يسعه قدره فقد انقض عنه * والاشياء إذا
افرطت إلى الرجحان * عادت إلى النقصان * ذكر السيد انه لا يرضى لمكاتبي
عفو كتابته * ولا ينزل فيها على حكم بلاغته * وهذا كلام لولا أنه قد جرى
به بنائه * ونطق به لسانه * لقلت تكاد السموات ينفطرن منه وتنشق الارض
وتخر الجبال هدا * ولقد جثمت شيئاً اذا * الكتابة ايد الله تعالى السيد صناعة
مجانستي لها مجانسة النور للظلام * ومناسبتى لها مناسبة الاوز للنعام * ولم اقرع
بابها * ولم اعلق باسبابها ولم اعاشر اربابها واصحابها * ولا ادعيتها بقلمي ولا
بلساني * ولا ادعاها لي اصدقائي واخواني * ولا تمنيتها إذ كان المتمني انما
يتعاق بذنوب الامكان * ويمشي في طريق الكيان * ولا احتملت بها إذ كان
الانسان * انما يتوهم وهو وسان * ما يتفكر فيه وهو يقظان * ولا دعوت
الله تعالى بها لانه امرنا ان نسأله ما لا ينقض العادة * ولا يفسد التكليف والمصلحة
ولو كنت اجوز على نفسي شيئاً منها لجوزته من طريق اتصالي بجانب السيد *
فان المواصلة ربما صارت مقاربة * والمقاربة ربما جلبت مشاركة ومناسبة *
وهب ان ذلك كان فكهم وكم مقدار ما يتعلق بذيل المعايير من دراهم الصبر في *
وما عسى ان يعقب بثياب الجليس من طيب العطار والصيدلاني * وكم يحضني

من الكتابة على مجالسة السيد في كل اسبوع ساعة * وعلى روايتي له في كل شهر كتابة او رقعة * اللهم الا أن يكون السيد اراد بما ذكره رياضي لا تهذب * والتعرض لي بذكر الكتابة لكي اكتب * فان هذا من ابواب الحث والبعث * وصنف من اصناف الرقي والنفث * قد يقول الاستاذ لتلميذه احسنت يا سيد الادباء * واصبت يا واحد العلماء * ليلمظه طعم التقدم * وليرقيه في درجات العلم بالتعلم * فان كان ذلك هذا السيد اراد * فقد بلغ المراد * وها انا بعد اليوم * اقرع باب الكتابة * واتساق على حيطان البلاغة * واجمع ما اقدر عليه من رسائل السيد فاحفظها صدرأ صدرأ * بل سطرأ سطرأ * واردد كل واحدة منها خمس مرات بل عشرأ * فان خرجني ذلك فالحمد لله تعالى الذي رزقني * ثم للسيد الذي حر كني * وان تكن الاخرى فمبلغ نفس عندها مثل منجح * ذكر السيد ان اعتداده بي اعتداد العلوي بالشيعة * والمعتزلي بالمعتزلي * وانا اقول مكافياً لا مبارياً * ومتابعاً لا موازياً * اعتدادي بما رزقنيه الله من اعتداد السيد بي * اعتداد الصحابة بالنبي عليه السلام * واعتداد الشيعة بالوصي * واعتداد المعتزلة بالحسن البصري * واعتداد الحجازيين بالشافعي * واعتداد الزيدية بزيد بن علي رضي الله تعالى عنه * واعتداد الامامية بالمهدي * لا بل اعتداد العاشق باللاقا * والظمان بالري * لا بل هو اعتداد محمد بن العباس الطبري * بالسيد ابن محمد العلوي * وهذا ميدان يحتمل الفرسان * وفصل يتسع للتصرف والجولان * ولكني اكره ان اشق على السيد في الجواب * وان اكلفه دخول هذا الباب * ذكر السيد ان انكفاه الينا قد قرب * وان حجم الغيبة قد صغر * وذرعها قد قصر * وانا أسأل الله تعالى ان يصدق هذا المقال * ويحقق هذا القول * ويريني تلك الطلعة اني إذا رأيته لم اتغص بغيبة الغائبين * وإذا فقدتها لم اتنها بحضور الحاضرين * وإذا نظرت اليها فيومي سعيد * بل

عيد * وفصلي مربع بل ربيع * وإذا تصبحت بها تصبحت بالنظر إلى النبي
والوصي عاينهما السلام وإلى البتول ابنة الرسول * وإلى السبطين الشهيدین *
الحسن والحسين وإلى السجادة بن العابدین * صلوات الله تعالى عليهم اجمعين *
سألني السيد ان أسأله بعض هدايا تلك الناحية * لا والله ما اعرف نفيسة * ولا
طرفة خطيرة * تعدل عندي وجهه فليهدده إلي * وليخلع نظري اليه علي *
وليعلم انه إذا فعل ذلك فقد زف إلى الدنيا في معرض الجمال * واهدى إلى
السعود بين طبق ومكبة من الاقبال * ولم يدع لعين التمني بعد ذلك مطمحاً *
ولا لقوس الاقتراح وانتحكم بعدها منتزعا * لا يكتب إلى السيد بخط غيره *
لاني إذا قرأت كلامه من آثار بنانه * فقد جنيت انورد من اغصانه * وقليل
لمن ادلى بمثل وسيلتي * واتسم بمثل سميي * ان تنبعث له البنان والاقلام *
وان ينتقي له الخط والكلام * وان ينزل على حكمه والسلام *

* * *

« وكتب الى كاتب » :

اعتذر سيدي بن صغر الكتاب واختصاره * فقد اغناه الله تعالى عن تكلفه
من اعتذاره * وانما الصغیر ما صغر قدره * لا ما صغر حجمه * فاما ما افاد *
وجاوز المراد * فليس بصغير * بل اكبر من كبير * واما شكره لي على تفصيلي
لكلامه * فاني من هذا بعد في ميدان عريض مديد * وفي شوط بعيد * لم ابلغ
عشر عشره * ولم اقض منه ايسر يسره * والحق اني وان اجتهدت فاني غير بالغ
منه ما في ضمن النية * ولا آت على ما في الهمة والامنية * ولكني سأقف عقلي
انتهاء الطاقة * واحمل مجهودي اقصى الغاية * والتمادح بيننا بعد الحال التي

عتقت * حتى اخلقت * وقدمت حتى هربت * فصل لا يحتاج اليه * ولا
يعرج عليه * وأسأل الله تعالى ان يجعل اخوتنا متصلة في الدنيا باخوتنا يوم
الدين * فان الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين *

* * *

«وكتب الى صاحب الديوان بالحضرة» :

عظم على الشيخ ادلاي * وكثر على قلبه اشغالي * وفتح عليه كرمه من
حوائجي باباً لا يسد * ولا يرد * ولكني إذا قلبت سلعة الشكر * ونشرت
طراز الاحسان والبر * لم ار غيره يشتره * او يرغب سواه فيه * وإذا عرضت
جريدة الكرم * وافضت قداح المساعي والهمم * جاء اسمه صدر الجريدة *
وقدحه معلي القداح السبعة * فارجع اليه وعن يميني الر جاء يقربني منه *
وعن يساري الحياء يطردني عنه * وما احب ان يشرك الشيخ في لساني غيره *
ولا أن يحتوي على قلبي الا ذكره * فاني آنف لكرم المتاع * من لؤم المتاع *
واستحي لنفاسة هذه الملابس * من خساسة اللابس * واغضب للمركب
الكريم * من الراكب اللثيم * واحب ان ازف ابكار المعاني وان اغرب في
الثناء * لمن يغرب في السناء * وان ازوج الشيخ من صنعة لساني كرائم لا
تجلبها الا عيناه * ولا تنظمها الا يده * قد علم الشيخ اني عقدت هذه الصنيعة *
ولفقت هذه المعيشة * لتكون صوناً لوجهي عن ذل السؤال * وحجاباً لعرضي
دون الابتدال * ولا جعل ما يدخل منها من الكفاف * جسراً إلى الصيانة والعفاف
فاحب نفسي إلى اصدقائي * وانخفث ثقلي على جلسائي * فان السائل ثقيل
الطاعة * كربه الزورة * مشنوء اللحظة واللفظة * معرفته غرامة * ومنادمته

ندامة * ومجانبته امان وسلامة * فمن اعاني على حفظ ما اعتدته * وامسك
 على جوانب ما استفدته * فقد كفى اهل المشرق كلي * وخفف عن رقابهم ثقلي
 وضرب بين لساني وبينهم سترأ ثخيناً * ومد عليهم دون استبطائي وعتابي كنا
 كنيناً * ومن اخرجني من صيانة الدهقنة * واحوجني إلى ابتذال المسألة *
 فقد عرضهم لخطبين * وعرضهم لحد السيف من جهتين * لانهم بين ان
 يعطوا فيحتسبوا مرارة العطاء * او يبخلوا فيصطلوا بحرارة الذم والاستبطاء *
 وما من الخطئين صغيرة وما فيها لمختار خيرة * على ان خروجي من خراسان
 إلى غيرها * وضع من اهلها * فلو ارتبط الجواد حق ارتباطه لما عار * ولو
 أحسن إلى البازي لما طار * وان مقامي حيث خيمت محنة * تدل على فهم
 الكرام الاجاود * ولو ملكت اعنة الايام * وجاز حظي على الحظوظ والاقسام *
 لكانت مدائحي إلى اهلها مصروفة * ومعاتباتي على غيرهم موقوفة * ولما جلست
 تحت قول أبي عبادة البحرني :

عدلتي في اهلها واسترابت جيئتي في سواهم وذهابي
 ورأت في سواهم من مديحي مثل ما عند غيرهم من كتابي

هذا على أني أرى ريح الكرم هبت جنوباً وشمالاً * وعساكر المجد قد زحفت
 يميناً وشمالاً * وسوق الادب قد قامت * واطراف المسالك قد استقامت *
 وليل النقص والجهل * قد جلاه فجر الفضل والعقل * والجود قد اقبل بوجه
 الغالب * والبخل قد ادبر بقفا الهارب * وارى الدهر قد افتر عن يتيمته *
 وانجلي عن كريمته * وجاء بواحدة * الذي لم يزل لسان محامده * وعنان
 مراشده * والذي لم يزل يرجف به لسان الاماني * وتتفاضني فيه ايام زماني *
 وهو الشيخ الاجل ربيب الدولة * وغذي النعمة * وسليل الكفاية والوزارة *
 وفرع السياسة والرئاسة * وناشر ميت الآمال * وناقد قيم الرجال * وناشر

الوية المقال والفعال * وقد علمت ان الدهر البخيل * لا يسمح الآن به إلا
ليكون للاحرار ركزه * وليدول للافاضل دولة * ولتهب للخير ريح طالما
ركدت * وتنفق للفضل سوق طالما كسدت * ورجوت ان اكون احد من
ينتصف به من محنه * وينتزع في ايامه حقه من محالب زمنه * فقد طال ما
ضرب الزمان على رزقي وغصبتني ايامه ولياليه حتي * أسأل الشيخ ان يعرض
كتابي عليه * ويوصل كلمتي اليه * ولا يقول كيف يكون الرسوا، اجل ممن
ارسله * وكيف يكون السفير اعظم ممن سفر له * فان الكريم يعز من حيث
يهون * ويشند بأس الرمح حين يلين * وهو ايده الله تعالى الحكيم الذي لا
يوصى * والمشير الذي لا يعصى * وإذا سعى في هذه الحاجة ففي امره سعى *
وعن ماله نضح ورمى * وعن عاتقه التقى حملاً * وطرح ثقلاً * لانه ان حرم
سهمي الاصابة * ولم ترزق دعوتي الاجابة * فاني ملق كل خراجي عليه *
وراجع به عنه اليه * إذ كنت لا أرى الفرح الا لديه وانشد .

سبيلي ان اعطى الذي تسألوني وحقي ان يجدي علي ولا اجدي

« وانتقيه »

إذا كنت لا انفك اغدومطالبا فلم انت عباد ولم أنا شاعر
فلينظر الشيخ إلى هذه الحاج بعين من يعلم انه فيها سهم * ولصاحبها تسيم *
وانه يكدح كدحاً له بعضه * ويجلب جلباً له شطره * واني لا علم أني
قد هتكت ستر الحشمة * وخرقت حجاب الهيبة * وان هذا الكلام ترق عنه
صفحة الاحتمال * ولا تطلقه شرائط المهابة والاجلال * ولكن الثقة تطلق
اللسان * وتجري الجنان *

* * *

« وكتب الى وزير صاحب خوارزم ، :

وصل كتاب الشيخ وتصرفت من فصوله في لؤلؤ منشور * وطرار منشور *
 واستمليت منه نسخة الود الصريح * والعهد الصحيح * والخلق السجيج *
 ووجدت الشيخ قد استرقني رقاً لا تنحل عقده ولا ترد عهده * وكفاني
 مهما لا يكفيه إلا مثله * على ان ذكرى مثله ارجاف بالزمان وفعله * وكذب
 على الفلك واهله * وامنية من اكاذيب الاماني * وترهات من لساني * هيهات
 الدهر انجل من ان يأتي بكريمته * ويحيى بمثل يتيمة * والكرم أقل مبتاعاً *
 واكسد متاعاً * من ان ينازع الشيخ ساه * او يسلبه رداه *

والجود اخشن مساً يا بني مطر من ان تبركوه كف مستلب

اخبرني الرسول بما عمله الشيخ من حيله الدقيقة * وقتله من اسبابه الوثيقة *
 في ذلك الحال حتى أخرجه من العدم إلى الوجدان * وصيره من الوهم إلى
 العيان * فحمدت الهى الذي رزقني صديقاً يحفظ علي * ما اضيعه بيدي *
 ويحسن بي من حيث تسيء نفسي إلي * وقد كنت خاطبت الشيخ في امر هذا
 المال بكمال جرأتى عليه * فصديق ثقتى بسعة ساحة احتماله * فان شكاني فقد
 كافاني * وان اسلفني شكراً فعلى اداؤه * وعلى الله حزاؤه * ولو انصفت
 الحال بيننا * والجهة الجامعة لنا * لخرجت لهذا الوافد الاثير لدي والكريم
 علي من مالي * ولقاسمته ولدي وعيالي * ولحملت العالم اليه بين طبق ومكبه *
 والفلك بين دنيا وآخره * ولكني نزلت على حكم طاقتي * وانتهيت إلى غاية
 وجددي وجدتي * وعولت على عقدي ونيتي * ونكست راس خجل منشور *
 وغضضت طرف قاصر مقصر * وانشدت :

لو كنت اهدي على قدري وقدركم لكنت اهدي لك الدنيا وما فيها

الذي طلبه الشيخ من الكتب سأحمله إلى خزانته ولو على رحلي * وانسخ ما ليس عندي ولو على خدي * ولوددت لو كان دمي حبراً وجلدي ورقاً * وأصابعي أقلاماً * وذلك عندي يسير ينسى * وصغير يلغى * وقليل لا يسمع ولا يرى * على أنه لو باسطني الشيخ فيما عدا الكتب * من الفضة والذهب * لكان آخر أمره منتظماً بأول امثالي * وطرف قوله متصلاً بطرف فعالي * فإن الناس يتخذون الأصدقاء * ليكسبوا بهم انثراء * وأنا اكسب الثراء * لاتخذ به الأصدقاء * والصديق هو العقدة التي يحلها الدهر * والذخيرة التي لا يفسدها الخير والشر * وانكز الذي لا ينقص منه الغنى والفقر * وسائر الاعلاق تفقد من حيث توجد * وتحل كما تعقد * ويدب اليها الفناء * كما يتفق لها البقاء * ويتسلط عليها الاعداء * كما يحسد عليها الاصدقاء * وتمسها النار فتحرقها * ويصيبها الماء فيغرقها * فالذهب والفضة حجران يغنيان ان حركا * ويفسدان ان تركا * والضياغ والعقار جمادات وموات لا ترحل مع صاحبها ان رحل * ولا تنزل بنزوله ان نزل * والعبيد والاماء حيوان * يتحكم فيها الحدثان * ويعمل فيها عمله الزمان * فاذا حاربتة الايام سقم * واذا سالمته هرم * فهو معرض للمحادثات * اما بالحياة واما بالممات * والثياب والفرش ورق يحف اذا استعمل * ويخفي اذا اهمل * والعتاد والسلاح رفيق ربما خان من حمله * واعان على من قاتله * وصار في يد المحارب * آفة على الصاحب * والحلى والجواهر زجاج يسرع اليه الكسر * ويبطئ عنه الجبر * اظهاره خطر * وانخفاؤه حذر * خفيف للحمل على من سرقه * ثقیل الوطأة على من فقده * والزرع خبز مخبوز فنأؤه افتقار * وبقاؤه احتكار * من بذله عرضه للفناء * ومن بخل به عرض عرضه للهجاء * والاثاث والشوار اجسام هامة اذا ابتذلت تمحقت وتكسرت * واذا رفعت صدئت وتغيرت * والفيء الماء * غريم كفيله

الارض والسماء * وهما كفيلا لا يغرمان * ولا يلزمان * ولا يلزمان *
والخيل والسوام زرع تجففه الريح والهواء * ويحكم فيه الصيف والشتاء *
ويتداوله انقضاء * والكتب مالك جالس على قافية السرقة * موضوع على شبكة
الحيانة * يسرقه كل امين * ويتهم عليه من ليس بظنين * وقد أكثرت ايها
الشيخ في هذيانى * ووضعت عنان قلبي وبناني بيد لسانی * فان يكن ما جئت
به مفيدا فقد ابدعت واغربت * وان تكن الاخرى فقد اضحكت واعجبت *
فلم اخل ان جئت بفائدة * ان كنت ضحكة وزهته زائدة *

* * *

« وكتب الى ابن سهل سعيد بن عبدالله الكاتب » :

وصل كتاب سيدي المنتظر المؤتاف * والمستبط المتشوق * بعد ان عاتبت
الدهر على تأخره ولته * وبعد ان ذممت فيه البخت وشمته * وبعد ان نظرت اليه
وهو غائب مثالا * ورأيت في النوم خيالا * وبعد ان عددت له الليالي والايام
عدا * وحسبت فيه الاوقات والانفاس ضربا وعقدا * وبعد ان ظننت الظنون
بسيدي وبوده * وتوهمت الايام في وفائه وعهده * وحسبت وانا استغفر الله
انه قد اثبت اسمه في جريدة الغدر * وجانس ابناء الدهر * وبعد ان انشدته
فيه :

لم تزل تجهل الخيانة حتى عامتك الايام كيف تخون

فويلي ان لم يعف سيدي عني * ولم يغفر لي ما بدر مني * ولم يجعلني في حل من
سوء ظني * وفهمته * ولم ازل اكرر قراءته حتى حفظته * ثم تزودت في ذلك
حتى حفظت غاية باءاته وصارت روايته تقطع على صلاتي * وتستهلك اكثر

اوقاتي * ثم عرضته على اصدقائي * واصدقاء ولائي * فما منهم الا من سألني *
 ونافسي فيه * واستعارني * ونيته ان لا يرد العارية * ولا يؤدي الامانة * ثم
 نسخوه ولو طلبته منهم لما اعدوه * ذكر سيدي من شوقي اليه ما لم يتكلم فيه
 الا عن لساني * ولم يترجم الا عن شاني * ولقد طويت بعده بساط المدام *
 ورفعت صحيفة المؤانسة والندام * وطلقت الراح ثلاثا * وفارقت الغناء بثلاثا *
 حتى جفت الاقداح واستخفيتني الراح * ونسي بناني الاترج والتفافح * ولقد
 ترك سيدي بخروجه رسوم الطرب من اخوانه دارسه * وآثار الفرح والانس
 طامسة * وديار المنادمة والمجالسة مقفرة * واطلال المحادثة والمساعدة متذكرة *
 قد هبت عليها بغتة ريح الاديبار * وطلع عليها نجم البلاء والاقفار * ونفذ فيها
 حكم الفناء * ولمستها يد العفاء * سأني سيدي عن ذكرى له وكيف لا يذكره
 من يراه * وان كان لا يلقاه * بل كيف يذكره من ليس ينساه * وكيف يسألوه
 عنه * من لا يرى عوضا منه * وكيف يغب ذكره من لا يفتح عينيه * على
 اكرم منه عايه * واحب منه اليه * وقد عرفته انا هجرنا الشراب * واغلقتنا
 هذا الباب * ثم ان شربنا في كل فترة نبوة * او بيعة خلافة * فلا نقل الا
 اتذكاره * ولا تحيه الا اذكاره * ولا حديث الا انسنا به كان ووحشتنا له
 الآن * ولا اقتراح على المغني الا شعر في اوله ذكر غيبته * وفي آخره تمنى
 وبته * رد الله تعالى سيدي الى اخوانه الذين انا اولهم في المحبة * وان كنت
 آخرهم في الرتبة * على حالة يقع الشكر وراء حقها * وتكل مطايا التعديد
 والبشر في مسافة طرقها * والناس يقولون ردك الله سالما الى سالمين * وانا
 اقول ردك الله تعالى غانما الى غانمين * فان من سعد بلقياه فهو غانم كما ان من
 حرم النظر الى طلعتة فهو غارم * وارجو ان يتقدم سيدي بوصوله عند الفطر
 فيجتمع لي عيدان وفطران * كما اجتمع علي بغيبته صومان * على ان صوم

العين * اشد من صوم البطن * فان مسافة صوم العين مجهولة الابد والعدد *
 مخوفة الزيادة والمدد * ومسافة صوم البطن يوم وشيك المهلة * قريب العشية
 من الغدوة * فحسبي من صوم هذه السنة المباركة حصتان * ويوهي منه
 يومان * وتأبى صروف الدهر ان تأتيني الا مزدوجة في قران * وذلك اني
 صمت عن النظر الى طلعة سيدي شهري رجب وشعبان * وصمت عن الطعام
 والشراب شهر رمضان * وقد قال الخليل الشامي :

سكران سكرهوى وسكر مدامة فتي يفيق فتي به سكران

وانا اقول :

صومان صوم نوى وصوم عبادة فتي يعيش فتي له صومان

* * *

« وكتب الى أبي القسم وقد انهدمت داره عليه وسلم » :

بلغني خبر الهدمة فالحمد لله الذي هدم النار * ولم يهدم المقدار * وحين ثلم
 المال * لم يثلج الجمال * ولما سلط الحوادث على النشب والخشب * لم يسلطها
 على العرض والحسب * ولا على الدين والادب * ولا بد للنعمة من عوذة *
 ولا بد لعين الكمال من رقية * فلأن يكون ذلك في دار تبني * ومال يجني
 وينمي * خير من ان يكون في النفس التي لا جابر لكسرها ولا شيء * يفني
 بقدرها * وصادف ورود هذا الخبر علي * رمدا في عيني * قد حصرني في
 الظلمة * وحسبني بين الغم والغمة * وتركني ادرك بيدي * ما كنت ادرك
 بناظري * كليل سلاح البصر * قصير خطوة النظر * قد ثكلت مصباح
 وجهي * وعدمت بعضي الذي هو آثر عندي من كلي * ابعد الاشخاص عني *

اقربها مني * فالبيض عندي سود * والقريب مني بعيد * قد خا ط الوجة
اجفاني * وقبض عن التصرف بناني * ففراغي شغل * ونهاري ليل * وطوال
الحظي قصار * وقصار اوقاتي طوال * فانا ضرير وان عدت في البصراء *
وامي وان كنت في جملة الكتاب والقراء * قد قصرت العلة خطوتي قلبي
وبناني * وقامت بيني وبين يدي ولساني * وقد كانت انعرب تزواج بين
كلمات تتماثل مبانيها * وتتكافأ مقاطعها ومبانيها * فتقول العلة ذلة *
والوحدة وحشة * والغلب سلب * واللحظة لفظة * والهوى هوان * والاقارب
عقارب * وانا اقول المرض حرص * والرمد كمد * والعلة قلة * والقاعد
مقعد *

* * *

« وكتب الى ابي احمد الرازي ببندر نيسابور » :

ورد علي كتاب الشيخ بعد ما كدت اتطفل عليه بخطبته * واسبقه الى
المكرمة في الابتداء بمثله * ثم ابي الله تعالى ان يكون الفضل الا لاهله * وان
ينبت الكرم الا على اصله * وفهمته وافادني من خير سلامته فائدة هي الغنى *
بل المني بل الكنوز والقنا * بل المراد والهوى * بل النساء والعلی * بل العالم
والدنیا * بل خير الآخرة والاولی * وهي السلامة التي لا يتضرر بها الشيخ
عني * ولا يختص بمزيتها دوني * اذ كانت الاحوال بيننا متقاسمة * وسائر
اسباب السراء والضراء متساهمة * وسألت الله تعالى اولا * والآن اسأله ثانياً *
ان يجري على الشيخ نعمته * ويرد غربته * ويعجل اوبته * ويبصره رشده *
في الرجوع الى بلده * الذي هو بحضوره مصر مباه الامصار * وبغيته عنه

مفاوز بل قفار * كما ان ادله اذا كان فيهم ناس * واذا غاب عنهم نساس *
والله يلهمه قول النابعة :

فحلي في ديارك ان قوما متى يدعوا ديارهم يهنوا

وان اكرم الخيل اشدها حيننا الى وطنه * واعتق الابل اكثرها نزاعا نحو
عطنه * والدنيا رستاق نيسابور قصبتها * وعقد نيسابور واسطته * ولو علمت
اني ادفع من غيبة الشيخ الى هذا الامد البعيد والنفس المديد * وانه اذا فارق قوما طلقهم *
واذا لقي آخرين عشقهم * لاخذت من الزمان الف كفيل * ووضعت
الارصاد بكل سبيل * ولورده علي * لوكلت بحفظه عيني بل عيني *

شدت باعناق النوى بعد هذه مرائر ان جاذبتها لم تقطع

والآن فقد ادبنا الشيخ ببعده * فما رأيه ان يعفو عنا بقربه * فيكون قد ارانا
قدرته * ثم اسبغ علينا نعمته * وجمع بين تعريفنا مقدار النعمة اذا آب *
ومقدار المحنة اذا غاب * كان كتاب الشيخ الطيف من عتبه * واقصر من
اوقاتي بقربه * واطنه اشفق علي من التعب فيه اذا طال * وظن بي الكسل والملال
فما زلت اعرفه شفقاً علي * حميد الاثر لدي * وان استغفبه من هذه الصدقة *
واشتهي ان لا يبرني بهذه الشفقة * وان تكون كتبه الي * اطول من يده علي *
وابسط من لساني في شكري حميد آثاره لدي * فاني اذا رتعت في رياض
قوله * واجلت عيني وخاطري في ميدان فضله وطوله * تقلبت في روضة
وغدير * وادرت يدي في جنة وحرير * ولم اعدم معنى يلحق اللذهن * ولفظا
يمتع العين والاذن * وفقرة استفيدها * ونكحة اقرأها ثم اعيدها * وان كان
تذكر الايام الماضية لا يفرغ قلبي لاستيفاء العائد :

فلا يبعد زمان منك عشنا بنضرتة ورونقه العجباب

لياليه ليالي الوصل تمت بايام كايام الشباب

وكان ابا تمام لم يقل هذين البيتين الا ليقتل نفسي * ويميت نفسي * وقد
استسلمت للفراق فايخص في حكمه * لا بل فلينفذ في سهمه * وكتاب الشيخ يزيل
بعض ما بي * ويشفيني من اوصائي * فليهدد الشيخ الي فان اهداء السرور به
الي مثل قلبي صدقة مبرورة * وصنيعة مشكورة * وكلما قرب مني الدواء
فرا * تأخر عني الداء شبرا *

* * *

« وكتب الى صاحب الديوان يوم المهرجان » :

لولا ما يمن الشيخ من الانقباض عند الهدايا جلت او قلت وان كان ليس
مع عطايه جليل * كما انه ليس مع تواضعه قليل * لافنيت في هديتي اليه
الاعلاق والجواهر * ولا تعبت في حملها اليه الخف والحافر * ولسقت في
ذلك الاولين * واتعبت فيه المتأخرين * عرف الله تعالى الشيخ بركة هذا
المهرجان * وافرده بذلك عن سائر ايام الزمان * ولا زال يلبس الايام
قشيبها وهو جديد * ويقطع مسافات سعدا ونحسها وهو حديد * والسلام

* * *

« وكتب الى أبي سعد احمد بن شبيب » :

ما اقرب ما كانت المسافة بين لقاء صاحب الجيش وبين فراقه * وما
اكثر ما انشدت بيت كشاجم في وداعه وعناقه :

لم استتم عناقه لقدمه حتى ابتدأت عناقه لوداعه
 كأنه كان ذلك الرجل قائماً معنا * أو كأنه قاله هذا البيت لنا * ولقد كانت
 الايام بلقاء صاحب الجيش طويلة النعد * قصيرة الرفد * فانها مطلتي بلقائه
 سنين طويلة ثم اسعفتني به ساعات قصار فبينما انا اشكو مطالها * اذ صرت
 اشكو بخلها * وبينما انا استدرك عليها الماضي * اذ اصبحت اطلب اليها الباقي *
 وبينما انا انشد :

ايا ليلة الوصل لا تنفذي ويا ليلة البعد لا تنفذي

غدوت أنشد * هذا الذي قيل له أطيب ما كان فني * ولعمري أني
 موسر من الصبر * قوي بنية القلب والصدر * حيث أبيت ببادية وصاحب
 الجيش بأخرى وليس بيني وبينه بعد الخافقين * ولاسد ذي القرنين * ولا
 جبل قاف * ولا سورة الأعراف * ولقد رضيت من الشوق بالدعوى *
 من اللقاء بالمني * وغششت فيما بعته من الهوى * والله اسأل أن يجمع
 بيني وبينه على على ما يثلج صدري * ويقر عيني * وأن يريني الدهر وهو
 وافد من حشمه * والسعد وهو خادم من خدمه * وألايام وهي رساله
 في أوليائه واعدائه * والمنايا وهي سهامه في صباحه ومساءه * والاقبال وهو
 خليط من خلطائه * والسرور وهو نديم من زدمائه * والعز وهو مستدريء
 بأفئائه * والشرف * والشرف وهو مظنب بفئائه * وهذا الدعاء مني
 نخجل قطعت به الحديث لما توجهت به المسألة على * وخرج الجواب من يدي
 ولو صدقت فيما ادعيته * وكنت من الشوق على ما حكيت * قلت للشوق
 إذ دعاني لبيلك وللحادين كرا المطايا * ولانضيت الركاب * وفارقت
 الاحباب * وركبت كاهل الخطر * واعروريت ظهر السفر * حتى انيخ
 بحضرة طال ما حضرتها العلى * وانزل على سدة طال ما سدت زوايا الندى *

وانظر إلى طلعة عليها للكرم ديباجة خسروانية * وفيها للطلاقة روضة ربيعية
رجعت من حضرة النوزير بعد أن افرغ علي من سجاله * واسبع علي من نواله
ما خفف ظهري بل اثقله * وانطق لساني بل اخرسه * وارخص شكري بل
اغلاه * وابقى مديحي بل افناه * وأني حين امدح البحر بأنه غزير * والبدر بأنه
منير * وأعلم الناس أن الدهر كبير * وأن الرمل كثير * كنت كاحد
عباد الله المكلفين الذين قولهم هبا * وعملهم جفا * أبقى الله تعالى ذلك
السيد لتفتضح به اللثام * وتفخر به الكرام * وتتجمل به الأيام والأنام *
وأقام به سوق الكرام * وقد أقام * وأدام بسلامته عن الحمد والمجد وقد
أدام * وليت المكارم كانت جواهر لا إعراضاً * وخلقاً لا خلافاً * فتمكن
من رؤيته العين * ويأتي عليها الوزن والكيل * فيدركها الجاهل بحاسة
بصره كما يدركها العاقل بحاسة فكره * فاستريح من الدلالة على معرفتها *
ومن إقامة البينة على صفتها * وصلت الجارية ودتها لأنني رأيت موصلها
شاباً وإذا اجتمع الشبان فقد اجتمعت النار والحلفاء * بل اجتمع الظمان
والماء * وهذا ميدان لا بليس فيه مجال * وزاوية له فيها افعال * وأن النساء
لحم على وضم * وصيد في غير حرم * إلا أن تلاحظ بعين غيور * وتلازم
بنفس يقط حذور *

* * *

« وكتب الى تلميذ له كتاب ترتفع الفاظه عن كتابة

مثله وطلب نسخة شعره » :

نسخة شعري التي طلبتها يا ولدي سائرة إليك * وغير مضنون بها عليك

ولكني إذا امتعتك بها الآن اءنتك على طول غيبتك * وصرت بعض آفات
 اوبتك * فارجع فديتك * وانتجز ما وعدته واسمعه ممن قاله تزدد به عجباً
 فحسن الورد في اغصانه * رأيتك يا ولدي تخاطبني في كتابك بالفاظ إن
 كنت أنت ابا عذرتها لقد اختصرت طريق الكلام * وصرت بعض محاسن
 الأيام * وإن كنت اخذتها من غيرك لقد سرقت سرقة لا يلزم صاحبها رد *
 ولا يجب عليه فيها حد * ولا يعاقبه السلطان * ولا تتبرأ منه الأقوام *
 واغرت غارة لا يلزمك منها قود القتلى * ولا ارش الجرحى * ولا تتبعك
 فيها دعوات اليتامى والأيامى * وغصبت غصبا لا تطالب بتبعته ورثتك
 ولا يثلم له دينك وامانتك * فيا أيها المغير النظيف الغارة * والسارق البري
 الساحة * اشركننا رحمك الله في بعض ما رزقت * واجعل لنا سهما مما سرقت *
 واعطنا قليلاً مما اخذت * ولا تبخل علينا بما ليس من ملك يديك * ولا من
 ميراث ابويك *

* * *

« وكتب اليه ايضاً » :

كتبك يا ولدي عندي تحف وشمامات * وانوار وباكورات * افرح
 بأولها * وانتظر ورود ثانيها * واشكرك على ماضيها * وأعد الأيام
 والليالي على باقيها فكثّر على سوادها * ووفر على اعدادها * واعلم أني احبك
 حباً مستكناً وبادياً *

احبك ما لو كان بين معاشر من الناس اعداء لجر التصافيا
 وأني آنس بك حاضراً * واشتاق إليك غائباً * شوقاً لو عرفته لتكبرت علي

الورى * ولم تقم وزناً لأهل الدنيا * وكنت لا تنظر إليهم إلا بمؤخر عينيك
ولا تكلمهم إلا ببعض شفتيك

* * *

« وكتب الى حاجب ركن الدولة بالري » :

الكتاب الذي عظم الحاجب باصداره شاني * وأعاني به على زماني *
وأهل زماني * ورد وثمره انفؤاد منه بعد في اكمامها لم تزهر فتغنم * ولم
تدرك فتطعم * وإذا نتجت انشغاعة من حيث لقحت * وزكت اغراس
المعونة من حيث زرعت * ولاحت على صفحات أحوالي آثار الزيادة *
وظهرت فيها مخايل السعادة * اقامت رهج الحمد والشكر * وانطقت بهما
لسان الدهر * وقات ما يتعب الراوي * ويجير السامع والرأي * ويوقع
للخواطر شغلا طويلا * وللسان الاقلام عملا ثقيلا * وإلى أن تيسر من ذلك
ما هو في ضمان الأيام * وفي ودائع الحظوظ والأقسام * فاني أسأل الله
تعالى أن يطيل بقاء الحاجب مصوناً عن لحظات الغير * محروساً من عثرات
القدر * اقباله وسعده مقبل * وبابه مستقبل * وبنانه بل كمه بل تراب
مجلسه مقبل *

* * *

« وكتب الى أبي عبدالله النحوي الخطيب بالري » :

إن تكلفت للشيخ ذكر ما اسلمني له فراقه من الملح * وأهداه إلي من
أنواع النعم والجزع * جريت معه في ميدان الاعتماد * واستقبلت بكلامي

قبلة الشكر والاحماد * ورأيتني أشكر نفسي على أن أؤدي فرضاً * وأحمد
جواني على أن يجيب بعضها بعضاً * وأن سكت بقيت في نفسي حاجة *
واستولت على قلبي حسرة * ورأيتني ابخل على نفسي بشكاية المضرور *
وانفث عليها نفثة المصدور * فلا أدري أقول على أن القول كلفة * أم
اسكت على أن السكوت غصة * ولكني أنشد قول المولد :

واشهد الله وحسي به أني إلى وجهك مشتاق

ما زال قلبي مقبلاً لذكر ليالينا تلك الطوال القصار * اللواتي كانت ظلماتها
أنوار * وساعاتها كلها اسحار * حاربنا فيها النعاس بجيش السم * وسهرناها
ولم نجد مس السهر * فكلما مال بنا النعاس إلى شقه * وكاد يستعبدنا الملل
برقه * نقضنا عنا غبار الكسل * وجلونا عن أعيننا بل أنفنا صدأ الفتور
والملل * بحديث مطرز بالادب * مرصع باخبار العجم والعرب * يسكر
من سمعه وإن لم يشرب * ويشهد على بهيمة من شاهده إن لم يطرب *
بألفاظ أنيقة النظم وثيقة النثر * ومنطق رقيم الحواشي لا هراء ولا نزر *
فيعود النشاط امضى ما كان حلاً * وأصفى ما كان فرنداً * وأثقب ما كان
زنداً * ولو عاوضني دهري * واشترى جميع عمري * وبقي عصري
ورد إلى تلك الليالي الزهر * المحجلة الغر * لكان قد احسن إلي واربحني *
وخسر علي * وهيهات الدهر تاجر لا يغبن في تجارته * وأمير لا يغلب على
إمارته * ولكننا نقطع الدهر قالاً وقيلاً * ونعلل فيه قلباً عليلاً * يسر الله
لنا حالة يعود بها الأنس في أحسن زينته * واتم بهجته * وأدالنا على الفراق
الذي وجدناه لثيم الظفر * قبيح المنظر والمخير * وأعاد لي تلك الأوقات
المسودة المحمودة * التي سرقتها من دهري * ورأيتها غرة عمري *

وصقلت فيها بلقاء الشيخ ذهني وفكري * وانشدت فيها من شعري وشعري
غيري :

وفرحة الاديب بالاديب كفرحة الطبيب بالطبيب

ولو طابت من الشيخ عوضاً لكنت قد اعنت الزمان * واستحققت بطبتي
المحال والحрман * والفضل اليوم أفل طالباً * وأعز صاحباً * وأجذب
جانباً * وأخيب كاسباً * من أن يعظم غير الشيخ بين طرفيه * أو يضم
عليه كلتا يديه * سقى الله أيامنا بيد الشيخ الجليل * فاني لا أعرف سحابة
تشدى نداها * ولا تسقى سقياها * وإنما طلبت الغاية في الدعاء * وسموت
إلى أقصى مراتب الاستسقاء * وقد قال أبو الطيب المتنبى :

سقى الله أيام الصبا ما يسرها ويفعل فعل البالي المعثق

وكأنه قال سقى الله أيام الصبي خمراً فانما فرحها ساعة * وطيبها مجاز لا
حقيقة له مع بشاعة طعمها أولاً * وثقل خمارها ثانياً * والذي دعوته به
من السقيا يبقى ولا يفنى * ولا يستبشع بل يستحلي * ويستطاب ويستمرى
بلغني أن فلاناً زعم أن سمعه لا يسع لاستماع كلامي * وأنه يستعظم ما يرى
عليه الناس من اعظامي * وانذب للعين العشواء في حبة الظلماء * وكراهية
الضياء * وفم المريض يستثقل وقع الغذاء * ويستمر طعم الماء * والجعل
يتغذى بالسرقين * ويموت من الورد والنسرين * ومن الريحان والياسمين
ومن طمس عين الشمس * فقد نطق في الحس * ومن حارب جيش العقول
وخلع ربقة العدل * ورضي لنفسه بمجانسة الجهل * فقد كفى خصومة
مؤنة عتابه وعقابه * وقد أمن زيادة المحنة لتمام ما به * كتبت هذه الاحرف
ولم يبق مني الحر الشديد * والسفر المديد * قلباً يدري * ولا بنانا يجري *

فاني * قد ذبت غير حشاشة ودماء * ما بين حر هوى وحر هواء * فأما
حر الهواء فشاهده حاضر * ودليله ظاهر * وأما حر الهوى فان هواي
مقصور على مولاي * وقلبي حمأ لا يحله غيره * ولا يعمره إلا ذكره *
وأرجو أن لا أعدم على ما قلته من قلبه شاهداً * ومن علمي به رائداً *

* * *

« وكتب الى قاضي الري أبي الحسن بن شادان : »

كتابي أيد الله تعالى القاضي من قم وأنا فيها بمكة حر الاحجاء * وبعمان
هواء لا ماء * بل كتابي وأنا في سلامة إلا من الحر الذي يذيب دماغ الضب
ويشبه قلب الصب * وهذا سرقة من رسائل الوزير الجليل ابن عباد وليس
بأول غارة الكردي على الحاجي ولا بأول أخذ الطرار * مال التجار * ولا
بأول تجمل المتكاتب * بكلام الكاتب * وهل عبرنا منذ عرفناه إلا عن
بيانه * وهل أحرينا أفلاننا إلا على أثار قلمه وبنانه * وهل اغترفنا إلا من
بحره * وهل نقطنا إلا بنظمه ونثره * وهل على الأرض عار أن تطلب سقيا
السماء * وهل بالفقراء نقص أن يأخذوا صدقات الأغنياء * وهل يعاب
النهر أن يستمد من البحر * وهل يضع من الساري أن يستنير من البدر *
لا بل كتابي عن سلامة الاين مباينة الجمال * ومن عشرة الجمال * على أن
الجمال حمل وهو ينطق بلسان * وتشبه خلقته خالقة الانسان * لا بل كتابي
عن سلامة إلا من سبعي من كل حضرة بعد تلك الحضرة البهية * ومن كل
نفس بعد تلك النفس الزكية * فاني منذ لقيتها وزنت العالم بأخف صنجه *
وقومت الدنيا باوكس قيمة * على أني ما خرجت منها إلا طريد حياء *

ووفيد عطاء * وفدت على الوزير ابن عباد وحقائي مملوءة رجاء * وصدرت
 عني وهي مملوءة مدحاً وثناء * ولقد غاص في معاني على دقائق من الكرم
 اخترعها * ونوادير من الجود ابتدعها * لو كانت ابياتاً لكانت أوابد *
 ولو كانت قصائد لكانت فلائد * ولو كانت ألواناً لكانت غرراً * ولو
 كانت حلياً لكانت درراً * فلما رأيت أن لا ازداد في صناعته طبقة * ولا
 اترقى في نعمه درجة * إلا ازدادت عنها تلبداً * وبحقها تقاعداً * هربت
 لأكون أوحداً في الهزيمة من الجميل * كما انه أوحداً في بذل الخزيل *
 ولا غرب في الهرب على الشعراء * كما أغرب في العطاء على الروساء *
 وليجمع بيننا ظاهر اسم الاختراع وفحواه * وأن فرقت بيننا حقيقته ومعناه
 خلقت على القاضي من دقائق اشغالي ما إذا تفكرت فيه قرعت له سني *
 وتعجبت منه ومني * ورأيتني قد ابتذلت الكبير للصغير * ونطت الحقير
 بالخطير * ولكن الكريم إذ رأى المكارم لم يحل عن دقيقتها * ولم يدق عن
 جليلها * وقد يتواضع الأسد لصيد الأرنب * واقتراس الثعالب * وإن
 كان يفترس الفيل * ويصطاد الزندبيل * فأما أنا فاني اخترت لغرس مودتي
 من تزكو تربته * وتحمد صحبته * وانزلت حاجتي بمن داره مفيض حوائج
 الاحرار * وبابه مثابة الشكر من الاقطار * ومن نظر إلى ندماء الوزير
 وأصحابه * وإلى حجابيه وكتابه * علم أنه لم يلقطهم إلا برائد الفراسة *
 ولم يغص عليهم إلا بمعونة من التوفيق والهداية * وأنه طالع ما وراء العواقب
 بمرآة من التجارب * وانه الرجل اذا قدح بالظن انقب * واذا ولد بالرجاء
 انجب * واذا نظر الى الناس عرف النقاية فانتقاها * والنفاية فانتقاها * وعلى
 هذه الحملة كان اختيار القاضي فصادف صنعه مصطنعا * ووافق بدهه مزدردعا
 ووقع الجميل منه موقعا * ليت القاضي لا يقول هذه الحاج لا تساوي كل هذا

الملاق * وكل هذا السجع الملقق * فإني لم يبق في قلبي سجعه الا نشرتها * ولا
في لساني فضاة الا احضرتها * والسلام

* * *

« وكتب إلى صاحب ديوان الحضرة » :

كان صدر غني الى حضرة الشيخ كتاب انشأه الشوق اليه * وكثرة التلهف
عليه * وكتبته يد الحمد والشكر * واملاه لسان الحديث والذكر * وعزیز
علي اني في هذا الفصل الذي هو شباب الزمان * ومقدمة الورد وانريخان *
غائب عن مجامسه الذي حضوره شرف دهر * واستئناف عمر * ورفعة قدر *
لا بل عن وجهه الذي اذا لقيته لقيت به السعد طالعا * والنجع مطالعا * وفارقت
ففارقت شخص البركة واليمن * وهيكلك الاحسان والحسن * والدهر غريمي
في استئناف تلك الحالة القديمة * ومراجعة تلك الحضرة الكريمة * وانا اراجع *
فهل الشيخ مراجع * وانا تائب * فهل رضي الشيخ الى آتب * وسالقي اليه
ربقي * واوقف عليه طاعتي * فان صفح فطلما انكسرت المودة ثم انجبرت *
واقبلت الاحوال بعدما ادبرت * وطلما تقدم عتاب وتأخر عتاب * وطلما
زجي الساعي بالمضرب فخاب * ورمى بين الاحرار سهمه فما اصاب * وطلما
كان قليل الهفوة * ويسير النبوة وعارض الجفوة * سببا لحميد الرضى * وكريم
العتبي * وكثير الرحمی * لا بل انصلة خلف القطيعة ابقى * والمودة بعد
النفرة اخلص وابقى * لان العتاب قد صفى ماءها * وجلا اقداءها وابرز عن
غش مفسديها * ودل على كذب من سعى بالنمائم فيها * وان دام الشيخ على
حقده * ولم ينحل عن عقده * لم يجذني بحمد الله كاسد الشعر * رخيص المهر *

قوي الجزع ضعيف الصبر * ولم اسقط عليه سقوط الذباب في القدر * وانما
الأدب سلعة تنفق على الكرام والشيخ منهم * وتكسد على اللثام وهو بنجوة
عنهم * ولقد خصني من بين الازمان زمن لثيم * ووقع في قسمي من البخوت
بخت ذميم * حيث صرت ائزم خراجا التزم بنو المدبر اضعاغه للبحري *
واضايق في ضيعة وهب امثالها محمد بن الهيثم الغنوي لابي تمام الطائي *
حيث قال البحري :

ولم لا اغالي بالضيايع وقد دنا على مداها واستقام اعوجاجها
اذا كان لي تربيعها واغتيالها وكان عليكم عشرة وخراجها
وقال ابو تمام الطائي :

فدع ذكر الضيايع في شماس اذا ذكرت وبني عنها نفار
ومالي ضيعة غير المطايا وشعر لا يباع ولا يعار
فان كان اولئك رؤساء فايس رؤساؤنا برؤساء * وان كان هؤلاء شعراء فلسنا
نحن شعراء * وقد عرف الشيخ اني لا اقيم على الخسف * ولا احل الا خطة
النصف * فان رأى ان لا يفجع خراسان بلسانها * ولا يليها من سيفها وسنانها *
فعل :

«وله رحمه الله تعالى»

ورد علي كتاب من ورائي * من اسرتي ووكلائي * يذكرون فيه ان الشيخ
قد ترك لهم خراج هذه السنة * وكفر عن تلك السيئة بهذه الحسنة * ومثله من
عقب الفساد بالصلاح * وعفى بالمراهم على آثار الجراح * وانا اعلم ان ما كان
منه من الاولى كانت نادرة وفلته * وان ما كان منه من الاخرى كانت قصدا
وعمدا وفطرة * فان الكريم اذا اساء فعن خطية * واذا احسن فعن عمد ونية *
والحر اذا جرح اسا * واذا خرق رفا * واذا ضر من جانب * نفع من جانب *

وان يكن الفعل الذي ساء واحدا * فافعاله اللاتي سررن الوف * والله تعالى
 يطيل بقاء الشيخ لمتحن يخلصه * ولفاضل يستخلصه * ولعارفة يسديها *
 وصنيعة يوليها * ورغبة يعطيها * ومعال يوشيها * وكريمة يجليها * ومهمة
 يكفيها * وملمة يداويها * وايام كايامنا هذه يداريها * ودولة سامية يليها *
 وجنية من جنيات الكرم يجنيها * ومسعاة من مساعي الشرف يبينها * وذخيرة
 من ذخائر الشكر يقننيها * وغاية من غايات الفضل يحتويها * ومسبق اليها
 اهلها * وصفوة من المعالي يصطفئها * وحسنة يرغب فيها * وفي ذويها *
 اسأل الله تعالى ان يعينني على شكره * وان يزيدي من بره *

* * *

« وكتب الى الوزير ابن عباد لما فارقه ومر باصفهان

وتوفيت اخت الوزير » :

كتابي اطال الله بقاء الوزير من حضرته الى حضرته * ومن مستقر عزه الى
 مستقر عزه * فانا بما تبغي من عنايته * وشيعني من عساكر حياطته ورعايته *
 ونسبت اليه من خدمته * ولاح على صفحات احوالي من مواسم نعمته * صالح
 الحال * بل ناعم البال * راض من الايام والليال * والحمد لله ذي الجلال *
 وصلى الله على محمد وآله خير آل * قد كنت احسب ايد الله تعالى الوزير اني
 اتوصل الى بره * واكرع من بحره * واراد شريعة نواله * واضرب عظمي
 بين جاهه وماله * اذا وردت حضرته البهية * وطالعت طلعت الزكية * فاذا
 فارقتها انحسرت على مواد المواهب * ولم تصافحني ايدي الرغبات والرغائب
 فاذا انا بنعمته يشيعني غائبا * كما تلتقاني حاضرا * وتمشي على عقبي ظاعنا *

كما تنزل ربي قاطنا * كالغيث يستقبل الطالب * ويتبع الهارب وكالشمس
 تطلع على المسافر * طلوعها على الحاضر * وذلك اني وردت هذه الناحية
 المغمورة ببركات نعمته * المكنوفة بافضاله وفضله * فرأيت بها من غرائب
 الاكرام والاعظام * ومن دقائق الافضال والانعام * ما ترك مطايا الشكر
 محسورة مبهورة * وجعل ايدي التعبد قاصرة متمصورة * وقدمت من خليفته
 فلان على رجل عجن من طينة الحرية * وضرب في قالب الفتوة والانسانية *
 وسخرت له المكارم يضرب فيها بسهام الاقتدار * ويصرفها على حكم
 الاختيار * اوله ثناء جميل * وآخره عطاء جزيل * وفيما بينهما ترحيب
 وتأهيل * وتعظيم وتبجيل * برحتى سر * وعظم حتى افحم * وافضل حتى
 اخجل * وتركي اتردد بين محاسن قوله وافعاله * واجيل طرفي بين طرفي
 تنزيله وانزاله * واذكر به اخلاق الوزير التي ما رأيت كريما الا ذكرنيها
 لاستيفائه منها * ولا لثيما الا مثلها لي للتخلية عنها * يذكرني كل خير رأيت
 وشر * فما انفك منه على ذكر * وكيف اتعجب من علق الوزير اتخذه *
 ومن سيف بناله شحذه * ومن جواد هو ضمرة الرهان * ومن حر هو عمله
 نسخة الحسن والاحسان * ومن تلميذ استفاد منه * وخريج صدر عنه *
 فهيئات ان السيوف على مقادير الاعضاء تفري * وان الخيل على حسب فرسانها
 تجري * وحق لنهر الشعب من بحر ان يكون غزيرا * ولنجم استضاء من بدر
 ان يكون منيرا * على انه بالآباء تقتدى الاولاد * وعلى اعراقها تجري الجياد
 والسيف ما لم يلف فيه صيقل من سنخه لم ينتفع بصقال

وقد ذكرني ما رأيت قول من سئل عن ابي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية
 رضي الله تعالى عنهم قال له السائل اني لم استكثر منه فصفه لي فقال انظر الى
 اثره على واصل بن عطاء وعمر بن عبيد فماذا اقول في جمر هذا شرره *
 وفي سيف هذا اثره * وفي كريم هذا نتائج سؤدده * وآثار يده * فسبحان من

جعل نعم الوزير تكتفي في الحضور والغيبة * وتُحيط بي من الجواب الستة *
فاذا حضرته طالعي * واذا فارقه تبغي :

ففي كل نجد في البلاد وغائر مواهب ليست منه وهي مواهبه
المصيبة التي قرعت صفاة الوزير في المتوفاة زكى الله عملها * وحقق في
مغفرته املها * وان كانت نالت كلا من خدمه * ومتحملي اعباء نعمه * بالغم
الذي لا تنجلي كربته * والجرح الذي لا تؤسى ضربته * وخصني من بينهم
بالنصيب الاوفر * والقسم الاكثر * فاني اغار لجنة الوزير من ذكر النساء
اولا * واتطير لنعمته ان تتجللها التعازي والمراثي ثانيا * وأنف له من ان اقيم
مقام من يوعظ وينبه ثالثا * والا فالقريحة بحمد الله تعالى متدفقة والخواطر
مجيبة * والشعر ليس بعازب * والشيطان ليس بغائب * والطريق الذي نهجه
الوزير لنا في الادب عامر ومسلوك لامتروك وقد كان ابو الطيب عزى سيف
الدولة عن اخت له فقال :

يعلمن حين تحمسي حسن مبسمها وليس يعلم إلا الله بالشنب
ولو عزاني انسان عن اخت لي بمثل هذا لالحقته بها * وضربت رقبتة على قبرها
ولا مجال اللهم والغم بين عزاء الوزير وبهائه * ولا مرتع للبكاء والقمجة بين
بقاء النعمة عليه وبقائه * وانا اكتب للزمان سجلا انه اذا تخطأ فناه * واخطأت
حوادثه حواء * فسائر ما يأتيه صغير محتقر * ومنسي مغتفر * وباطل وهدر *
وسيرد على الوزير شعر غلامه ليعلم انه لم يجهل مقتضى النعمة * ولم يخلد الى
الغيبة * ولم يدخر شعره * ولم ينجيء بعد عروس عطره * ووالله ما انصفنا ولي
نعمتنا * ومالك رقنا * وجالب رزقنا فيما نشاركه في نعمائه * ولا نشاركه في
بكائه * ونسأله في احوال الرخاء * ولا نقاسمه احوال البلاء * ولا نساعده
على البكاء * ونتحمل اعباء منته * ولا نتحمل اعباء محنه * قضية والله سدمية *

وسنة حدودية * لا زالت الحوادث عن فئاته ناكبة * والخطوب عن نفسه
وانفس اعزته عازبة * وصروف الايام عن مستر عزه مصروفة * والحاظها
دون تطرف نعمته مطروفة * ولا زال يتعرف من الله تعالى صنعا يزكو طريقه
على تليده * ويقع عتيقه وراء جديده * وارانا الله جماعة اوليائه فيه * ما تضيق
ساحة رجائنا عن بغيته * ويأتي على صالح دعائنا برحمته * فلان خادم الوزير
قد وقف على نفسه صانها الله * وماله ثمرة الله * وقلدني نعمة صارت الى نعم
الوزير مضافة اذ كان في طريقه ذهب * وعلى قلبه ضرب * وكأن خادم
الوزير كثرهم الله في تشابه افعالهم * وتكافؤ احوالهم * حلقة مفرغة * لا
يدري ما طرفاها * وسبيكة ذهب لا يعلم اسنلها افضل ام اعلاها * وكلما
فقدت منهم درهما وجدت دينارا * وكلما فقدت دينارا وجدت قنطارا *
والوزير اوسع لمكافأة خدمه * فانما يتقارضون من فضلات ما عندهم ماء
نعمه * ويعير بعضهم بعضا ما يتقلب فيه من بقايا مواهبه وقسمه * ثم مرجع
الشكر بعد هذا اليه * ومدار الاحسان والاستحسان عليه * وما عسى اقول في
مدح الوزير ونعمه * الا ان استعير لسان طفيل الغنوي فاقول :

جزى الله عنا جعفرا حين ازلفت بنا نعلنا في الواطئين فزلت
ابوا ان يملونا ولو ان امننا تلاقي الذي يلقون منا لملت

* * *

«وكتب ايضاً الى بندار نيسابور من الري لما رجعت الوزارة الى الوزير

ابن عباد وعفا عن ندماء ابن العميد» :

كتابي اطال الله بقاء سيدي من حضرة الوزير عن سلامة بسلامته مشتبكة *

وحال بجميع احواله متمسكة * والحمد لله تعالى على النعمة عليه اولا * وعليها
 به اخرا * وقد صدر كتيابي الى سيدي مشحونا بجد رجوت انه يعجبه * وهزل لم اشك
 انه يطربه * والحد في غير وقته كثافة * كما ان الهزل في غير موضعه سخافة *
 وخير الكلام ما انتزع من ضده الى ضده * ورتع بين هزله وجده * واستوفى
 صفة القائل رحمه الله تعالى « وكلام كأنه قطع الروض وفيه الصفراء والحمراء »
 وردت ايد الله سيدي من حضرة الوزير على رجل زادته الرفعة تواضعا *
 والصيانة تبذلا * حتى كأن الايام كتبت له وثيقة بان يستقي جميل عهدها
 بجميل عهده ويستديم جزيل رفدها بجزيل رفده * وكأن صروف الدهر
 شارطنه انها لا تنفي له حتى ينفي لاختوانه * ولا توافقه حتى يخالف اهل
 زمانه * وما ظن سيدي برجل نفذ توقيعه في الهر والبحر * وجاز حكمه في اهل
 نجد والغور * وخدمه اعيان العرب والعجم * وقبل يده ملوك الجبل والديلم *
 وصارت لحظة منه تغني * ولفظه منه تغني * وسطر من سطوره يحي املا *
 ويقرب اجلا * وخلوة من خلواته تزيل نقما * وتحل نقما * وهو مع ذلك بين
 سكر الدولة وسكر الشيببة * ثم هو بعد ذلك كله على عهده القديم تواضعا
 وتقربا * وعلى سجيته المعروفة المألوفة ترددا وتحببا * يصل ببشره * قبل ان
 يصل بهره * ويحيي القلوب بلقائه * قبل ان يميت الفقير بعطائه * اكرم الناس
 عليه * اكثرهم حوائج اليه * وابعدهم منه * اشدهم انقباضا عنه * حتى
 كأن الله تعالى لم يبلغه ما بلغه * ولم يسبغ عليه ما اسبغه * الا ليكذب الفرزدق
 في قوله :

قل لنصر والمرء في دولة السلطان اعمى ما دام يدعى اميرا
 واذا زالت الولاية عنه واستوى بالرجال عاد بصيرا

وليصدق زيادة الاعجم في قوله :

فتي زاده السلطان في الحمد رغبة اذا غير السلطان كل خليل
 وانا من بين الجماعة قد حشمت به بحر الغنى * وركضت به في ميدان المني *
 ورأيت يقظان ما لم اكن احتلم به وسنان * وزفت لي الايام بمشاهدته من
 ابكار النعم ما اتقاعد عن نشره * واصغر من قدره * ولست اسمح من البياض
 بالمقدار الذي يسع تفصيل هذه الرغائب * ويستوي في اقسام هذه المواهب *
 ولكني اقتصر بالمكاتبة على الجملة * واكل التفصيل الى المشاهدة * فلسان
 العيان * انطق من لسان البيان * وشاهد الاحوال * اعدل عن شاهد الاقوال
 سيكون الالتقاء قريبا فان الشاعر اذا استغنى حن الى اهله * ورجع الى اصله *
 واحب ان يرى عليه عنوان اليسار * ويجلو نفسه على عدوه وصديقه في
 معرض الاستظهار * ويعلم الناس انه زرع رجاء * فحصد عطاء * واسلف
 من الكلام عرضا زاهقا * فأخذ من المال جوهرنا نافقا * وفرح الشاعر اذا قبل
 شعره * ونفق سعره * كفرح التاجر * صاحب الجواهر * اذا اشترت
 يتيمة * والشيخ ابى البنت اذا خطبت كريمته * وجدت فلانا وفلانا ندماء
 ابن العميد رحمه الله وقد البسهم الخلدان ثيابه * ونفض عليهم الادبار
 ترابه * ونبذهم الاقبال وراء ظهره * ونظر اليهم الزمان بمؤخر عينه * فهم
 ارضى من الثمر بكرمان * واضيع من الورد في شهر رمضان * واثقل من
 الفروفي حزينان * واكسد من ابى بكر الخوارزمي في خراسان * وكذلك تكون
 مصارع البغي والعدوان * وحقائق البهت والبهتان * ولقد جلسوا على قارعة
 الامصار * واعترضوا يد التحكم والاقتدار * واستهدفوا لسهام الايام
 والاقدار * لولا ان امورهم افضت الى رجل عليه من التوحيد والعدل مانع *
 ولديه من الحلم والحياة وسيلة وشافع * هذا وقد ولغوا في دمه * ورتعوا في
 لحمه * وخبوا واعتقوا في ذمه * بل في شتمه * فلم يبقوا في القوس منزعا *

ولم يتركوا للصالح موضعا * فلما دفع الاقبال رقبته اليه * وصارت حياتهم
 وموتهم في يديه * اسبل عليهم ستر العفو والمغفرة * واسبغ فيهم حكم الصحيح
 بعد المقدرة * وقلم عنهم اظافر الحداث * وقام دونهم في وجه الزمان * وما
 قتلهم الا يوم احياءهم * ولا افناهم الا حيث استبقاهم * ولو كانوا يرجعون
 الى نفس مرة * والى اعراق حرة * لكانوا الى نظر عين الشمس اقوى عينا
 من النظر الى طلعتة * ولكان المقام في القفر بل في القبر اهون عليهم من المقام
 في حضرته * ولئن غرهم الكرم والتكرم وطردهم الحياء والتندم * فلعن الله
 تعالى من لا يعرف الالم الا في جسمه * ولا النقصان الا في ماله * ومن لا
 يقتله العفو ولا يأسره الانطلاق ومن لا يعدد الا حفظ اللغة والاعراب *
 ورواية اشعار العرب * هذا جسم الادب فاين روحه * وقشر الفهم فاين
 لبه * ولو كانت المرؤة رجلا لكان كريم الطرفين * شريف الجانبين *
 مهذب العرق * حسن الخلق والخلق * ولو كانت المرؤة امرأة لكانت
 غضيضة الطرف * ناصعة الظرف * وفية جميلة العشرة للأهل ولو كان
 كفران النعمة طعاما لكان قدرا وضرا * او شرابا لكان عكرا كدرا * ولكن
 كل انسان ينمي الى عرق اوليه * وكل اناء يرشح بما فيه * وما اذكر المتوفي
 رحمه الله تعالى الا بنحير * ولا اقابل نعمه الا بشكر ولكني احب لرئيس مثله
 ان يختار ندماءه * وان يشترط على المخاسن جلساءه * وان يكون اختصاصه
 لهم من حيث شرائط الاختصاص والاكرام * لامن حيث حظوظ الحدود
 والاقسام * وان يكون افضاله غايهم * على مقدار ما يجده من الفضل اليهم *
 ليكون قد اصاب بعارفته * ظنة الاستحقاق * ولم يلقها على طريق الاتفاق *
 وليكون قد ارتاد فاحش الارتياذ * وانتقد فلم يظلم الانتقاد * فاما ان تكون
 الندماء * يتقربون الى الملوك بهتك الاسرار من الاستار * ويأكلون خبزهم
 بلحوم الاحرار * فذلك مما يضيق عنه مسلك الحرية * وينطق بحضرته

لسان الانسانية * ولقد كشفت الايام من حلم هذا الصدر عن غاية لم تطامح اليها عين * ولم تقرع بها اذن * ولم يعثر بها ظن * فصارت صلاته من الاجال * كصلاته من الاموال * وتصديق بعرضه على اعدائه * كما تصديق بامواله على اوليائه * ليكون الجود متكافئ الطرفين * والسؤدد متعادل الوصفين * ولئلا يبقى في الكريم غاية الا انتهى اليها * ولا للمدح جليلة ولا لدقيقة الاغاص عليها * فلان قد ابطأ علي * فليت شعري الريح قلعت * ام الارض ابتلعت * ام الافعى نهشته * ام السباع افترسته * ام الغول اغوته * ام الشياطين استهوته * ام اصابته باثقة * ام احرقته صاعقة * ام رفته الجمال * ام اغتاله الجمال * انتكس على ظهر جمل * ام تدرج من رأس جبل * ام وقع في بئر * ام انهار عليه جرف شفير * ام جفت بداه * ام قعدت رجلاه * ام ضربه الجذام * ام اصابه البرسام * ام جمش غلاما فقتله الغلام * ام تاه في البرام * اغرق في البحر * ام مات من الحر * ام سال به سيل زاعب * ام وقع فيه سهم من سهام الاجال صائب * ام عمل عمل لوط فارسلت عليه حجارة من طين منضود * مسومة عند ربك وما هو من الظالمين ببعيد * وكأني به وقد سمع هذا الفصل فغضب علي * وشم طرقي * وما اردت بما قلته غير الشفقة * ولا نطق الابلسان المقة * وانما اتبعت فيه السنة * فقد كان رسول الله صلى الله تعالى عايه وسلم يحب الفأل ويكره الطيرة * وهذه مزحة خفيفة * وان كانت ثقيلة عليه * وظريفة وان كانت سخيفة لديه * ومحبة الى سامعها وان كانت بغيضه اليه * وقد اعتذرت والعذر وان قل * دواء كل ذنب وان جل * والسلام

« وله الى بعض حكام الرساتيق لما رجع الى نيسابور » :

كتبت وقد اذن الدهر بالعتي بعد العتب * وبالصلح بعد الحرب * ورد الله تعالى علي من الاقبال * ١٠ كان غصبيه البخت الغائر * والحظ المغادر * ورد كيد الساعي في نخره * وردد غصته في صدره * والحمد لله تعالى على انعامه علينا مما ليس له عندنا شكر * ودفعه عنا ١٠ ليس لنا عليه صبر * فما اعظم النعم على غير الشاكر * و١٠ اعجب زوال المحنة عمن ليس بصابر * ذكر سيدي حال تلك الضيعة الضائعة * التي اول عهدي بها آخر عهدي بالوجه المصون * والعرض المخزون والخطب ايد الله تعالى سيدي في تلك الضيعة جليل * والحديث فيها طويل * لا اسع له حتى اعقد لعجائبها حساباً * واصنف فيه كتاباً * واستأجر لتفصيل ذلك وشرحه كتاباً * يرتبونه باباً باباً * ويجعلون له رؤوساً واذناباً * هذا بعد ان اشترى كاغد سمرقند كله * وابرى قصب الدنيا دقه وجله * ويكون مدادي ماء البحر * وعمرى عمر النسر بل الدهر * وما ظن سيدي بضيعة الزماني الجزية بعد ان كنت الزمها الصغير والكبير * واستأديها الرعية والامير * واخرجتني من عز السلاطين الى ذل الدهاقين * وجمعت على فتون الاغنياء وغم المساكين * وشغلني صداعها عن اشغال الدنيا والدين * يستغل الناس الغلة * وانا استغل القلة والذلة * ويزرعون في الارض حباً * فيحصدون حبوباً * وانا ازرع في قلبي كرباً * واحصد كربوباً * وقد صرت من اجلها اخدم قوماً كنت استخدمهم * واسلم على اناس كنت اذا كلموني لا اكلمهم * ويحجبني من لو حضر بابي من قبل حجته ويعرض عني من لو سألني فيما مضى ما احبته * قد كنت أبغض الهوان اذا مرّ ببابي * فاليوم قد ادخلته داري وبين ثيابي * وإلى من يشكو المفعول به وهو الفاعل * ومن يطلب بالقتيل وهو القاتل * والسلام .

« وكتب اليه ايضا » :

كان الحاكم قدم في امر ضياعي وانا حاضر ما قوي حسن ظني به وانا غائب، وحفظ الصديق حاضراً ود * وحفظه غائباً عهد * ومن احسن مشاهدة فقد حفظ الاخاء * ومن حفظ على ظهر الغيب فقد رعى الوفاء * فلما غبت عن الناحية اصابت تلك الناحية عين الغير * ودب إلى الحاكم حوادث البشر * ووقع في تلك الضيعة من الصنيعة * وفي تلك الغلة من القلة * ما بغض إلي المال * وحبب إلي الفقر والاختلال * وتركني كلما سمعت بذكر ضيعة قرأت المعوذتين * وانهزمت فرسخين * واقمت ديدبانين على رقبين * وانا يكره الفقر لما فيه من الهوان * ويستحب الغني لما فيه من الصوان * فاذا نبغ الغم من تربة الغنى فالغنى هو الفقر * واليسر هو العسر * لا بل المقر على هذه الصفة والحالة والقضية اجمل من الغنى حالا * واقل منه اشتغالا * لأن الفقير خفيف الظهر من كل حق * منفك الرقبة من كل رق * لا يلزمه اداء الزكاة * ولا توجه اليه غوائل النائبات * ولا يستبطئه اخوانه * ولا تطمع فيه جيرانه * ولا ينتظر في الفطر صدقته * ولا في النحر اضचितه * ولا في شهر رمضان مائدتته * ولا في الربيع باكورتته * ولا في الخريف فاكهته * ولا في وقت الغلة شعيره وبره * ولا في وقت الجباية خراجيه وعشره * فانما هو مسجد يحمل اليه ولا يحمل عليه * وعلوي يؤخذ بيديه ولا يؤخذ من يديه * يتجنبه الشرطي بالنهار * ويتوقاه العسس بالليل وفي الاسحار * فهو اما غانم او سالم والغني انما هو كالغنم غنيمة كل يد سالبه * وصيد كل نفس طالبه * وطبق موضوع على شارة النوائب * ومنصوب على مدرجة المطالب * تطمع فيه الاخوان * ويأخذ منه السلطان * ويتطرق اليه الحدثان * ويتحيف ماله التقصان * فاذا كانت حاله حالي فوقع عليه اسم الاغنياء * واصابه من الضرر ما يلحق بالفقراء *

فقد نظم له بين المحتئين * وخرج عليه الزمان من كمينين * لأن حقوق الاغنياء
ترهقه من جانب * وتبذل الفقراء ومهانتهم تلحقه من جوانب * فلا هو غني
فيتسلى بوفره * ولا هو فقير فيستريح إلى فقره * فهو كمؤدي الخراج وليس له
غلة * وكالراهب المعذب نفسه بالعبادة والخلوة وليست له ملة * فقد جمع المشقة
والمضرة الحاضرة * وخسر الدنيا والآخرة * ولولا ان تضييع المال * ضرب
من العجز والاخلال * وخصلة من خصال النساء لا الرجال * لكنت اترك
تلك الضيعة نسباً ونسباً * واجعل حديثها بساطاً مطوياً * ولكني لا اغبن عن
الصغير * كما لا أبخل بالكبير * ولا أغالط في القليل من حيث لا اضايق في
الليل * ولقد كسدت بخراسان لاني بها موجود والموجود مملول * كما ان
المعدوم مسئول * وما ارخص الماء إذا وجد * واغلاه إذا فقد * وربما غلا
الشيء الرخيص والله تعالى أسأل ان يهب ريح الكرم * ويطلع نجم الهمم *
ويجلو عن خلقه صداً هذه الاخلاق والشيم * بمنه وكرمه *

* * *

« وله الى فقيه بلاد قومس وقد ورد عليه ابنه للقراءة » :

ورد على كتاب الفقيه بعد نزاع كان اليه * وحرص كان عليه * وبعد ان
اقترحته على الدهر * وخلعت فيه ربة العزاء والصبر * ولم أدر بايهما انا اشد
سروراً بالكتاب وهو ايسر واصل * ام بحامله وهو اجل حائل * فلان ولدي قد
اقتطعت له من فراغي فلذة على اني لو درست حتى تحفي الاقلام * ويفني
الكلام وتختصر الافهام والاهام * ثم لقمته العلم لقمه * وسبكت له الادب
فقرة * والهمته جوامع الكلم وافرغت في خاطره اداب العرب والعجم *

وخرجت له • من حد الافهام * إلى حد الالهام * لكننت فيه عن قضاء حق • من
 حقوق الفقيه قاصراً * ولكان وقوعي دون ادنى • واجبه على ظاهراً * ولكن
 الاقرار عذر قوي * كما ان الانكار ذنب طوي * وقد كان هذا الولد اديباً
 مجملًا * فصار بحمد الله تعالى اديباً • مفصلاً * وكان اغر فصار اغر مجملًا *
 وارجو ان الله تعالى يحمي به • أثر سلفه الصالحين * ويعلي به منازل آبائه الاولين
 وان يكون اولهم علماً وادباً * وان كان آخرهم • ميلاداً ونسباً *

* * *

• وله الى خلف بن احمد • :

ورد كتاب الامير متضمناً المواعظ التي تغلق الصخر * والحكم التي تشرح
 الصدر * يأمرني فيه التأدب بادب الله تعالى والتنجيز لموعوده ويشير علي بأن
 اتدفع درعاً من التماسك * ترد عني داعية التهلك * وفهمته ولعمري ان
 الرزية بفلان رحمه الله تعالى وان كانت عظيمة تنسى العظام * وتوهي
 العزائم * فان عظة الامير مما يهون الخطب * ويكشف الكرب * ويداوي القلب
 ولقد ضربني الزمان بحد حساه * ورماني بانفذ سهامه * فان اجر على سبيلي
 الاولى في الجزع * وادفع داعية الوجد واللمع * فلعظم خطب الرزية *
 ولثقل وطأة البلية * ونفوذ سهام النبيلة * ولئن استسلمت للقضاء * واستقبلت
 قبلة الصبر والعزاء * فلبلاغة العظة * وللزوم الحجة * ولما وفق الامير له من
 مداواة القرحة * ورد ضالة السلاوة * على أني اوتر الآخرة على الاولى * واحمل
 التأسى على الاسى لاكتسب بذلك من رضى الله تعالى في الاجل ذخراً *
 ومن طاعة الامير في العاجل فخراً * فاكون قد نسفت بين الطاعتين *

واستوجبت بهما الثواب في الدارين * ولاكون قد اصبت بمصيبة احاط بها
اجران * وابتليت بعسر اكتنفه يسران * فاذا المحنة فراداً * وإذا النعمة مثنى *
والله تعالى يرحم الماضي رحمة تضيء قبره * وتحط وزره * وتضاعف اجره *
وتلحقه بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى لم له وعترته * وبمواليه وشيعته *
ليرتع معه في روضه * ويشرب بيده من حوضه * وليحشر في اعلام اهل
دينه * ويعطي كتابه بيمينه * ويقليل عمر الامير حتى يصير خدمه من ابنائه *
ويعز نصره حتى يكون خدمه وحشمه من اولاد اعدائه * ان رأى الامير في
هذه المخاطبة لفظه ينبو عن قبولها طبعه * ويتجافى عن استماعها سمعه * صرف
ذلك إلى دهش الروعة * وشغل القلب بالفجعة * على أنا ان اصبنا فبدولته *
وان اخطأنا فلهيبته *

* * *

«وكتب الى أبي قاسم بن ابي الفرج كاتب ركن الدولة لما عزل» :

أنا اهنيء الدنيا يوم عزلك * كما كنت عزيزها يوم ولايتك * فلئن عد
اقبالك في مثالبها * لقد ذكر ادبارك في مناقبها * ولئن كانت عوتبت يوم
رفعتك * لقد اعتبت يوم وضعتك * وانت والله الجليل يسر بفراقه * والخليل
هنيء بطلاقه * ولقد كان معرض النعمة قبيحاً عليك * مستغيثاً من يديك *
كأنك أبا القاسم لم تتول الا لتصديق الاول :

وكل ولاية لا بد يوماً بخيرة الصديق على الصديق

ولم تعزل الا لترجم عن قول الآخر :

ستعزل ان عزلت ولا يساوي صنيعك في صديقك نصف فلس

لا بل كأنك ما قلدت الا ليشدد غيظ الاحرار * ويقوي طمع الاشرار *
ولتصل زيادة في ذنوب الايام إلى الكرام * وحجة عليها للتأم ولقد خالفت
قول الحجاف :

نحن الذين إذا علوا لم يفخروا يوم الهياج وان علوا لم يضجروا
فلقد ظفرت فلم تضبط نفسك نشاطاً * ونكبت فلم تملك استاك ضراطاً *
فضقت عن احتمال الفرحة * كما عجزت عن احتمال الترحة * فلم توجد يوم
سعدك شاكراً * ولا يوم نحسك صابراً * فالحمد لله الذي جعل امسك لنا عبرة
ويومك لنا نعمة * ولا عدمننا فلکا دار بردك إلى قيمتك * وصير حالتك في
وزان آلتك * فلا زلت بعدها غضيف الطرف * راغم الانف * صديقك
يرحمك * وعدوك يظلمك ويتهضمك * اقرب الناس اليك * اكثرهم بكاء
عليك * وادناهم منك * اشدهم هرباً عنك * والسلام على من قال آمين .

* * *

« وكتب الى أبي علي البلعمي بعد ابيات استبطأ جوابها » :

قد حملت إلى حضرة الشيخ ابياتاً عاتبته بها * بل عاتبته فيها * وهي عروس
كسوتها القواني * وحليتها المعاني * ولعمري لقد زففتها إلى كفوء كريم *
وعرضتها من كرمه على قيم عظيم * فان كانت حظيت ورضيت فبالرفاء
والبنين * مائة سنة على مئين * وان كانت الاخرى فقد يصبر الكريم على
من لا يحبه * ولا يميل اليه قلبه * والعافل إذا ابغض انصف * وإذا احب
الطف * وعلى كل حال ان وجد الشيخ حرة فليسق إلى مهرها * وان لم تكن
حرة فليوفر على خدرها * وليعلم اني غريمه فيها * وخصمه عنها * والسلام .

* * *

«وكتب الى تلميذه من فقهاء نيسابور لما هرب من محمد بن ابراهيم:

قد كنت أيها الفقيه عذمت ان اواتر عليك كتي * وابثك فيها بخبري * وافضي
اليك بعجزي وبجري * وأستأمنك في جل احوالي ودقها * وفي باطل اشغالي
وحقها * ولكني عورضت من المحن بما لم يترك لي قلباً يعقل * ولا بناناً يعمل *
واقل ما لحقني غضب الامير علي وهذه حالة يفقد بها العقل * ويشيب لها
الطفل * ويتوقع معها الموت بل القتل * ولقد نشبت بين اظفار الخوف *
وعقلت بجباله الخنف * فلا انا لما ورئي آمن * ولا لما امامي آمل وما
كنت احسب أنني أنظر إلى قبري * قبل انقضاء عمري * ولا أنني ارى شخص
ملك الموت في حياتي * قبل ان يجيء وقت وفاي * ولعمري لقد رأى الحاسد
ما كفاه وشفاه * واضحكه مني مثل ما ابكاه * فلئن كان وشي بي الواشي لقد
ابلع * ولئن كان قد تغنى في افناء اجلي لقد افرغ * ولقد كنت ارجو ان يسعني
ما يسع الاحمر والاسود * ويشملني ما شمل الادنى والابعد * ولقد اعتذرت
فان عذرت * فاليوم قبرت ثم نشرت * وان تكن الاخرى فهذه غدره الا تكن
نفعت * فان صاحبها قد تاه في البلد فالى اين المهرب من القللك الدوار * ومن
القدر الجبار * ومن خطر الليل الذي هو مدركي * وان خلت ان المتأني عنه
واسع * ومن المجير من رجل الانام داخل تحت ملكه * والايام منخرطة في
سلكه * وهل الهارب من المجدود الا كالهارب اليه * وهل الصادر عنه الا
كالوارد عليه ومن ذا يزاحم ركن الزمان * ومن ذا يبيت على وساد الثعبان *
ومن ذا يرجو الدواء والموت داؤه * ويثق بالاصدقاء والايام اعداؤه * فلان
قد احس المحضر * وحارب غني القضاء والقدر * وليس الكرم عن مثله ببديع
ولا الجميل من اهل بيته بنزيع * فانما يجري على عرق جاذب * ويعمل على

قياس واجب * واني لاتلهف عليه تلهف آدم على الجنة * واحبه حب الصحابة
للسنة * واشتاق اليه شوقه إلى وجه سؤاله * واعشقه عشقه لبذل نواله * والسلام.

* * *

«وكتب الى ابي علي البلعمي لما بلغ منه عتبه وخرج توقيعه بالتقريع واللوم»:

ذكر الشيخ أني تنقلت بعرضه المصون * وتمدلت بقدره المكنون المخزون *
وقد كنت أحسب الشيخ امنع على السعاة جانباً من ان يقرعوا صفاة حلمه *
ويخترقوا باباطيلهم طريق عزمه وحزوه * ولقد هدم على الوشاة * حصناً كنت
اعددته * وحلوا عقداً وثيقاً كنت عقدته * وسلبوني علقاً نفيساً اشتريته بنفسي
لا بمالي * وحاربوني بعدة كنت احسبها انها لي * ولقد كنت ارى البعيد به
قريباً مني واسرى في الظلماء بضوء رضاه عني *

فمن لي بالعين التي كنت مرة إلى بها في سالف الدهر تنظر
وها أذا هارب من نفسي فانها ان غضب الشيخ علي * كانت اقرب اعدائي
إلي * واتهم لاعضائي فانها عيونه وجواسيسه لدي * ومن عاداه الشيخ حاربه
نفسه * وزحف اليه نحسه * وصار خير يوده امسه .

ولا وساد على سم الاساود لي ولا قرار على زأر من الاسد

لعن الله من يفسد ذات البين * ويسعى بالنميمة بين المحبين * فلقد حارب
بسلاح كليل ألا أنه قطع * وضرب بعضد واهية الا أنه اوجع * وانما التمام
من سلاح النساء * ومن حصون الضعفاء .

* * *

«وكتب اليه لما طال عتابه وكثرت رقاعه اليه»

او بغير الماء حلقي شرقا كنت كالغصان بالماء اعتصاري

كيف يقدر ابقى الله الشيخ على الدواء * من لا يهتدي إلى وجه الداء * وكيف
يداري اعداءه من لا يعرف الاصدقاء من الاعداء * وكيف يعالج علة القرحة
العمياء * ام كيف يسري بلا دليل في الظلماء * ام يخرج الهارب من بين
الارض والسماء * الكريم ايسد الله تعالى الشيخ إذا قدر غفر وإذا اوثق اطلق *
وإذا اسر اعتق * ولقد هربت من الشيخ اليه * وتسلمت بعفوه عليه * والقت
ربقة حياتي ومماتي بيديه * فليذقني حلاوة رضاه عني * كما اذاقني مرارة
انتقامه مني * ولتلع على حالي غرة عفوه * كما لاحت عليها * واسب غضبه
وسطوه * وليعلم ان الحر * كريم الظفر * إذا نال اقال * وان العبد لثيم الظفر
إذا نال استطال * وليغتم التجاوز عن عثرات الاحرار * وليستهز فرص الاقدار *
وليحمد الله تعالى الذي اقامه مقام من يرجى ويخشى * وركب نصابه في رتبة
شاب الزمان ومجدها فتى * واخلق العالم وذكرها طري * فجعله في الميلاد
كريمها وسليها * وفي الرتبة قدوتها وجليلها * وليعتقد انه قد هابه من استر *
ولم يأنب اليه من اعتذر * وان رد عليه عذره فقد خرج إلى الشجاعة
بعد الجبن * واخرج ذنبه إلى صحن اليقين من ستره الظن * وفق الله تعالى الشيخ
لما يحفظ عليه قلوب اوليائه * وعصمه بما يزيد به في جماجم اعدائه * وليس
بين الموالة والمعادة الالقية بشعة * اولفظه قذعه *

* * *

« وكتب الى ابن سمكة القمي وقد اهدى اليه مع كتابه هدية »:

لما وردت الناحية تسالوني تسالب الطرف * وتهادوني تهادي السما
وزنوني بمعيار الامتحان * واجروني في ميدان الرجحان والنقصان * فوجدوني
بحمد الله تعالى جواداً يجري ما وجد مذهباً * وهزوا سيفاً يقطع ما صادف
مضرباً * ولقد عاينوا رجلاً هون عليهم من قبله * وبغض اليهم من بعده *
واجلت الغبرة عن المزور وهو حامد * وعن الزائر وهو شاكر * حملت إلى
سيدي كذا غير طامع في قضاء حق من حقوقه علي * ولا شق غبار حسنة من
حسناته لدي ولو اهديت اليه تاج كسرى * وخراج الدنيا * ونخاتم سليمان *
وذخيرة الهرمزان * وصدقة البصرة * وجوهر الشمسرة * وكسوة الكعبة *
مع الدرة اليتيمة * مع جواهر الخلافة * نعم ولو اتحفته بمال قارون الاسرائيلي *
وكنز النطف بن حير التميمي * وملك عمرو بن حريث المخزومي * ولو
كسوته البردة النبوية * واعطيته الشطرنج الكسروية * ولو غرست شجرة
طوبى في داره * واجريت نهر الكوثر على بابه * وجعلت ارم ذات العماد
التي لم يخلق مثلها في البلاد في قبضته * ولو قلت فيه ما قال حسان بن ثابت في
آل جفنة * ومدحته بما مدح به زهير هرم بن سنان بن أبي حارثة * وشهدت
له بما شهدت به الخنساء لاختويها صخر ومعوية * وصنفت فيه ما صنفه الجاحظ
في محاسن احمد بن ابي داود الايادي * واغرقت اغراق الامامية في المهدي *
وفضلته تفضيل الشيعة للوصي عليه السلام واعتقدت فيه اعتقاد النصاري في
المسيح اولاً * واعتقاد المانوية في ماني ثانياً * وانقطعت اليه انقطاع الاخطل إلى
بني مروان * واعتذرت اليه في تقصيري عن مدحته اعتذار النابغة إلى النعمان *
ثم لم أدع بيتاً نادراً * ولا مثلاً سائراً * الا جعلته سلكاً انظم به محاسنه * وقيداً
اقيد به مناقبه * حتى افنى في ذلك بياض سمرقند واحفى اقلام مصر وواسط

واشغل فيه وراقى الكوفة وكتاب السواد فانهم منيع هذه الصنعة * ومعدن
 هذه الحرفة * لا بل لو تجردت لمادحه تجرد السيف الحميري لثطالبين * وتجرد
 هروان بن أبي حفصة للعباسيين * واتعبت في ذلك الكرام الكاتبين * حتى
 تركتهم محسودين لاعين * لما كنت الا مقصراً ولكني اذا قررت عذري *
 واقررت بتقصير سيري * وقصور قدري * فقد جاوزت عقب الاستزادة
 وسيدي اعلم بخفايا عقدي * واعرف بحاله عندي * والسلام .

* * *

« وكتب الى تلميذ له لما تخلص من يد محمد بن ابراهيم : »

كتابي وقد خرجت من البلاء * خروج السيفي من الجلاء * وبروز البدر من
 الظلماء * وقد فارقتني المحنة وهي مفارق لا يشاق اليه * وودعتني وعي
 مودع لا يبكي عليه * والحمد لله تعالى على محنة يحليها * ونعمة ينيلها ويوليها *
 كنت اتوقع امس كتاب الشيخ بالتسلية * واليوم بالتهنئة * فلم يكاتبني في ايام
 البرحاء بانها غمته * ولا في ايام الرخاء بانها سرته * وقد اعتذرت عنه إلى
 نفسي * وجادلت عنه قلبي * فقلت اما اخلاله بالاولى فلا أنه شغله الاهتمام بها
 عن الكلام فيها * واما تغافله عن الاخرى * فلانه احب ان يوفر على مرتبة
 السابق إلى الابتداء * ويقتصر بنفسه على محل الاقتداء * ليتكون نعم الله تعالى
 . وقوفة من كل جهة * ومحتوفة من كل رتبة * فان كنت احسنت الاعتذار
 عن سيدي فليعرف لي حق الاحسان * وليكتب إلي بالاستحسان وان كنت
 اسأت فليخبرني بعذره * فانه اعرف مني بسره * وليرض مني بانني حاربت
 عنه قلبي . واعتذرت عن ذنبه حتى كأنه ذنبي * وقلت يا نفس اعذري اخاك .

وخذني منه . ما أعطاك * فمع اليوم غد * والعود احمد *

* * *

« وكتب الى احمد بن شبيب : »

ورد كتاب صاحب الجيش مكتوباً بيد خلقت لل سيف والقلم * بل خلقت
لبذل الدينار والدرهم * بل خلقت لامساك العنان والعالم * بل خلقت للنعم
والنقم * بل خلقت لجميع آداب العرب والعجم * فرويته لما رأيته * وحفظته لما
لحظته * ولو انصفته لجعلت الفلك صحيفته * والدهر راويته * ولما اجلت
فكري فيه * واحطت علماً بمعانيه * ورتعت بطرفي وخاطري في مقاطعه
ومباديه * وتفكرت في رتبة صاحب الجيش في الرتب * وفي رتبة كتابه في
الكتب * انشدت :

ولما رأيت الناس دون محله تيقنت ان الناس للناس ناقد
ولو انصفت هذا الكتاب لما فرغت منه * إلى الجواب عنه * ولكن بعض
الاجوبة خدمه * كما ان بعض الابتداءات نعمه *

* * *

« وكتب اليه لما خرج من حبس محمد بن ابراهيم : »

كتبت ايد الله صاحب الجيش وقد خرجت من تلك الاهوال * خروج
المشرقي من الصقال * لا بل خروج البدر من خلل السحاب * وحالي الآن بين

الرجاء والقناعة متماسكة والحمد لله * وصلى الله على سيدنا محمد رسول الله *
وعلى آله صفوة الله * وصل كتاب صاحب الجيش وافادني من خبر سلامته ما
غفرت له ذنوب الايام الي * وجناياته علي * وفهمته فوجدت صاحب الجيش
في غضبه علي * رقيق صفحة الاحتمال * قريب غور الصفيح والاجمال *
مضايقاً من حيث تتوسع الكرام * مخالفاً لما توجبه الاحلام * يفظن للذنب الخفي
ويتغاضى عن العذر الجلي * لا ينزل في المكافأة إلا على حكم الاعداء * ولا
يستقبل بالمعاملة إلا قبله الاستيفاء * ولا يعلم ان للعبيد على الموالي ذمة وان كان
عليهم حق * وان للمماليك من طريق العشرة احرار وان لزمهم رق * هذه
حالة المملوك فكيف بالحر الذي يأخذ مثل ما اعطى * ويستوفي على قدر ما اوفى *
واما انا فانما ادلت على صاحب الجيش لا طرقت له على إلى الاحتمال * ولا
وفر له نصيبه من الفضل والادلال * على انه يحمل التواضع على التكبر * ويميل
مع المحاباة على القدر * فاذا اخذ بنا في طريق المؤاخذة * وعاشرنا على المكايلة
والموازنة * فماله عندي الا السكوت حتى يرضى * والسكوت بعد الرضى
حتى يرضى الدهر فاني اظن ان الدهر لا يرضى عن ذلي إلا بتتلي * ولا يتوفر
من اعناتي * إلا عند وفاتي * وهلا حاربي الدهر بسلاح غير صاحب الجيش
فيعلم كيف قراعي للقران * وكيف صبري عند الضراب والطعان * ولقد
رهاني الادبار بسهم على أني لم البس له جنة * ولم اعد لوقعه علة * فاني والله
لست بالصبور على مس العتاب * ولا بالقلب على وحنة الاحباب * ولاني
لست على هجرك جلد القوي ولا على عتبك شاكي السلاح ومن غرائب القضاء *
ونوادر اخبار السماء * اني ما قرأت لصاحب الجيش كتاباً اطول من هذا
طولا * ولا أضفى منه ذيولا * فليت شعري لم طول هذا التطويل * وجاء بهذا
الكلام العريض الطويل * إلا أنه لم يشف قلبه الا بلوغ النهاية في الشكاية ام لانه

ما وضعني تحت القلم الا درت على اخلاف كتابته • وانهارت قوافي اجراف
خطابته • أم لأنه أراد أن يعرفني أنه طويل امد العريضة • • مديد نفس المذمة
والمحمدة • إذا شاء قال • وإذا قال اطال • وإذا غضب كان عقابه جليلا •
وإذا رضي كان ثوابه جزيلاً • ولم يبق لي الآن شيء اعلى به قلبي العليل •
واداوي به همي اندخيل • الا فرحي بما اسمعه من خبر سلامته في نفسه نفس
الله تعالى مديتها • وفي اسبابها حرس الله تعالى جنبتها • ولقد رضيت بالقليل
ونزلت على الريح الطفيف ولكن كل اللباس يلبس العريان • وكل الطعام
يأكل الغرثان • واستغفر الله ليس لي سلامة صاحب الجيش بالطفيف • ولا
تؤذن الموهبة فيه بالخفيف • ولكن خوفي غضبه قد حيرني حتى سلبنى عقلي •
وحتى صيرني لا أملك قياد قولي • وما اعتذر من هيبتي في مثل هذا المقام
الهائل • ولا الام على دهشتي لهذا الخطب النازل • والشجاعة في غير مكانها
خرق • والجلادة على ما لا يقتضي الحال حمق •

* * *

« وكتب الى كاتب خوارزمشاه وقد تخلص من المصادرة يشتكي اليه
وزير صاحبه »:

قرأت كتاب الشيخ فكاد سروري بسلامته • لا يفني بندامتي على مفارقتة •
وذكر الشيخ ما فتحه الله تعالى عليه من ابواب المن • واغلقه عليه من ابواب
المحن • فسبحان من اذا اغلق باباً • فتح ابواباً • وإذا قطع سبباً اوصل اسباباً •
واذا بخل عباده فخرائمه مفتوحة • وإذا قبضوا ايديهم بالرزق فيده مبسطة •

وانا إلى الشيخ مشتاق شوقاً لو قسم على القلوب لملاؤها صبوة * ولم يدع فيها
 سلوة * وما اشكر نفسي على ان تشتاق إلى من لا ترى منه بديلاً * ولا تجد
 إلى السلو عنه سبيلاً * ويحسب الشيخ ان طرفي بطارفه معقود * وان باب نسيانه
 وتناسيه على سدود * واني ان اصدرت كتابي اليه بالسلامة مع ان قلبي غير
 سليم من الالم * ولا صحيح من الوان السقم * فانما اريد بذلك التفاؤل للكتاب *
 واتباع رسوم الكتاب * فلان قد بلغني اطنا به في ذكرري * وتفضيله لي على ابناء
 عصري * وهذا سلف اسلفني * وانا بمعونة الله تعالى اؤديه * وما ازن نفسي
 بالضجة التي بها يزني * ولا أزينها بالفضل الذي به يزني * فان كان كما
 قال فلعل الفضل دب إلي * وخرج من الكمين علي * لاني عاشرته فاعداني
 فضلاً * وهذبني قولاً وفعلاً * وانا في ذلك جنيته ان قبلني جنيبه * وخليفته
 ن قبلني خليفه * ولقد اغرب ذلك الحر على اهل دهره * وخالف طريقة
 غيره * حين ذكرنا ونحن اصدقاء العسرة * واخوان الفترة * فلم يغيره السلطان
 ولم يطغه الشيطان * ولقد شهد له وحده بانه كريم * ومن اللوم واللوم سليم *
 على قضية قول أبي تمام :

وان أولى البرايا ان تؤاسيه عند السرور لمن آسأك في الحزن
 ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشن
 وشهادة أبي تمام في الكرم * تقوم مقام شهادة امة بل امم * ولئن كان
 خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين عند الانبياء والحكام * فان ابا تمام ذو الشهادتين
 عند الاحرار والكرام * ولي على ذلك الولد حق الابوة * كما ان له على حق
 البنوة * والآباء ابوان ابو ولادة * وابو افادة * فالاول سبب الحياة الجسمانية
 والآخر سبب الحياة الروحانية * والسلام .

«وله الى وزير خوارزمشاه لما نكب» :

قد امتدت مدة هذا البلاء * واوهمتنا ان اندار دار البقاء * لا دار الفناء *
وصار الخطب فيها سبباً * من اسباب سوء الظن بالانام * وداعية إلى قلة الاستنامة
إلى الايام * ونصرة لفعال اللثام على الكرام * ولقد عجت من ذلك الاير
كيف استبدل العبيد بالاحرار * وكيف تحول من ظهر الفرس إلى ظهر الحمار *
كأنه لم يسمع في الخبر * بدل الاعور * اريد بذلك قول الشاعر :

افنيت منذ قلنا غداة اتيتنا بدل لعمرك من يزيد الاعور
ولما سمعت ايد الله الشيخ بهذه النادرة التي تضحك الشكلى * وترك العقول
حيرى * قلت لا إله إلا الله وما اعرف لها فائدة إلا أنها انطقت الناس بالتوحيد *
وان كان على وجه التعجب لا على وجه التهليل والتحميد * اللهم اجعلنا ممن
يتعجب إذا رأى العجائب * ويتغرب إذا سمع الغرائب * فانه إذا كثر العجب
زال التعجب كما قيل :

على انها الايام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب
فاما الآن فقد كان ما كان فاني أرى للشيخ ان يلبس للدهر ثوباً من الصبي
ثخيناً * ويولي حوادثه ركناً من التماسك ركيناً * وان تجده الايام حرراً * وان
تصفيه الحوادث إذا اذاقته مرأ * وان يداري مع ذلك سلطانه * ويصغر بلسانه
اساءته * ويكبر احشائه ويروض لسانه في الخلق على شكره * لئلا يجمع به
في الجلوة إلى غيره * فانما ايام المحنة موج من تطأطأ له تخطاه * ومن وقف
على طريقه ارداه * ومن قابل ايام الادبار بوجهه صدمته * ومن قاتل عساكر
الاقبال في ايام كرهاً هزمته * ومن طالب السلطان بالنصفة طلب عسيراً * ومن

حاسب على قليل من العتب لقي كسيراً * وافة الناصح آله * وعيب الكامل
 في وقت المحنة دالته * لانه يطالب بثمان نصيحته * ويدل على صاحبه بكفايته *
 ويعتقد ان طول الخدمة * أكد حرمة * وان تأكد الحرمة عنده قرابة ولحمة *
 ولعمري ان ذلك كذلك ولكن الغضب ينسى الحرمت * ويدفن الحسنات *
 ويخلق للبري جنائيات :

وان امير المؤمنين وفعله لكا لدهر لا عار بما فعل الدهر

* * *

« وكتب الى ابي محمد العلوي » :

لولا أني لا أحب ان افتتح كتابي إلى السيد بعتاب * وان اكلفه إلى تكلف حجة
 وجواب * لوجد سهامي في الملام مسددة * وسيوفي في التقرير محددة * وعلم
 اني إذا ضربت بلساني لم تقم ضريتي * واذا رميت لم تنجح رميتي * ورد
 كتاب الشريف ايده الله تعالى وهو الكتاب الشريف كاتباً * السعيد حاملاً *
 المغبوط ناسخاً * المحسود راوياً * وفيه الكلام الذي لا يبلية الزمان * ولا تمجه
 الأذان * وقد افرد السيد فيه كل واحد من اوليائه وشيعته بلطف وتناوله
 من البر والتحفي بطرف غيري وما كنت اعلم أني سكيت الحلبة * ولا أني
 ساقاة الكتبية * ولا أن اسمي آخر الجريدة * ولعمري ان شيعة السيد لكبار
 ولكني لا اصغر عنهم وانهم لكثير ولكن مثلي لا يضع فيهم واعوذ بالله تعالى
 من الكساد * فانه اخو الفساد * واستجيره من اكون محباً غير محبوب فان
 المحبة شجرة لا تثمر إلا على عرقين * وسقف لا يبقى إلا على عمادين * وصفقة

لا تَمَّ إلا ببيعتين * وان قوماً انا صغيرهم لكبار * وان امة ابو ذر شرها لخيار *
خرج السيد فخبا نجم العلم وافلت شمس الادب وانهدم ركن السحاب وقل
سيف العطاء وغارت عين الاريحية * وانثلم جانب الانسانية * وانهمزت
عساكر الكرم * واغبر وجه السيف والقلم * ونضب ماء الحياء * وركدت
ريح البهاء * ونحرب بنيان العقل * وتضعض جبل التوحيد والعدل * وانخلقت
ثياب الافاضل والفضل * وتمافت نظم القول والفعل * ودك جبل السخاء
والبدل * وانشد كل من وجد من فقده * ونظر إلى ثكل المكارم من بعده *
ما حال من كان له واحد * يؤخذ منه ذلك الواحد * وانا من بين الجماعة
كالواله الثكلي * وكالفاقد الحري * اقلب طرفي لا ارى من احبه * وفي
الدار ممن لا أحب كثير * إذا نظرت إلى عرصات المكارم والمجد خاليه * وإلى
ربوع الفضل عافيه * وإلى سدة الشرف وقد خلا جناها * واصطفقت ابوابها *
انشدت :

وأصبح بطن مكة مقشعراً كأن الارض ليس بها هشام

وقد رحل السيد إلى حضرة رجل هو للكرام انشئ نفساً * وللفضل امثل
شخصاً * إذا ناظره العربي صار اعجمياً * وإذا ناظره الاعجمي صار عربياً *
وإذا رآه المعجب بنفسه طلق كبره * وفارق فخره * فهو رفيق الجود وخليله *
وزميل الكرم ونزيله * وغرة الدهر وتحجيلة * حضرته حضرة الآجال والاموال
لا بل حضرة الاقوال والافعال * لا بل حضرة الرجال والكمال * تنصب
اليها مواد الرغبات * وتنشد فيها خيول الطلبات * من تأمله علم ان الله تعالى
فرق المحاسن على أهل كل زمان * وجمعها في زماننا هذا في انسان * فسبحان
من إذا شاء خص عباده بالفضل * ورفع بعض بلاده على بعض بالاهل *
من غير ان يكون ظلم احداً أو حابى احداً وصف عراقي خراسان فقال :

نسوانها كرجالنا * ورجالها كجبالنا * ورأيت انا اصفهان فقلت : صبيها
كرجلنا * ورجلها ككهلنا * وكهلها كشيخنا * وشيخها كنبينا * ولم لا
تخرج اهل تلك البلدة في قالب الكمال * ولا يستوفون شرائط الرجال * ولا
ينظمون في طرفي القول والفعال * وهم يرون كل يوم وارداً * ويشهدون
وافداً * ويسمعون نغمة * ويطالعون نعمة * لأن فيهم مثابة الجود * وقرارة
الوفود * وكعبة الآمال * ومحط رحال الرجال * وهم يلتقون على باب الوزير
مع كل كاتب وحاسب * ويجلسون في سדתه مع كل ناثر وشاعر * ولا
يعدهم ان ينظروا إلى ذي صناعة معاشية او معادية * وإلى ذي آلة رياضية
او عقلية * فترق الستهم وتصفو اذهانهم * وتنزه ابصارهم * وتدفق افكارهم *
لاقتباسهم علم كل مكان * واستماعهم تبيان كل لسان * ولترددهم بين
اللغات المختلفة * وبين الاخلاق المتمايزة * فهم يبصرون ويستبصرون *
ويرون فيروون * ويسمعون فيحفظون * واين بهم عن ذلك وهم يترددون في
مغيض العلم والادب * وينزلون في موسم العجم والعرب * وهذا الى ما يسمعون
من كلام الوزير الذي لو سمعته الوحش لأنست * ولو خطبت به الخرس
لنطقت * او استدعيت به الطير لنزلت * ومن جالس صاحب صناعة حذقها *
ومن طال استماعه الحكم نطقها ونعم المعلم الجوار * ونعم الرسول الاسماع
والابصار * كتاب كذا يجب ان يجعل المنع منه صوانه * والعين بل القلب
مكانه * فان الغيرة على الكتب من المكارم * لا بل هي اخت الغيرة على
المحارم * والبخل بالعلم على غير اهله * قضاء لحقه ومعرفة لفضله * واني
لاحسد على الورقة من لا احسده على البدره * وانا فسد في حرف او حرفين *
ما لا أنافس في دينار أو الفين * واغار على الادب الكريم * من المتأدب
الليثيم :

وارثي له من موقف السوء عنده كمرثي للطرف والعليج راكمه
ولوددت لو ان يكون الادب في جبهة الاسد * ولو اصبحت الدفاتر في
اياب الاساود ووددت لو ان كتب ورقة بدينار * او كتب دفتر بقطار
فلا يتأدب الاشجاع كمي * ولا يحرز الدفاتر إلا جواد سخي * طولت على
السيد واكثر * وهذيت فيما حررت واضجرت * ولسان الهذر * ناطق
بالضجر * والسلام .

* * *

« وكتب الى ابي العباس كاتب محمد بن ابراهيم وقد طلب منه نسخة رسائله » :

قد اسلفت الشيخ من شكري * ما اوجب عليه صلاح امري * والسفارة بيني
وبين دهري * والسلف في الدراهم محظور مستقيم * وفي الشكر مباح مستملح *
وحاجتي هذه من صغار الحوائج ولكن كرم الشيخ يسع جلائل الامور ودقائقها
وكنت طويت مسألة الشيخ في ادراج المتاركة * ودخلت في باب المساكنة
ثم ردني اليه * اني لم ار معبر الكرم إلا عليه * ولا أرى منبع الارزاق إلا من
يديه * طلب الشيخ شيئاً من رسائي فمرحّباً بانجح طالب * واكرم خاطب *
ومن سعادة الصهر كرم اختانه * ومن اقبال الكاتب والشاعر شرف من نظر
في ديوانه * ولو قدرت جعلت الورق من جلدي * بل من صحن خدي *
والقلم من بناني * والمداد من اجفاني * ولا مليت هذه النسخة على السفرة
البررة ليكتبوه بيد العصمة * ويجلدوه في بيت الحكمة * بل لو علمت ان مثل
الشيخ يطلبه * وان مثل يد الشيخ بسطها الله تعالى بالخيرات تكتبه * لحاسبت
عليه قلبي ولساني ادق حساب * وطالبت شيطاني بتقيحه وتهذيبه اشد طلاب

ولقلت لخاطري دقق طرزك * وجود بذك * فان المبتاع كريم * والضمن
عظيم * وقد قيل الراوية احد الشاعرين * وانا اقول الراوية احد الشعيرين .

* * *

«وكتب الى ابي الحسن عبد العزيز صاحب ديوان الرسائل»:

كتابي عن سلامة لا اتهمأ بها إلا بسلامة الشيخ والحمد لله تعالى على سلامته *
وعلى سلامتي في جملته * وصلى الله تعالى على سيدنا محمد النبي وعلى عترته *
لما وردت هذه الناحية وجدت النجاح تقدمني اليها * وانتظرتني لديها * فنزلت
منه في اوسع منزل * وعلى اكرم منزل * اكرمني الشيخ نازلاً * وشيغني
راحلاً * وقضى حقي عاجلاً وآجلاً * وفي الحملة ان الشيخ وجد امري ميتاً
فأحياه * ورأى النجاح في بعيداً فادناه * وصادف اقبالي مريضاً فداواه *
ولقد اراخني الشيخ ببره * بل اتعني بشكره * وفرغني بصادق قيامه * لا بل
شغلني بتعديده احسانه وانعامه * وخفف ظهري من ثقل المحن * لا بل اثقله
باعباء المنن * واحيانى بتحقيق الرجاء * لا بل اماتني بفرط الحياء * فانا له بعد
اليوم عتيق * واسير بل طليق * ومن انقذ انساناً من الفقر * وانتاشه من مخالب
الدهر * وفكه من اسار العصر * فقد اعتقه من الرق الاكبر * ونجاه من الموت
الاحمر * والرق رقان * رق الملك ورق الهوان * والاسر اسران * اسر العدو
واسر الزمان * ولست ارضى لشكر السيد لساني ولا بناني * ولا استصلح
لذكر مآثره وآثاره كلامي * فاني ولا كثران لله كليل شفرة الكلام * سليم
وقع الاقلام * قصير رشاء اللسان * قريب غور البيان * ولكني استعين في ذلك
بالسنة اصدقائي * واقلام معارفي واودائي * فنجتمع عليه * ونهدي ما نلفقه

بيننا اليه * لا زال الشيخ للاحرار عضداً * ولساناً ويداً * وعماداً معتمداً *
ولا زالت الالسن عليه بالثناء ناطقة * والقلوب على مودته متطابقة * والشهادات
بالفضل له متناسقة * ولا زالت اولياؤه مستدرين بافيائه * منيخين بافائه
وعفائه * مستعلين به على اعدائه * وجعلني الله فداه ان كنت اصلح لفدائه *
واحسن عني جزآه إذ كان اوسع لحزائه * واطال بقاءه إذ كان بقاء المكارم
في بقاءه *

* * *

«وكتب الى ابي سعيد المتوفي بناحية محمد بن ابراهيم من هراة»:

وردت الناحية بعدما قاسيت السير والسرى * وخضت غمار المهالك والردى *
ونظرت إلى الآخرة وانا في الدنيا واول ما مر بي سوء الدخول على ظهر الحمار
ومعاشرة الحمار * على ان الحمار ايضاً حمار * إلا أنه قصير الاذنين * يمشي
على رجلين * وكأني كنت بين حمارين * إلا أنني كنت بين جنسين غير اني
ادركت المراد * وحمدت المراد * وساعدني الزمان وما كاد * ومن تعلق
بذيل المقبل اقبل * ومن جعل مثل الشيخ مسلماً فقد وصل * فها انا ذا للشيخ
صنيعه ولامره تابع وجنييه وظيفتي * في الملأ شكره * وفي الخلاء ذكره *
والسلام .

* * *

« وله اليه »

قضيت بهذه الناحية حاجتي * وعمرت بعد الحراب حالتي * إذ سرت اليها
ممتطياً عنابة الشيخ بي * ومرافقاً نظره لي * ولولا سكون قلبي إلى حفظه

على ما ورأني * وقيامه دوني في وجوه أعدائي * لما تقدمت إلا وقلبي متأخر
 ولا أقبلت إلى مقصدي إلا وعزمي متذبذب * فان القلب إذا اشتغل بما وراءه
 لم ينفذ رأيه فيما امامه * والرجل إذا قيدها عقال الوجمل * لم تنطلق نحو مظنة
 الادل * فسبحان من ذخري كنزاً * ووهب لي من جانبه شرفاً وعزاً * وجعلني
 اطير بجناحيه * واتناول ما اريد من يديه * وإذا مات ملكي احياه * وإذا
 تبلد بختي امضاه * وإذا سخط علي دهري ارضاه * فلا جرم لقد ملكني ملكا
 لا تنحل عقده * ولا تخاف عهده * لا سلبني الله تعالى النعمة ببقائه * ولا
 نزع عني ثوب الجمال ببهائه *

* * *

«وكتب الى فقيه هراة بعد ان خرج منها عليلاً» :

تأخرت كتبي عن حضرة الفقيه لشواغل كثيرة القلة صغراها * والعقلة
 وسطاها * والغيبة كبرها * وما لي عذر في واحدة منهن * ولا منهن كلهن *
 ولكن المحجوج بكل شيء ينطق * والغريق بكل جبل يتعلق * ولقد عقلت
 الود * وظلمت العهد * ونصبت جنبي للملام * واستهدفت اسهام الكلام
 وكأني بعساكر العتاب وقد زحفت إلي * وحملت علي * والتفريع على مقدمته *
 والتوبيخ على ساقته * والمجر الصرف على مجنبته * فارقت تلك الناحية والحمي
 رفيقي وزميلي * والنافض عديلي ونزيلي * وقد ودعت الدنيا * وحصلت في
 مخالب أبي يحيى * حي اليأس والوسواس * ميت النفس والانفاس * لاتطاو عني
 يدي ورجلي * ولا يساعدني لساني وعقلي * ابعد شيء عني الحياة * واقرب

شيء إلى الوفاة * ولا أظن عمري الا حسوة طائر * او لفظة ناظر * ثم ساق
الله تعالى إلى عافية اخرجت من الكمين * ولم تهجس لي في الظنون * فجاء
اسمي من جريدة الموتى * ورجعت إلى الاولى من الاخرى * وعاش الامل *
ومات الوجل * ولولا أنني معتزلي لقلت تأخر الاجل * فالحمد لله تعالى الذي
قرب الاجل ثم اخره * واورده حوض المنية ثم اصدره * لا بل اماته ثم انشره *
وحقيق ان يشكر ربا إذا ابتلى عوض الاجر * وإذا غفر عرض للزيادة بالشكر *
حمداً يتصل امداده * ولا يفنى اعداده .

* * *

« وكتب الى تلميذ له ورد عليه كتابه بانه عليل » :

وصل كتابك يا سيدي فسرني نظري اليه * ثم غمني اطلاعي عليه * لما
تضمنه من ذكر علتك * جعل الله تعالى اولها كفارة وآخرها عافية * ولا
اعدملك على الاولى اجراً * وعلى الاخرى شكراً * وبودي لو قرب على
متناول عيادتك * فاحتملت عنك بالتعهد والمساعدة بعض اعباء علتك *
فلقد خضني من هذه العلة قسم كقسمك * ومرض قلبي لمرض جسمك *
واظن اني لو لقيتك عليلاً لانصرفت عنك وانا اعل منك فاني بحمد الله تعالى
جلد على اوجاع اعضائي * غير جلد على اوجاع اصدقائي * ينبو عني سهم
الدهر إذا رماني * وينفذ في إذا رمى اخواني * فاقرب سهامه مني * ابعد
سهامه عني * كما ان ابعدها عني * اقربها مني * شفاك الله وعافاك * وكفاني
فيك المحذور وكفاك * ورفع جنبك * وغفر ذنبك * وشرح قلبك * واعلى
كعبك *

* * *

«وكتب اليه وقد ورد كتابه بافاقة وحل اليه تفاحاً» :

وصل التفاح في طيب نثر ك * وحلاوة نظمك ونثر ك * وحسن ذكر ك *
وكان ابقى من كل طيب غير خلقتك * واحسن من كل حسن غير خلقتك *
وعدتني سرعة انكثائك * وذكررت افراقك من دائك * فما ادرى على اي
الخبرين كان شكري لله تعالى اكثر عدداً * واكتف مدداً * وباية البشارتين
كانت نفسي اسر * وعيني اقر * صدق الله هذه البشرى * واتم عليك هذه
النعمة * وها انا قد ممدت إلى الطريق عيني * واخذت اعد الخطى بينك
وبيني * أحسب كل انسان رسولا * وكل شخص كتاباً إلي محمولا * فجعل
الله تعالى انخافنا بنفسك * ولا أحرمننا حظنا من انسك *

* * *

«وكتب الى كاتب من كتاب الحضرة» :

تأخر عني كتاب شيخني حتى نسيت ايام المراسلة * وصرت ارى في المنام
اوقات المكاتبة والمواصلة * وحتى ظننت ان الاقلام قد حفيت * وان القراطيس
قد فنيت * وان الكتابة قد نسيت * وان المطالعة والمفاوضة قد طويت * وان
المداد قد صار في جبهة الاسد * او يجلب من السويس الابدع * وان الدواة
قد اصبحت تامة * وان الدولة قد عادت اعجمية * ثم راجعت فناظرت
نفسي * فوجدت الذنب مقسوماً بينه وبينني * فتحملت حصته منه * وانفردت
بجميعه عنه * وذلك أني خرجت وسافرت هذه السفرة * فوقع في الحال
فترة * والغائب ملقى وملقى * ومنسى او متناسى * فلان كان اقر من الانبياء

فان فقراءهم اكثر من الاغنياء * واعرى من الحية * وانقى كيساً من الراحة *
 يده صفر * ومنزله قفر * وغداؤه الخوى * وعشاؤه الطوى * ووطاؤه
 الارض * وغطاؤه السماء * وادامه التشهي * وطعامه التمني * وراحته
 زوجته * ورجله مطيته * لا يرى الدرهم إلا في المنام * ولا يحس الدينار إلا
 بالاوهام * ولا يشع إلا في اضغاث احلام * بابه مجلس الغرماء * وذيله متعلق
 الخصماء * قد ضرب عليه الخذلان رواقاً * وبني فوقة الادبار طاقاً * ونشر
 عليه الرزق * وحرره الخالق والخلق * واسع المنى * ضيق الغني * افرغ
 داراً من فؤاد أم موسى عليه السلام لو مرت به الريح لاختذ منها * ولو زار
 الذباب لطمع فيها * خصيب العين * جديب البطن * لان العين تشبع بنظاره *
 ولا يشبع البطن الا عن حقيقه * كأن الارزاق قسمت ورزقه غائب * وكأن
 البخوت وضعت وبخته هارب * وكأن الفلك يعاديه * والدهر يناويه * وكأنه
 اثكل الرزق ولداً * او كسر له رجلاً ويداً * فعمدت اليه فجبرت كسره *
 وطردت عنه فقره * وحاربت دهره * وزففته زف الهدى إلى منى * وعلته
 تعليل الصبي بالمنى * ورأيت حاله قد انخرفت انحرافاً لا يتدارك * وانحلت
 انحلالاً لا يتماسك * فلم ازل ارفو خرقها * وارتنق فتقها * واجلو عنها صدأ
 للادبار * واغسل عن اطرافها وضر العسر والافتار * فما هو الا ان رأى بيده الدرهم
 والدينار * وطوى مراحل العسر إلى اليسار * حتى نسي نفسه * وجحد أمسه * وتناول بيد
 قصيره * وتعظم بنفس حقيره * وقلب على مجن غادر * وصافح نعمتي عليه بيد كافر *
 وقبح لقاءه لي وكان حسناً * وخشن مسه على وكان ليناً * فلما رأيت سوء جواره
 لنعمة الله تعالى وتركه التأدب بادب الله تبارك وجهله حق رزق الله تقدس
 رددته إلى قيمته * وجعلت نعمته في وزن نعمته * ونزعت عنه قميص عافية
 اساء لبسه واستعماله * ولم يعرف له بهاءه وجماله * وتعلقت بذيل ذلك المال

وقد كاد يفوت * ورددت اليه روحه وقد ابتداء يموت * فمن رأني فليتهم
 على الدهر يديه * وليوكل به عينيه * وليجعل وكيله نفسه * وقهره انه كيسه *
 وشريكه فعله * وحارسه عقله * وخادمه خاتمه * وصديقه صناديقه * وليعلم
 ان درهمه إذا فارقه يرجع اليه * واذا صالح يد غيره لم يصلح يديه * وإذا
 أعطى اباه او اخاه فقد زاد في عدد اعدائه * كما نقص من عدد اصدقائه *
 ومن اراد ان يشتري الاعداء بماله * وان يحارب يمينه بشماله * فليخالف
 طريقه * ولا يقبل نصيحتي *

* * *

«وكتب الى صاحب ديوان الحضرة» :

كتابي إلى الشيخ من الديوان * وانا فيه لمتحف بالحرمان * شتمل بالذل
 والهوان * قاعد بين النقصان والحسران * عن يميني مستخرجان * وعن
 يساري وكيلان * والحمد لله على تصارييف الدهر واحواله * وصلى الله تعالى
 على سيدنا محمد وآله * قد احفيت قلبي ويدي في كتيبي إلى الشيخ اخطب
 نظره لي * وانشد ما اضللت من عنايته بي * فلم يعطف علي عطفه * ولم يشغل
 نجابتي طرفه * وإذا ادباري مصمت لا يسمع الدعوى * ولا يقبل الرقي *
 وما اشكو إلا نحسي * ولا اهجو إلا نفسي * وما خصمي غير حرواني * ولا
 قرني إلا زواني * ورد علينا فلان * ونحن نيام نوم الامنة * وسكارى سكر
 الثروة * ومتكئون على فراش العدل والنصفة * فما زال يفتح علينا ابواب
 المظالم * ويحتلب فينا ضرعى الدنانير والدراهم * ويسير في بلادنا سيرة لا
 يسيرها السنور في الغار * ولا يستخيرها المسلمون في الكفار * حتى افتقر
 الاغنياء * وانكشف الفقراء * وحتى ترك الدهقان ضيعته * وجحد صاحب

الغلة غلته * وحتى اخرب البلاد * بل اخرب العباد * وحتى شوق إلى الآخرة
 أهل الدنيا * وحبب الفقر إلى أهل الغنى * وحتى نشف الزرع والضرع *
 واهلك الحرث والنسل * وحتى لقب بالجراد * وكني ابا الفساد * وصار
 الدرهم في ايامه * اقل من الصدق في كلامه * وصار الامن في اعماله * اعز
 من السداد في افعاله * فليته إذ اوحش الرجال * حصل المال * وليته إذ ضيع المال *
 ارضى الرجال * ولكنه حرم الاثنين * فافلس من الجهتين * والله ما الذئب في
 الغم بالقياس اليه إلا من المصلحين * ولا السوس في الخبز في الصيف عنده
 إلا من المحسنين * ولا الحجاج بن يوسف الثقفي في أهل العراق الا اول
 العادلين * ولا يحسب الاثيم في أهل فارس بالاضافة اليه إلا من النبيين
 والصديقين * ولا فرعون في بني اسرائيل إذا قابلته به إلا من الملائكة المقربين *
 فان كنا به معاقبين فقد تنقضي مدة العقاب * وتختم صفحة العذاب * وان كان
 الفلك غلط به * والزمان اخطأ فيه * فقد يراجع الغالط حسه * ويحاسب
 المخطيء نفسه * فيجبر ما كسر * ويتلافى ما بدر * والسلام .

* * *

« وكتب الى ابي الوفا صاحب جيش عضد الدولة » :

كتابي وانا بما يبلغني من صالح اعمال الشيخ مغتبط ومسرور * وبما يعرفه
 الزمان واهله من اعتضادي به . صون وموفور * والله تعالى على الاولى محمود
 وعلى الاخرى مشكور * التطفل وان كان محظوراً في غير موطنه * فانه مباح في
 اماكنه * وان كان في بعض الاحوال يجمع عاراً ووزراً * فانه في بعضها يجمع
 فخراً وذخراً * ورب فعل بصاب به وقته فيكون سنة * وهو في غير وقته بدعة *

وقد تطفلت على الشيخ بهذه الاحرف اخطب بها مودتي عليه وأسأله ان يرسم لي في لساني وقلبي رسماً * ويختم عليهما ختماً * وصرت وكيله فيهما فهما على غيره حمى لا يقرب * وبحيرة لا تحلب ولا تتركب * ولما نظرت إلى آثار الشيخ على الاحرار * ونشرت طراز محاسنه في ايدي القاصدين والزوار * واقامت له عندي بالفضل شهادة الاخبار والاشعار * وهما شاهدا عدل * بكل نقص وفضل * ثم لما رأيت نفسي غفلاً من سمة مودته * وعطلا من جمال عشرته * حميت لها من ان يحمي عليها ورد مورود * ويحسر عنها ظل على الجميع ممدود * وعجبت من سحاب اخطائي جوده وهو صيب وبحر عدائي سيله وهو مفعم :

وبذر اضاء الافق شرقاً ومغرباً ووضع رجلي منه اسود مظلم

* * *

«وله الى ابي الحارث من ولدهاشم بن ماسجور وهو ملك

الجليل وقد ارسله يستدعي كتابه» :

مكاتبة مثلي للامير سوء ادب ودعة * وقلة حياء ومسكة * وتركي مكاتبة بعدما امكنتني وقرب متناولها مني تضییع لفرصة من فرص العز * ونهزة من نهز الفوز * والعافل يختار خیر الشرین * ويميل مع اعدل الثقلين * لم ازل ايد الله تعالى الامير اقترح على ذهري ان يسعدني * وعلى عمري ان يسعفني * فاتعلق من تلك الخدمة بطرف * واتوصل إلى تلك الحضرة بسبب ويأبى الدهر إلا أن يخلطني عن ورد احوم عليه برجائي * ويغلق علي باباً استفتحته بدعائي * فلما غلبني الدهر على مرادي * وخالف بين طريق اصداري وايرادي * رضيت

من المائدة باللقمة * ومن الفضل بالبلغة * * وسلكت مع بجتي طريق المصانعة *
 إذ كان قد سد علي طريق المصادرة * وقلت لا أقل من ان ادس اسمي في اسماء
 خدم تلك الحضرة الجليلة * واترب يدي بغبار تلك الصنائع الجميلة * واخدم
 ذلك السيد قولاً * وان كنت لم ارزق خدمته فعلاً * واكاتبه غائباً * إذ كنت
 لا أصل اليه حاضراً * فكثبت هذه الاحرف اصل حبي بجله * واعرض بها
 نفسي لفضله * وانا اخرج إلى الامير من عهدة هذه السلعة * واشهد اني وسط
 في هذه الصنعة * فان الهية تحصر بنان الكاتب * وتعقل لسان الخاطب * فكيف
 حالها مع المتكاتب * وانا شاكر للامير وان كنت لم ارد بحره * ولم احتلب
 دره * لما سمعته من شكر الشاكرين لفضله * ومن اطباق الجميع على ذكر
 محاسن قوله وفعله * لا بل شكري له عن غيري اعظم * والحق لي فيه الزم *
 لاني لو شكرته عن نفسي شكرته عن انسان * واحتجت في ذلك إلى لسان *
 وإذا شكرته عن الناس شكرته عن امة * واحتجت إلى السنة جمعة * على اني
 اطري الحسام إذا مضى * وان كان يوم الروح غيري حامله * جزى الله تعالى
 الامير عن الجود خيراً فقد اقام له سوقاً كانت كاسدة * واهب منه ربحاً كانت
 راكدة * واحبب منه ارضاً كانت هامدة * ولقد سلك الامير من الكرم طريقاً
 يستوحش فيها لقلة سالكيها * وعمر للمعروف داراً لا يستأنس بها لعدم ساكنها
 وبيته في قفاراها * لدروس آثارها * وانهدام منارها * اعانه الله تعالى على
 صعوبة الطريق * وقلة الرفيق * والهمة صبراً يهون عليه احتمال المغارم *
 ويقرب عليه مصافاة المكارم * فبالصبر تنال العلى * وعند الصباح يحمد القوم
 السرى *

« وكتب الى حسين صاحب ديوان الحضرة » :

تأخر كتابي عنك يا ولدي لاني كرهت ان اكتبك عن فكر متشعب *
وقلب متقلب * وارتد ان اخلي خاطري لجوابك * وان اقضي بذلك حق
كتابك * فمن صيانة صاحب الكتاب * ان لا يتجاوز له في الجواب * على ان
مصون كلامي عند مثلك غير مبتذل * ومدخر بري عندك ليس بمستعمل *
ولا لوم على الفقير * إذا حمل ما عنده من اليسير إلى المياسير * وقد بذل
جهده * واتي اقصى ما عنده *

* * *

« وله إلى كاتب بعض الامراء وقد ورد عليه كتابه

يشكو فيه الجرب » :

وقفت على ما شكاه سيدي من العلة شفاه الله تعالى منها * وعوضه الصحة
عنها * وودت لو قبلتني العلة فداءه * وامكنني ان اقرض سيدي شفاه *
فكنت انقل اليه الصحة نقلا * وابذل له ما عندي من العافية بذلا * الجرب
حكمة عافى الله تعالى سيدي منها مادتها ييوسة وحرارة ووقود والتهاب * زندهما
الذي يقتبسان منه طعام وشراب * وفضله فدفتها الطبيعة إلى الظاهر * ودفع
الله تعالى شرها عن الباطن * وعسكر من عساكر البلاء * تمده القنطرة وتهده
الطهارة * وتنقص منه البرودة والرطوبة * كما تزيد فيه الييوسة والحرارة *
ومن داوى ظاهره * وترك باطنه * فانما يبيل حائطاً وراءه النار الموقدة * ويرش
على سطح بيت فيه الشرار المبتوثة * ويقعد تحت قول الاول :

خليلي داو بما ظاهراً فمن ذا يداوي جوى باطناً

وكيف تقطع مادة نار تطفئ عن ظاهر الجسد * وهي تنوقد في باطن الكبد *
وكيف يزول داء سمه مكايله * وترياقه موازنه * وكيف يصح جسم حميته
دواؤه * وغذاؤه دأؤه * وكيف يقوم قليل الترياق بكثير السم * او يفى
صغير البناء بكبير الهدم * وكيف يرجو الشفاء من لا يضبط شهوته * ولا
يملك يده * ولا يهاجر حبيبه * وطعامه وشرابه * حتى لا يراهما الا خلسة *
ولا يلق منهم الا بلغة * ارى لسيدى ان يصبر على الجوع مع مرارته *
وعلى العطش مع حرارته * وان يقتصر من الطعام على ما يكون في اوسط
طبقات الرطوبة * وفي اعدل موازين البرودة * ولا بد من هجر اللحم والفاكهة
ولا سبيل إلى أطرافه فاما القول فيجب ان لا ترى ولو في المنام * ولا تمس
ولو بالاوهام * والسمك وما ناسبه بلية * واللبن وما خرج منه دنية * حتى
إذا حس في معدته بالخلاء * ووقف من طبيعته على الصفاء * ومن اخلاط
جسمه بالاعتدال والاستواء * استخار الله تعالى وشرب شربة قوية تكنس
فضول السوداء * وتخرج خبايا الصفراء * وتقمع سلطان البلغم * وتصفى
كدورة الدم * فاذا انجلي عنه خمار ضعفها * وتقصعت غيابة سكرها * املها
بفصاد يخص به الاكحل فانه نهر العروق * والطريق الذي يفضي منه إلى كل
طريق * تصعد اليه السفلى * وتنزل عليه العليا * وتلقى عليه الاولى والاخرى *
فاذا فرغ منه * وخرج باذن الله تعالى سليماً عنه * وعلم انه لم يبق من العارض
إلا هبأؤه * ومن الخوف إلا زبده وجفأؤه * يعالج حينئذ باللطوخ التي تغسل
ظاهر الجسم * ويجلو صدأ السقم * ولا ينسين الاستكثار من الغسل والاغتسال *
ومباشرة الماء الحار على كل حال * فان الجرب في حيز الحرارة * كما ان الماء
في حيز البرودة * والبارد إذا لقي الحار اطفئ بعضه * وان لم يقطع اصله *
والضد إذا زاحم الضد وذن سلطانه * وان لم يهدم اركانه * وملاك الأمر الحمية

فانه لا يكون قوي الحمية إلا من كان قوي الحمية * ومن غلبت شهوته على رأيه شهد على نفسه بالبهيمية * وانخلع عن ربة الانسانية * وحق على العاقل ان يأكل ليعيش * لا يعيش ليأكل * وكفى بالمرء عاراً أن يكون صريع مأكله * وقتيل انامله * وان يجني ببعضه على كله * ويعين فرعه على اصله * فكم من لقمة اتلفت نفس حر * وكم من اكلة منعت اكالات دهر * وكم من حلاوة تحتها مرارة الموت * وكم من عبوبة خلفها بشاعة الفوت * وكم من شهوة ذهبت بنفس لا تقوى لها العساكر * وقطعت جسداً كانت تنبو عنه السيوف البواتر * وهدمت عمراً هدمت به اعمار * وخربت بخرابه بيوت بل امصار * والعلل كلها وان لم يشملها اسم * ويجمعها حكم * فهني متبينة الاقدار * متمايزة المقدار * متخالفة الطبقات في باب النقيصة والعيار * فعلة العشق دليل على لطف الغريزة والترحم عن الرقة الروحانية * وعن النفس الخاصة الانسانية * وعلة النقرس على التنعم والقعود * وعلى قلة تجشم الهبوط والصعود * وعلى ان صاحبها مخدوم مكفي * او ملك حظي * وعلة الحرب دليل على تضجيع واجب النفس من التعهد * وعلى التفريط في العلاج والتفقد * تنطق بأن صاحبها ضعيف المنة في التوقي * اسير في يد الحرص والتشهي * غاش لنفسه * قليل البقيا على روحه * وكيف يحفظ اصدقاءه * من لا يحفظ اعضاءه * وكيف يبقى على غيره * من لا يبقى على نفسه * وكيف يؤتمن على من لا يتماين عنه * من لا يؤتمن على بعض منه * وهذه علة تكسب صاحبها خزيًا وحياء * وتورثه نحجلا واسترخاء * ينظر إلى الناس بعين المريب * ويتستر عنهم كتستر المعيب * تنفر عنه الطباع وتستقذره النفوس * وتنبو عن موالكلته العيون * واقل ما يصيبه انه يحرم آلة المطاعم وهي يده * وآلة اللقاء والزيارة وهي رجلاه ولو لم يكن من دقائق آفاتهما * ومن عجيب هباتها * إلا أنها تشيخ الفتيان * وتمسخ الانسان *

وتجعله ادياً بعد ان كان غير ادي واعجمياً وليس باعجمي * تنفر عن نفسه
نفسه * وتهرب من فراشه عرسه * ويتباعد عنه اقرب الناس منه لئلا كانت
جديرة ان يحتشد لدوائها * وتبدل الرغائب في افنائها ثم هي ربع من ارباع
الخللان * وقسم من اقسام الحرمان * قال الشاعر :

اعاذك الله من اشياء اربعة الموت والعشق والافلاس والحرب

وما ظن سيدي بداء قد سارت به الامثال * وقيلت فيه دون تسائر الادواء
الاقوال * قال رؤبة وقد ذكر علة * هي اعدى من الحرب * عند العرب *

« وقال ابو تمام » :

لما رأته اختها بالامس قد خربت كان الخراب لها اعدى من الحرب

« وقال لبید » :

ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب
فجعل له رأس الادواء * ووصفه بأنه غاية البلاء * وانما ذكرت فيه ما ذكرت
لازيد سيدي فيه في الحرب منه رغبة * وفي الصبر عليه زهادة * من الله تعالى
على سيدنا بالشفاء * وجعل عهده بهذا الداء * آخر عهده بالادواء * انه طبيب
الاطباء * وخالق الداء والدواء * وكاشف البلاء *

* *

«وله إلى قاضي الري أبي الحسن الهمداني» :

قد ملأت مسمع قاضي القضاة ايده الله تعالى بكثبي اليه في الحاجات واني
لاعلم أني قد دلت عليه حتى املت * واوجفت حتى اجحفت * ولكني اتأير
بنعمة الله تعالى عليه من ان اعرضها لليأس منها * وانسى جوابها برد الناس
عنها * والسلام .

* * *

«وله إلى أبي المعالي وزير صاحب الجبل» :

وصل كتاب الشيخ بعد ان احتملت به وسنان * وهذيت بذكره يقطان *
فلما رأيت خررت له ساجداً * وشكرت الله تعالى بادياً وعائداً * والحمد لله
تعالى الذي اراني محنة الشيخ قد ادبرت بقفا مبتور * ودولته قد اقبلت بوجه
مسرور * وادال ايام سعده على ايام نسه * وابعد ما بين الحوادث وبين نفسه
وجعل يومه خيراً من أمسه * وشر من المحنة كثرة الشامتين * وخير من
انكشافها كثرة الشاكرين * فان الذي يشمت بالناس في وقت الرحمة لئيم *
وان الذي يثبت الناس على وده بعد العزل لكريم * والشيخ بحمد الله تعالى ومنه
لما امتحن انطلق الله تعالى بالدعاء له السنأ * وابكى بالشفقة عليه اعياناً * لا زال
البكاء بعد هذا مقصوراً على عيون اعداءه فان اعداء الفاضل اعداء فضله
واضداده اضداد فعله * وكل امرئ صديق امثاله وشكله *

* * *

«وله إلى سعيد بن سمكة» :

نظرت إلى ذنبي الذي استحققت به الهجران * وتقصيت طرق افعالي لاقف
منها على الفعل الذي اوجب الحرمان * فوجدت نفسي قد كلفت الشيخ حوائج
وحملت اليه بالغرائر والسفاتج * ولو تركت مكاتبتني إلى الشيخ نقيه الاطراف
من وضر السؤال * خفيفة الاكثاف من ثقل الادلال * لما تجلى على بالمقال *
من لا يبخل علي بالمال * وضايقتني في العرض اليسير * من لا يضايق في الجوهر
الكثير * لينزلي الشيخ ايد الله تعالى من قلبه * حيث انزلتني الثقة به وليضعني
من نفسه بحيث وضعني الود منه * وليعلم اني سيفه الذي لا يفله طول الضرب *
ولا يمله مراس الحرب * ولسانه الذي يذب عنه في الملا * ويدعو له في الخلا *
واخوه الذي ان لم تصرفه اخوة الولاد * صرفته اخوة الوداد * ويجاوز ذلك إلى
الممازجة والاتحاد * فلان قد استشارني في مشايخ تلك الحضرة فعرفته انهم
بساط الشيخ صدره * وافق هو بدره * وان ما تفرق فيهم من الفضل ففيه
متجمع * وعنه متفرع *

* * *

«وله إلى أبي نصر الميكالي يشكره على اصطناعه فقيهاً من

تلامذته» :

ابلق قتادة غير سائله جزل العطاء وعاجل الشكم
اني شكرتك للعشرة إذ جاءت اليك برقة العظم
المحمدة اطال الله تعالى بقاء الشيخ لذاتها حسنة * كما ان المذمة لنفسها قبيحة
منقصة * والمحسن إلى الناس كلهم حبيب * ومن القلوب كلها قريب *

يمدحونه وإن لم يحسن اليهم * ويشكرونه وإن لم يفضل عليهم * كما أن المسيء
 في النفوس صغير وإن كثرت مآلا وحالا * وقبيح وإن حسن زينا وجمالا * على
 هذا أسست البنية * وعليه وضعت الفطرة * وفيه اتفقت الخاصة والعامة * ثم أن
 الاحسان وإن كان كله حسناً على طبقات * كما أن الاساءة سيئة وإن كانت
 كلها على درجات * فمن أصاب بالاحسان بقعة لا يخلف شجرها * ولا يمر
 ثمرها * واسداه إلى كريم يرب الصنيعة بلسانه * ويخرج الاحسان في موضع
 استحسانه فقد سددت رميته * واصيبت رميته * وزكا صنعه * ونما ربه *
 وما أعرف أهل بيت أحسن لموضع الصنائع ارتياداً * واجود لاهلها انتقاداً *
 واصوب لها اصداراً وإيراداً * من أهل بيت الشيخ أبى الله تعالى مشايخهم
 وشبانهم وجمل بهم مكانهم وزمانهم * والشيخ بحمد الله تعالى على سبيلهم نهج
 وعلى منوالهم نسج * فصنائه في قوالب الحمد والشكر * وعلى طريق الاجر
 والذخر * لا يقع الا بين الشرف والثواب * ولا يوجد الا بين العلوم والآداب *
 فهو ككافل الكريمة لا يزوجها حتى يستكرم صهرا * او يحكم مهرا * او
 كبائع الجوهرة النفيسة لا يبرزها حتى يرى ثمنها * او يأمن غبنا * والحواد محتر
 بر * لا محتر بر * والكريم تاجر جمال * وإن لم يكن تاجر مال * والحر وقاية الحر
 من قفره * وسلاحه على دهره * والله تعالى بقايا من عباده * في بلاده *
 خلقهم ليعيش بهم العاسر * وبشد بازرهم الفاجر * ويحيي بحياتهم المعالي
 والمآثر * فهم ملح الارض اذا فسدت * وعمارة الدنيا اذا خربت * ومعرض
 الايام والليالي اذا حشدت * بلغني ما صنعه الشيخ مع فلان فما استكثرته
 قياسا على قدره العظيم * وبره الجسيم * ولم اتعجب من ولد تقبل قبلة الوالد *
 ومن طريف نازع التالد * ومن غصن من اغصان الشرف * نما على عرقه
 في السلف * ومن نفس رضعت ثدي المكارم * وربيت في حجر الاكارم *

فجرت على سنن اوائلها * واحيت فضائلهم بفضائلها * وانما تعجبت نـ
حسن ما تحرى الشيخ لمعروفه وارثاد * ومن صواب ما عزا واراد فما اكثر
من اخطأ بصنعه طريق المصنع * وخالف بزرعه موضع المزرع * وما اكثر من
يلد معروفه فلا ينجب مما ولد * ولا يبلغ به صاحب المقصد * وهذا الفقيه
بين نفس مقبلة * ودولة مقبلة * يرمي به كماله ورآه ميلاده * ويسبق فضله
غايات آبائه وجداده * وللدهر فيه مقاصد * وللأيام فيه مواعد * والله تعالى
لطائف سيبليغ الكتاب منها اجله * ويكمل الاقبال في تمامها عمله * والحمد
لله تعالى الذي جعل الشيخ ممن ابى عذره اصطناعه * واول من بسطت يده ومد
باعه * والحمد لله تعالى الذي جعل همم الشبان مصروفة الى اقتراع ابيكار
الحواري * وهمة الشيخ مقصورة على اقتراع ابيكار المعالي * فالمصطنع في
الرؤساء والامراء * كالمصطنع في العلماء والفقهاء * فسبحان من وفق بين
الشككين * وزاوج بين المثلين * وجعل الصنيعة غضة طرية من جانبين *
وصيرها شابة من الناشئين هذا وقد نسج الشيخ الفقيه من شكر الشيخ طراز لا
يبلى * واوقد من ذكره شهابا لا يخفى * فملاً بقوله الاسماع والنواظر * بل
القلوب والخواطر * بل الكتب والدفاتر * حتى لم يبق رئيس الا تمنى لو انه
كان المصطنع * كما لم يبق فقيه الا تمنى انه كان المصطنع * وحتى قلنا :

١. لقينا ن احمد بن علي ترك الناس كلهم فقهاء

او نسينا :

ما لقينا من جود فضل بن يحيى * ترك الناس كلهم شعراء

لا زال الشيخ يستولي على ابد كل غاية بفعله وقوله * وينفرد بحمى كل كرمة
بفضله وطوله * ولا زال يستبضع اليه الشكر من البلدان * فيشتريه باغلي
الاثمان *

« وكتب إلى حاكم سرخس وقد اهدى اليه كتاباً طلبه منه »:

تأخرت حاجة الحاكم وختم الله تعالى دولة الحمد بقضائها * ونبت عن طالبها في اقتضاءها * فكنت الخصم والحاكم * والمحاكم والمحاكم * وما ابطأ من اجدى * ولا اسرع من اكدى * وارتدت نسخة مقرؤة قد عمل فيها القلم والبنان * واثر فيها التبيين والبيان * وسودت حواشيها * ولاحت مياسم التصفح فيها * ولم تكن في حسن خط كاتبها * ولا جودة تجليد صاحبها * ولا استقامة حروفها * ولا تساوي جوانبها وحروفها * بعد ان سلمت من التحريف والتصحيف * ومن سقم الاشكال والحروف * فانما الكتاب الحسن ظاهرا السقيم باطنا مثل المرأة الحسنة العاهرة يسرك خلقها * ويسوءك خلقها * ومثل الروضة الغناء الوبيثة تحمدها العين ويذمها البطن وكانت تقع بيدي النسخة الاولى التي هي مائدة منقوشة ليس عليها دسم * وكيس مصرر ليس فيه درهم * وتقع الثانية خلفها كالعجوز المنتقبة * وكالقفل على الخربة * فانما هي كسوة عامي غبي * او مقبرة يهودي غني * وتقع في يدي الثالثة وهي اسم ولا جسم * ودعوى ولا علم * قد قرئت على متعلم غير عالم لا يدري * ولا يدري انه لا يدري * فراؤها زاء * وميمها حاء * وطاؤها ظاء * والنظر فيها يعمي * والاستدلال بها يعمي * ومن آفة العلم خيانة الوراقين * وتحلف المعلمين * كما ان من آفات الدين * فسق المتكلمين وجهل المتعبدين * وكما ان من آفات الدنيا كثرة العامة * وقلة الخاصة * وكما ان من آفات الكرم ان الجود ضد المنع * والبخل سبب الجمع * وان المال في ايدي البخلاء * دون ايدي الاسخياء * وكما ان من آفات الحلم ان الحلیم مأمون الجنبه * وان السفیه منيع الحوزة * قاعد في خفارة البذاء والسفاهة وكما ان من آفات المال اذا صنته فقد

عرضته للفساد * واذا ابرزته عرضته للنفاق * وكما ان من آفات الشكر انك اذا قصرت عن غايته ذمت من اصطنعك * واذا بلغتها وابلغت فيه اوهمت من سمعك * وكما ان من آفات الشراب انك اذا اقللت منه حاربت شهوتك * ولم تقض نهمتك * واذا استكثرت اعترضت للإثم والعار * وابرزت صفحتك للألم والخمار * وكما ان من آفات الممالك انك اذا باسطتهم افسدت آدابهم واذهانهم * واذا قبضتهم افسدت وجوههم والوانهم * ا كما ان من آفات الاصدقاء انك اذا استكثرت منهم لزمك واجبهم * وثقلت عليك نوابيهم وكسبت الاعداء من الاصدقاء * كما يكتسب الداء من الغذاء * وكما ان من آفات المغنين ان الوسط منهم يميم الطرب * والحاذق ينسي الادب * وكما ان من آفات النساء انهن اذا اكرمن قبح خلقهن * واذا اهن فسد خلقهن * فلما تمادت مدة الاكداء * ولم اصل الى من ينظم طرفي مرادي بهبة ولا شراء * نزلت على حكم الامكان * وجريت في التجوز على رسم الزمان * وحملت نسخة ان لم تكن بتلك السليمة * فليست بتلك السقيمة * وانا اعتذر اليوم منها قولا * وغدا فعلا * واحصل اخرى ولو بروحي ومهجتي * وبدنيائي وآخرتي *

« وكتب إلى أبي بكر بن سمرد : »

انا مترجح بين ان اقر للشيخ بذنبي * واخبره بعيني * وبين ان اسكت سكتة متجاهل واصفح صفحة متغافل * وان كنت اعلم ان العفو الى المقر * اسرع منه الى المصر * وان ضرر الذنوب لا يغسله الا الاقرار * ولا يزيله الا

الاعتذار * وقد كان في حكم ما اولانيه من نعمه التي يفنى الابد ولا تنفى *
 ويخفى الصباح ولا تخفى ويبلى الحديدان ولا تبلى * وينسى القوم ولا تنسى *
 ان يكون لي عنده كل يوم فتح قاصد * بل رسول وارد * لا بل كان ينبغي
 ان اجعل رسولي اليه الريح فانها اسرع * واكتب اليه في الفلك فانه اوسع * ولا
 تطلع شمس الا وجنبها مني اليه كتاب * اما ابتداء واما جواب * ولكن ابن
 آدم للنعمة كفور * وبالعهد غدور غافل عن غده ناس لامسه مرتين بيومه
 واني لاحسد كتابي اذا ورد ذلك الباب * ونزل ذلك الجنباب * واود لو كنت
 سطر فيه * او حاشية من حواشيه * وللإيام عندي اذا وصلتني بالشيخ نعمة
 لا اسع عنها الثواب * ولها علي اذا ابعدتني جناية لا اقدر على كفائها من
 العقاب * وقد كنت اعيب من الشعراء من مدح انسانا ثم هجاه * وانسبه الى
 ضعف المسكة والى وهن العزيمة وانحلال العقدة حتى بليت الآن بهجاء الدهر
 وطالما مدحته * ودفعت الى حربه وطالما صالحته * قد تعرفت للشيخ عوارف
 حيرتني بين طيها ونشرها ورجحت بين تركها وذكرها * فان ذكرتها قصر
 عنان الطاقة عن مقتضى حكم النية وان تركت ذكرها لاحت على فعلي سمة
 الكفران * وعرفت بسوء مجازاة الاحسان * وحرمت نفسي ثمرة اللسان *
 فقد اسكت الشيخ لساني من حيث انطقه * وحصر بناني من حيث اطلقه * وعلى
 ذلك فقد اسمعت شكري كل من له اذن * وارىت اثر صنيعته كل من له
 عين * حتى لقد حسدني عليه الاقارب * وتعرف الي فيه الاجانب * وهابني
 ورجاني منذ عرفته الحاضر والغائب * ثم لم يرض ان احسن بي * حتى احسن
 الى من يرسل اليه بكتبي * فاضاف النعمة الاخرى الى الاولى * وعقب الصنيعة
 الكبرى بالصغرى * على ان اصغر صنائعه كبير * كما ان اكبر شكري له
 صغير * ولكن الكبير من الكبير يصغر * كما ان الصغير من الصغير
 يكبر * فكيف اهلي الشيخ لاحسانه ثانيا * ولم اقض حق احسانه باديا *

وكيف حملني النفل وقد تقاعدت عن اداء الفرض وجمع على الكل وقد
 ضعفت عن البعض * وكيف نبع على بره من كل منبع وطلع الى السعد به من
 كل مطلع * ودب الى احسانه من كل مكنم وكان سبيلي ان يستوفي علي قبل
 ان اوفي وان احاسب على الحاصل الاول قبل ان يثني وان اعامل على قول
 الاول :

اذا ما قضيت الدين بالدين لم يكن قضاء ولكن كان غرما على غرم

* * *

« وكتب إلى تلميذ له عن كتاب وقصيدة » :

وردت القصيدة الغراء * بل الدرة العذراء * بل الهدية العظيمة * بل الشمس
 الكريمة * بل الياقوتة اليتيمة * بل فريدة الدر * بل غرة الغر * بل شمس
 الكرام * وغريبة الايام * بل الخطاب الجزل * والمنطق الفصل * بل الحسن
 والاحسان * بل التبيين والبيان * بل واحدة القصائد * وخاتمة القلائد *
 وآبدة الاوابد * بل اميرة النظم والنثر * بل ملكة الرجز والشعر * بل حسنة
 الالسن * ونزهة القلوب والاعين * بل بستان الافكار * وجلاء الابصار *
 بل روح المعاني والمباني * وهيكल الاوزان والقوافي * بل عقيلة الدهر *
 ونادرة العصر * وثمرة العمر * وبيضة العقر * وترياق القلب بل ملبسي تاج
 الفخر * ومورثي كنز الذخر * لا بل ليلة القدر * فانها خير من الف شهر *
 وهذه خير من الف بيت شعر * ولم اعن بيت الموزون * انما اردت البيت
 المسكون * ففتحت كتابها عن النور المنثور * وعن الديباج المنشور * وفليت
 معانيها عن روح البديع وقلبه * ومبانيها والفاظها عن حب الفصيح ولبه *

وردت طرفي منبراً في روضة سقاها اللسان وعملها البنان * ونافس عليها زمناً
الازمان * ولم يبق فيها بيت الا رويته * ولا فصل الا حكيته * ولا لفظ الا
كررتة وثنيته * ووددت لو كانت اعضائي كلها للنظر اجفانا * ولا سماعها
آذاناً * ولتناولها وجسها ايديا وبنانا * بل لو كان الحرف منها سطرًا * والكلمة
من كلماتها عشرا * فيمتد نفس استيفائها روية ورواية * ويعظم حجم
استقصائها فهما ودراية * وغرت عليها من هذا الزمان الذي لا يستحق ان
يكون له ولد نجيب * ولا يقتضي ان ينبغ فيه عالم ولا اديب * ثم رجعت الى
الحقائق فعلمت ان الانسان ابن امه وابيه * لا ابن ايامه ولياليه * وان قول
الناس ابناء الدهر لفظ مجازي * ومعنى اصطلاحه * وقد نخلني فيها من هذا
الفضل ما ان طولبت بجنواه * لم اخرج من عهدة دعواه * فان تكن تلك
شهادة منك اسلفتنيها * وسلعة جازفت لي فيها * فقد يسامح الكريم اخاه *
ويحافي الحر من بايعه وشاراه * وان كنت تظن في هذا الفضل فاسأل الله تعالى
ان لا يجمع بيننا فانك ان ساهدتني رجعت عن ظنك * وردت بعينك حكم
اذنك * وانا المعيدي وان لم يكن لي في العرب نسب * ولا بيني وبين معد
قراة ولا سبب *

* * *

«وكتب إلى أبي الفرج خليفة الوزير بنيسابور» :

فهمت ما ذكره الشيخ في كتابه * وجعلت قبولى عظه بدلا من جوابه *
ذكر الشيخ أني لو اقتصرت على خدمة الأمير * وعلى مناداة الوزير *
لمالت الصروف عن جانبي ناكبه * وولت الخطوب عني هاربه * ولو لم

النتجع غير نيسابور بلدا * ولا غير من بها أحدا * لعشت معهم عيشة رغدا
وجواب الشيخ تحت قول الأول :

فبالخير لا بالمشر فاطلب مودتي وأي فتى يقتال منه الترهب

مثلي أيد الله تعالى الشيخ لا يحمل على الخدمة بالتقريع والتثريب * ولا بالتهديد
والترهيب * ولا تحتلب اخلاف مودته بالاذلال * ولا يدرك مصون ١٠
عنده بالامتهان والابتذال * وإنما يحبس مثلي بالرغبة * ويقيد بقيد من
الذهب والفضه ويرضى منه بالحياء والوفاء كفيلين * وبالشكر والتذمم ضمينين
وإنما الحر زجاج رقيق ثمين إذا رفق به واستعمل في موضع مثله زين المجالس
وامتع المجالس * وكان مالا إلا أنه جمال * وجمالا إلا أنه مال * وإذا
خرق به انكسر فققر الكاسر * واتعب الجابر * وزعم السامع والناظر * وكان
ينبغي لأصحابنا أن يقتنصوني بحباله الاحسان والبر * ويرتبطوني بحبال الحفاظ
والشكر * ويعلموا أن البازي العتيق لا يصبر على الاضاعة * ولا يقيم في
بيت المجاعة * ومن اصطنع اليوم شكر غداً * ومن وجد الاحسان قيذا
تقيد * ولكن كيف يصون الادب مغرم * ولم يؤد عنه إلى المؤدب درهم
وكيف يخالف الانسان مقتضى نسبته * ويطيب الثمر مع خبث تربته *
هيهات إن الفرس الجواد يجري على عتقه * وأن الفرع ينزع إلى عرقه :

وإن مقامي حيث خيمت محنة تدل على فهم الكرام الاجاود

ولكن جزى الله أصحابنا عن تعليمهم خيراً * فقد تحولت شكائتي لهم شكراً
وذلك انهم عرفوني بمقادير الكرام * وقاموا في تأديبي مقام تصارييف الايام
ودبغتني بهم التجارب * وراضتني بأيديهم النوائب * ولاحت لي ببركاتهم
الغيوب والعواقب * فأنا تلميذهم في اتمام الأيام * وخريجهم في معرفة
أحوال الانام * والمستفيد فيهم وبهم معرفة سياقة ١٠ بين الفعل والكلام

فكيف لا اشكر قومه أفادوني عقلاً وإن لم يفيدوني نيلاً * وزادوني ادباً
وإن لم يزيدوني نسباً * وعهدي وأنا بالعراق منيد * فاصبحت وأنا بخراسان
مستفيد * وهذه الزيادة من عطايا هذه الحضرة وهذه النادرة التي توجهت
إلي من بركات هذه الدولة والسلام

* * *

« وكتب إلى كثير بن أحمد لما هرب إلى الري » :

ورد علي كتاب الشيخ وفهمته * والمواعيد التي أراد الشيخ أن يسحرنى
برقاها * ويخدعني عن بواطن عيوبها بظواهر حلاها * فقد طلبت عنها
ثوباً * ولها جواباً * فلم أجد غير قول عبید:

لا اعرفناك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادا

أنا أيد الله الشيخ رجل قد اخترت نيسابور داراً * واخترت سلطانها من الملوك
جاراً * حتى جعلتها بيتاً اعمره * والدنيا جسراً اعبره * لآمن بها على
مالي وولدي بعد مماتي * ولا أخاف بها على روحي وعرضي في حياتي * ولو
علمت أنني اسأم خدمة من ليس له أثر علي * واصادر على نعمة لم تصل إلي *
لفارقت دار الهوان * ولكان جناحي وافر الطيران * ذكر أنه تلمظ
بالأمير حتى سل منه السخيمه * وحمله على أن اغتفر الجريمة * وما عرفت
لي جرماً يحتمل عذره * أو ذنباً يستوجب مغفره * فان كان الأمير غفر
لي ما سألني من السيئات * فهلا شكرني على ما سألته من الحسنات * وكيف
استخار السلف فيما يتعلق بالعقوبة * ولم يستخره فيما يتعلق بالمشوبه * فان
كان مراده أن أقر على نفسي بذنب ما اتبته والتزم بشكر جميل ما اوتيته *

فهذه صدقة قد سامنيها والصدقة لا تحل من الفقراء إلى الاغنياء * ولا يحسن بالامراء قبولها من الشعراء * وإن كان يريد أن يتوصل بهذا إلى اجتناء ثمرات اللسان * ويحب أن يسير ذكره في أثناء هذه المعاني الحسان :

فالناس اكيس من أن يحمدا رجلا ما لم يروا عنده آثار احسان

وإنما لساني خادم من خدام فؤادي * ومتصرف من متصرفي مرادي * فكيف يفتات علي بشكر غيره * وكيف يجود بما هو متصرف فيه لغيره * وإنما لسان الشاعر روضة لا تسلف الزهر * حتى تستسلف المطر * ولا تضحك في وجه السماء * إلا بعد أن تستوفي حقها من الانداء * وإن كان الشيخ يرضي بعد هذا كله بظاهر اعتذاري * فقد خرجت إليه من عهدة اضماري * وأنا أقر بذنوب العالمين * حتى بذنب ابليس في الاولين * وحتى يذنب هاروت وماروت في المتقدمين * والتزم كل المعاييب حتى معاييب بني أميه * ومعاييب بغلة أبي دلامه وأقول قد ادبني الليل والنهار * وثقفتني الاحوال والاطوار * فأبصرت قصدي * وتبينت رشدي * فليلبسني الامير برضاه غني ثوب العزه * كما البسني بغضبه علي ثوب الذله * وليجعلني عبداً اعوج فقوم * وجهل فعلم * فلما عرف نفسه * وتلافى بيومه امسه رد عليه مكانه * ورجع إليه زمانه * فادعى أن النابغة الذبياني ما اعتذر إلا غنى * ولم يك لسانه إلا بضعة مني * وانتحل قول علي بن الجهم :

ليس عندي وإن تغضبت إلا طاعة حرة وقلب سليم

وانتظار الرضا فان رضا السا دات غفو وعتبهم تقويم

* * *

«وكتب إلى رئيس قم» :

بسطني الشيخ ثم انقبض عني * ودعاني ثم هرب مني * وكان وليس
له مثل الاكن خطب إلى حر كريمته فلما زفها إليه أغلق عنها بابه * وارخى
دونها حجابها * فعرض الصهر للهجنه * والعروس للتهمة * ولعلي اتيت
مني * واصبت الشيخ بعيني * لما رأيته قد احيا مواتاً من الود * وسبق إلى
باكورة من كرم العهد * وقد ثبت من أن انظر إلى اصدقائي بعين العجب
بهم * وارمقهم بما يدعوني إلى الحب لهم * لا بل سأتعامى عن محاسنهم إن
رأيتهما * واتغابى عنها وان دريتها * إن شاء الله تعالى .

* * *

«وكتب إلى مؤدب أمير خوزستان» :

ذكر الشيخ من غمه بغيتي فيما كان * وفرحه باوبتي الآن * ما قلبي
عليه شاهد * وعلى الشهادة زائد * لأنه لا يمين على شاهد * وأنا احلف
على هذه الشهادة * فأكون قد وفيت بما وعدته من الزيادة * ولقد رأيت
الاخوان غير شيعي ومودتهم خلق يبيعونه ممن اشتراه * ويعرضونه على كل
من رآه * ومهر هذه الحال قلبي فقد احتوى عليه * وودي فقد تمسك
بطرفيه * والاحرار تستعبد بالاحسان * من حيث تستعبد الممالك بأعلى
الاثمان * على أن المملوك يعتق بلفظه * ويباع في صفقة ويزول عنه الرق
في لحظه * والحر لا تزيده الايام إلا رقاً لمن اصطنعه * وتواضعاً لمن رفعه
ولقد عجبت من محاسبة الشيخ نفسه عن اصدقائه * ومواخذته قلبه بشرائط

وفائه * مع أنه في زمان قد مرجت فيه عهود الاخوان * وأعطوا وأخذوا
أموالهم بالميزان * ومالوا مع الرجحان على النقصان * ورضوا من القلب
باللسان * ومن الغيب بالعيان * وإذا تبين التاجر كساد السلعه * تجوز في
الصنعه * وإذا قل المتاع * فتر البياع * والحمد لله الذي رزقني من شيخي
صديقاً يتجمل بقربه * ويوثق بغيبه * ولا يخاف الغير من لسانه ويده *
فلا سلبت هذه النعمى * ولا حوسبت على هذه الموهبة العظمى * فان الايام
قلما رأت بيدي علقاً نفيساً إلا سلبتني * وقلما اعطتني مما احب شيئاً إلا
حاسبتني * حتى أني لو صادفت الهواء لجعلته حمى لا يطال جانبه * ولو
اختصصت بالماء لصيرته منبعاً لا يروى شارب * فأما الناس فما احصي فيهم
عدداً ممن ابتعته فباعني وحفظته فأضاعني * واستعنت به على الزمان
فأعانه علي * واستظهرت بمكانه على الاعداء فكان مقدمهم الي * اللهم
نفق سوق الوفاء فقد كسدت * وأصلح قلوب الناس فقد فسدت * ولا
تمتني حتى يبور الجهل * كما بار العقل * ويموت النقص كما مات الفضل

* * *

«وكتب إلى أبي سعيد رجاء بن الوليد الاصفهاني :

بشرني كتاب الشيخ من سلامته ببشارة صغرت عندي البشائر * وفاتت
النظائر * وملاأت المسامع والنواظر * فلا زالت امداد صنع الله تعالى له
متناسقة * والايام له بما يهوى موافقة * وجعل الله تعالى تلك العثرة غلطة
تاب الدهر منها * وخطيئة انكرها ورجع عنها * فان الشيخ يحسن في لباس
النعمة * ويقبح في زي المحنة * وان غيره إذا لبس النعمة كانت عليه

اجنبية ويعلم أنه اخذها عارية اليسير الذي رسم لي الشيخ به حملت إليه جملته ولو اخذني فيما اخذه مني لاستقلته له واستصغرت له دونه والذي ارجع إليه فهو مقسوم بينه وبينني * فان أذن فهو له دوني * حملت إلى الخزنة نسخة رسائل فنصفها مصحف * ونصفها محرف * والكلام الوسط بالخط الوسط كالعجوز السوداء تجلي على العيون فينضاف قبح الحلوة * إلى قبح الكسوة * وتغطي على ظلمة الدواء * ظلمة الوعاء * وتتضاعف السماجة ضعفين وتقذى العين من لونين * فيصير القلب أسير العين * بلغني أن الشيخ قد اغتم لما نذب لعمل يصغر فيه ويكبر عنه فأنكرت ذلك من فعله * وكتبته في هفوات عقله * العمل أيد الله تعالى الشيخ ثوب يحسن بصاحبه * ومركب يحل براكبه * فالصغير منه بالكبير كبير * والكبير منه بالصغير صغير * وكأني بالتمييز وقد نبع منه نابع * وبدولة الانتقاد وقد طلع من سعودها طالع وبرجالات الحضرة وقد تذكروا مظان الآجال * ومساقط الرجال * فغثروا باسم الشيخ فردوا عليه رتبته * وقوموه قيمته * وجاء الدهر يعترف بما اقترف * ويأتنف خلاف ما سلف * وإنما خدمة السلطان نار * بينما هي شرار * إذ ملأت داراً * وأحرقت أوقاراً * وصيرت الليل نهاراً * ولا صغير من الولاية كما لا كبير من العطلة والسلام

* * *

«وكتب إلى جماعة الشيعة بنيسابور لما قصدتهم محمد بن

ابراهيم واليها»

سمعت ارشد الله سعيكم * وجمع على التقوى امركم * ما تكلم به السلطان الذي لا يتحامل إلا على العدل * ولا يميل إلا على جانب الفضل

ولا يبالي بأن يمزق دينه إذا رفا دنياه * ولا يفكر في أن لا يقدم رضا الله إذا وجد رضاه وأنتم ونحن أصلحنا الله وإياكم عصابة لم يرض الله لنا الدنيا فذخرنا للدار الآخرة ورغب بنا عن ثواب العاجل * فأعد لنا ثواب الآجل * وقسمنا قسمين قسماً مات شهيداً * وقسماً عاش شريداً * فالحي يحسد الميت على ما صار إليه * ولا يرغب بنفسه عما جرى إليه * قال أمير المؤمنين ويعسوب الدين عليه السلام المحزن إلى شيعتنا اسرع من الماء إلى الخدور وهذه مقالة اسست على المحزن * وولد اهلها في طالع الهزاهز والفتن * فحياة اهلها نغص * وقلوبهم حشوها غصص * والايام عليهم متحاملة * والدنيا عنهم مائلة * فاذا كنا شيعة ائمتنا في الفرائض والسنن * ومتبعي آثارهم في كل قبيح وحسن فينبغي أن نتبع آثارهم في المحزن * غصبت سيدتنا فاطمة صلوات الله عليها وعلى آلهاميراث ابيها صلوات الله عليه وعلى آله يوم السقيفة وآخر امير المؤمنين عن الخلافة وسم الحسن رضي الله عنه سر * وقتل اخوه كرم الله وجهه جهرا * وصلب زيد بن علي بالكناسة وقطع رأس زيد بن علي في المعركة وقتل ابنه محمد وابراهيم على يد عيسى بن موسى العباسي ومات موسى بن جعفر في حبس وسم علي بن موسى بيد المأمون وهزم ادريس بفخ حتى وقع إلى الاندلس فريداً * ومات عيسى بن زيد طريداً شريداً * وقتل يحيى بن عبد الله بعد الامان والايمان * وبعد تأكيد العهد والضمنان * هذ غير ما فعل يعقوب بن الليث بعلوية طبرستان * وغير قتل محمد بن زيد والحسن بن القاسم الداعي على أيدي آل ساسان * وغير ما صنعه أبو الساح (كذا) في علوية المدينة حملهم بلا غطاء ولا وطاء من الحجاز إلى سامر وهذا بعد قتل قتيبة بن مسلم الباهلي لابن عمر بن علي حين اخذه بأبويه وقد ستر نفسه * ووارى شخصه * يصانع عن حياته * ويدافع عن وفاته * ولا

كما فعله الحسين بن اسماعيل المصعبي بيحي بن عمر الزبيدي خاصة * وما فعله مزاحم بن خاقان بعلوية الكوفة كافة * وبحسبكم أنه ليست في بيضة الاسلام بلدة إلا وفيها لقتيل طالبي ترة تشارك في قتلهم الاموي والعباسي * وأطبق عليهم العدناني والقحطاني :

فليس حي من الاحياء نعرفه من ذي يمان ولا بكر ولا مضر

إلا وهم شركاء في دمائهم كما تشارك ايسار على جزر

فأدتهم الحمية إلى المنية * وكرهوا عيش الذلة فماتوا موت العزة * ووثقوا بمالهم في الدار الباقية * فسخت نفرسهم عن هذه الفانية * ثم لم يشربوا كأساً من الموت إلا شربها شيعتهم وأولياؤهم * ولا قاسوا لوناً من الشدائد إلا قاساه أنصارهم وأتباعهم * داس عثمان بن عفان بطن عمار بن ياسر بالمدينة ونفى أبا ذر الغفاري إلى الربذة وأشخص عامر بن عبد قيس التميمي وغرب الاشر النخعي * وعدي ابن حاتم الطائي * وسير عمر بن زرارة إلى الشام ونفي كميل بن زياد إلى العراق وجفا كعب واقصاه * وعادى محمد بن حذيفة وناواه * وعمل في دم محمد ابن سالم ما عمل * وفعل مع كعب ذي الخطبة ما فعل * واتبعه في سيرته بنو امية يقتلون من حاربهم * ويغدرون بمن سالمهم * لا يخفلون المهاجري * ولا يصونون الانصاري * ولا يخافون الله ولا يحنثمون الناس قد اتخذوا عباد الله خولا * ومال الله دولا * يهدمون الكعبة * ويستعبدون الصحابة * ويعطلون الصلاة الموقوتة ويختمون اعناق الاحرار * ويسيرون في حرم المسلمين سيرتهم في حرم الكفار * وإذا فسق الأموي فلم يأت بالضلالة * عن كلاله قتل معاوية حجر بن عدي الكندي * وعمر بن الحقم الخزاعي بعد الايمان المؤكدة والمواثيق المغالطة وقتل زياد بن سمية الالوف من شيعة الكوفة وشيعة

البصرة صبرا * وأوسعهم حبساً واسرا * حتى قبض الله معاوية على أسوأ
 اعماله * وختم عمره بشر احواله * فأتبعه ابنه يجهز على جرحاه ويقتل
 ابناء قتلاه * إلى أن قتل هاني بن عروة المرادي ومسلم بن عقيل الهاشمي
 أولاً وعقب بالحرث بن زياد الرياحي * وبابي موسى عمرو بن فرطة الانصاري
 وحبيب بن مظهر الاسدي * وسعيد بن عبد الله الحنفي * ونافع بن هلال
 الحملي * وحظلة بن أسعد الشامي * وعابس بن أبي شبيب الشاكري *
 في نيف وسبعين من جماعة شيعة وامر بالحسين عليه السلام يوم كربلاء ثانياً ثم
 سلط عليهم الدعى ابن الدعى عبيد الله بن زياد يصلبهم على جذوع النخل *
 ويقتلهم الوان القتل * حتى اجتث الله دابرهم ثقيل الظهر بدمائهم التي سفك
 عظيم التبعة بحرمهم الذي انتهك * فانتبهت لمنصرة اهل البيت طائفة اراد الله
 يخرجهم من عهدة ما صنعوا ويغسل عنهم وضرموا اجترحوا فصمدوا صمد
 الفئة الباغية * وطلبوا بدم الشهيد الدعى ابن الزانية * لا يزيدهم قلة عددهم *
 وانقطاع مددهم * وكثرة سواد اهل الكوفة بازائهم إلا اقداماً على القتل والقتال
 وسخاء بالنفوس والاموال * حتى قتل سلمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن
 نجية الفزاري وعبد الله بن وال التميمي في رجال من خيار المؤمنين * وعليه
 التابعين * ومصاييح الانام * وفرسان الاسلام * ثم تسلط ابن الزبير على الحجاز
 والعراق فقتل المختار بعد ان شفى الاوتار * وادرك الثار * وافنى الاشرار *
 وطلب بدم المظلوم الغريب فقتل قاتله * ونفى خاذله * واتبعوه ابا عمر بن
 كيسان واحمر بن شميظ ورفاعة بن يزيد والسائب بن مالك وعبد الله بن كامل
 وتلقطوا بقايا الشيعة يمثلون بهم كل مثلة * ويقتلونهم شر قتلة * حتى طهر الله
 من عبد الله بن الزبير البلاد * وراح من اخيه مصعب العباد * فقتلهما عبد الملك
 ابن مروان كذلك تولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون بعدما حبس

ابن الزبير محمد بن الحنفية واراد احراقه * ونفى عبد الله بن العباس واكثر
ارهاقه * فلما خلت البلاد لآل مروان سلطوا الحجاج على الحجازيين * ثم
على العراقيين * فتلعب بالهاشميين واخاف الفاطميين * وقتل شيعة علي ومحا
آثار بيت النبي وجرى منه ما جرى على كميل بن زياد النخعي * واتصل البلاء
مدة ملك المروانية إلى الايام العباسية حتى إذا اراد الله ان يحتم بدتهم بأكثر
آثامهم * ويجعل اعظم ذنوبهم في آخر ايامهم * بعث على بقية الحق المهمل *
والدين المعطل * زيد ابن علي فخذله ، نافقوا اهل العراق وقتله احزاب اهل
الشام وقتل معه من شيعته نشر بن خزيمه الاسدي * ومعاوية بن اسحق الانصاري
وجماعة من شايعه وتابعه وحتى من زوجه وادناه وحتى من كلمه وماشاه *
فلما انتهكوا ذلك الحريم * واقترفوا ذلك الاثم العظيم * غضب الله عليهم *
وانزع الملك منهم * فبعث عليهم ابا مجرم * لا أبا مسلم * فنظر لا نظار الله اليه
إلى صلابة العلوية وإلى لين العباسية فترك تقاه * واتبع هواه * وباع آخرته
بدنياه * وافتتح عمله بقتل عبدالله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب
وسلط طواغيت خراسان * وخوارج سجستان * واكراد اصفهان على آل أبي
طالب يقتلهم تحت كل حجر ومدر ويطلبهم في كل سهل وجبل حتى سلط
عليه * احب الناس اليه * فقتله كما قتل الناس في طاعته * واخذ بهما اخذ
الناس في بيعته * ولم ينفعه ان اسخط الله برضاه * وان ركب ما لا يهواه *
وخلت من الدوانيقي الدنيا فخبط فيها عسفاً * وتقضي فيها جوراً وحيفاً *
إلى ان مات وقد ملأت سجونته بأهل بيت الرسالة ومعدن الطيب والطنهارة
قد تتبع غائبهم وتلقط حاضريهم * حتى قتل عبدالله بن محمد بن عبدالله الحسيني
بالسند على يد عمر بن هشام بن عمر التغلبي فما ظنك بمن قرب متناوله عليه *
ولان مسه على يديه * وهذا قليل في جنب ما قتله هرون منهم * وفعله موسى

قبله بهم * فقد عرفتم ما توجه على الحسن بن علي بن مخ من موسى وما اتفق على
 علي بن الافطس الحسيني من هارون وما جرى على احمد بن علي الزيدي وعلى
 القاسم بن علي الحسيني من حبسه وعلى ابن غسان حاضراً الخزاعي حين اخذ
 من قبله والجملة ان هرون مات وقد حصد شجرة النبوة واقتلع غرس الامامة
 وانتم اصلحكم الله اعظام نصيباً في الدين من الاعمش فقد شتموه * ومن
 شريك فقد عزلوه * ومن هشام بن الحكم فقد اخافوه * ومن علي
 ابن يقطين فقد اتهموه * فأما في المصدر الاول فقد قتل زيد بن صرحان العبدي *
 وعوقب عثمان بن حنيف الانصاري * وخفي حارثة بن قدامة السعدي *
 وجندب بن زهير الازدي * وشريح بن هانئ المرادي * ومالك بن كعب
 الارحبي * ومعل بن قيس الرياحي * والحرث الاعور الحمداني * وابوالطفيل
 الكناني * وما فيهم إلا من خر على وجهه قتيلاً * او عاش في بيته ذليلاً * يسمع
 شتمه الوصي فلا ينكر * ويرى قتلة الاوصياء واولادهم فلا يغير * ولا يخفي
 عليكم حرج عامتهم وحيرتهم كمجابر الجعفي * وكرشيد الهجري وكزارة
 ابن اعين وكفلان وابي فلان ليس إلا أنهم رحمهم الله كانوا يتولون اولياء
 الله * ويتبرؤون من اعداء الله * وكفى به جرماً عظيماً عندهم * وعيباً كبيراً
 بينهم * وقل في بني العباس فانك ستجد بحمد الله تعالى مقالا * وجل في
 عجائبهم فانك ترى ما شئت مجالا * يجبي فيؤهم فيفرق على الديلمي والركي
 ويحمل إلى المغربي والفرغاني * ويموت امام من أئمة الهدى وسيد من سادات
 بيت المصطفى فلا تتبع جنازته * ولا تجصص مقبرته * ويموت ضراط لهم او
 لاعب * او مسخرة او ضارب * فتحضر جنازاته العدول والتضاء * ويعمر
 مسجد التعزية عنه القواد والولاه * ويسلم فيهم من يعرفونه دهرياً او سوفسطائياً
 ولا يتعرضون لمن يدرس كتاباً فلسفياً ومانوياً ويقتلون من عرفوه شيعياً *

ويسفكون دم من سمي ابنه علياً * ولو لم يقتل من شيعة اهل البيت غير المعلي
ابن حبيش قتيل داود بن علي ولو لم يحبس فيهم غير ابي تراب المروزي لكان ذلك
جرحاً لا يبرأ * ونائرة لا تطفأ * وصدعاً لا يلتئم * وجرحاً لا يلتحم * وكفاهم
ان شعراء قریش قالوا في الجاهلية اشعاراً يهجون بها امير المؤمنين عليه السلام
ويعارضون فيها اشعار المسلمين فحملت اشعارهم * ودونت اخبارهم *
ورواها الرواة مثل الواقدي ووهب بن منبه التميمي ومثل الكابي والشرقي بن
القطامي والهيثم بن عدي وداب بن الكناني وان بعض شعراء الشيعة يتكلم في
ذكر مناقب الوصي بل في ذكر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم فيقطع
لسانه * ويمزق ديوانه * كما فعل بعبد الله بن عمار البرقي * وكما اريد بالكमित
ابن زيد الاسدي * وكما نبش قبر منصور بن الزبرقان النمري * وكما دمر على
دعبل بن علي الخزاعي * مع رفقتهم من دروان بن أبي حفصة اليمامي * ومن
علي بن الجهم الشامي ليس إلا لغاوهما في النصب * واستيجابهما مقت الرب *
حتى ان هرون ابن الخيزران * وجعفر المتوكل على الشيطان لا على الرحمن *
كانا لا يعطيان مالا ولا يبذلان نوالاً * إلا لمن شتم آل أبي طالب * ونصر
مذهب النواصب * مثل عبدالله بن مصعب الزبيري * ووهب بن وهب
البخري * ومن الشعراء مثل دروان بن أبي حفصة الاموي * ومن الادباء مثل
عبد الملك بن قريب الاصمعي فأما في ايام جعفر فمثل بكار بن عبد الله الزبيري *
وابي السمط بن ابي الجون الاموي * وابن أبي الشوارب العيشمي * ونحن
ارشدكم الله قد تمسكنا بالعروة الوثقى وآثرنا الدين على الدنيا وليس يزيدنا
بصيرة زيادة من زاد فينا * ولن يحل لنا عقيدة نقصان من نقص منا * فان
الاسلام بدأ غريباً وسعود كما بدأ كلمة من الله * ووصية من رسول الله *
يورها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ومع اليوم غد * وبعد السبت احد *

قال عمار بن ياسر رضي الله عنه يوم صفين لو ضربونا حتى نبليغ سعفات هجر لعلمنا انا على الحق وانهم على الباطل ولقد هزم رسول الله صلوات الله عليه ثم هزم * ولقد تأخر امر الاسلام ثم تقدم * ألم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولولا محنة المؤمنين وقتلتهم * ودولة الكافرين وكثرتهم * لما امتلأت جهنم حتى تقول هل من مزيد ولما قال الله تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون ولما تبين الجزوع من الصبور * ولا عرف الشكور من الكفور * ولما استحق المطيع الاجر * ولا احتقب العاصي الوزر * فان اصابتنا نكبة فذلك ما قد تعودناه * وان رجعت لنا دولة فذلك ما قد انتظرناه * وعندنا بحمد الله تعالى لكل حالة آلة * ولكل مقامة مقالة * فعند المحن الصبر * وعند النعم الشكر * ولقد شتم امير المؤمنين عليه السلام على المنابر الف شهر * فما شككنا في وصيته * وكذب محمد صلى الله عليه وسلم بضع عشرة سنة فما اتهمناه في نبوته * وعاش ابلis مدة تزيد على المئتين فلم نرتب في لعنته * وابتلينا بفترة الحق ونحن مستيقنون ببلولته * ودفعنا إلى قتل الامام بعد الامام وارضاه بعد الرضا ولا مرية عندنا في صحة امامته * وكان وعد الله مفعولا * وكان امر الله قادراً مقدوراً * كلا سوف تعلمون * ثم كلا سوف تعلمون * وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون * ولتعلمن نبأه بعد حين اعلموا رحمكم الله ان بني أمية الشجرة الملعونة في القرآن * واتباع الطاغوت والشيطان * جاهدوا في دفن محاسن الوصي واستأجروا من كذب في الاحاديث على النبي صلى الله عليه وسلم وحولوا الجرار إلى بيت المقدس عن المدينة والخلافة زعموا إلى دمشق عن الكوفة وبذلوا في طمس هذا الامر الاموال * وقلدوا عليه الاعمال * واصطنعوا فيه الرجال * فما قدروا على دفن حديث من احاديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ولا على تحريف آية من كتاب الله تعالى ولا على دس

احد من اعداء الله في اولياء الله ولقد كان ينادي على رؤسهم بفضائل العرة
ويبكت بعضهم بعضاً بالدليل والحجة لا تنفع في ذلك هيبة * ولا يمنع منه رغبة
ولا رهبة * والحق عزيز وان استذل اهله * وكثير وان قل حزبه * والباطل
ذليل وان رصع بالشبهة وقبيح وان غطى وجهه بكل ملبح قال عبد الرحمن بن
الحكم وهو من انفس بني امية :

ههنية امسى نسلها عدد الحصا وبنت رسول الله ليس لها نسل

« غيره »

لعن الله من يسب علياً وحسيناً من سوقه وامام
وقال أبو دهب الجمحي في حمة سلطان بني امية وولاية آل بني سفيان .
تبيت السكارى من امية نوما ويا لطف قتلي ما ينام حميمها

وقال سليمان بن قتة :

وان قتيل الطف من آل هاشم اذل رقاب المسلمين فذلت
وقال الكميث بن زيد وهو جار خالد بن عبد الله القسري
فقل لبني امية حيث حلوا وان خفت المهند والقطيعا
اجاع الله من اشبعتموه واشبع من بجوركم اجيعا

وما هذا بأعجب من صياح شعراء بني العباس على رؤسهم بالحق وان كرهوه
وبتفضيل من نقصوه وقتلوه قال المنصور بن الزبرقان على بساط هرون :

آل النبي ومن يحبهم يتطامنون مخافة القتل
ومن النصارى واليهود وهم من امة التوحيد في ازل

وقال دعبل بن علي وهو صنيعه بني العباس وشاعرهم :

ألم تراني منذ ثمانين حجة ارواح واغلدو دائماً الحشرات

ارى فيأهم في غيرهم .تقسما وايلديهم من فيثهم صفرات

وقال علي بن العباس الرومي وهو مولى المعتصم :

تأليت ان لا يبرح المرء منكهم يتل على حر الحبين فيعفعج
كذلك بنو العباس تصبر منكهم ويصبر للسيف الكمي المدجج
لكل اوان للنبي محمد قتيل زكي بالدماء مضرج

وقال ابراهيم بن العباس الصولي وهو كاتب القوم وعاملهم في الرضا لما قرب به
المأمون :

يمن عليكم باءواكم وتعطون من مائة واحدا

وكيف لا ينتقصون قوماً يقتلون بني عمهم جوعاً وسغباً * ويملاؤن ديار
الترك والديلم فضة وذهباً * يستنصرون المغربي والفرغاني * ويجفون المهاجري
والانصاري * ويولون انباط السواد وزارتهم * وقلق العجم والطامطم
قيادتهم * ويمنعون آل أبي طالب ميراث امهم وفيء جدهم يشتهي العلوي
الاكلة فيحرمها * ويقترح على الايام الشهوة فلا يطعمها * وخراج مصر
والاهواز * وصدقات الحرمين والحجاز * تصرف إلى ابن ابي مریم المديني
وإلى ابراهيم الموصلی وابن جامع السهمي وإلى زلزل الضارب وبرصوما الزامر
واقطاع بختيشوع النصراني قوت اهل بلد وجاري بغا التركي والافشين
الاشروسي كفاية امة ذات عدد والمتوكل زعموا يتسرى باثني عشر الف
سرية * وائسيد من سادات اهل النبيت يتعنف بزنجية او سندية * وصفوة
مال الخراج مقصور على ارزاق الصفاعنة * وعلى موائد المختاتنة * وعلى
طعمة الكلابين * ورسوم الثمرادين * وعلى مخارق وعلوية المغني وعلى
زوزر وعمر بن بانة المهلي ويبخلون على الفاطمي باكلة او شربة * ويصارفونه

على دائق وحبّة * ويشترّون العوادة بالبدر * ويجرون لها ما يفي برزق عسكر *
والقوم الذين احل لهم الخمس وحرمت عليهم الصدقة وفرضت لهم الكرامة
والمحبة يتكففون ضراً * ويهلكون فقراً * ويرهن احدهم سيفه * ويبيع
ثوبه * وينظر إلى فيئه بعين مريضة * ويتشدد على دهره بنفس ضعيفة *
ليس له ذنب إلا أن جده النبي وابوه الوصي وامه فاطمة وجدته خديجة
ومذهبه الايمان * وامامه القرآن * وحقوقه مصروفة إلى القهرمانة والمضطرة *
وإلى المعصرة وإلى المزررة * وخمسة مقسوم على نقار الديكة الدمية والقردة *
وعلى عرس اللعبة واللبة * وعلى مربة الرحلة * وماذا اقول في قوم حملاوا
الوحوش على النساء المسلمات * واجروا لعباده وذويه الجرايات * وحرثوا
تربة الحسين عليه السلام بالفدان * ونفروا زواره إلى البلدان * وما اصف من
قوم هم نطف السكارى في ارحام القيان * وماذا يقال في اهل بيت منهم نبغ
البغا وفيهم راح التخنيث وغدا وبهم عرف اللواط كان ابراهيم بن المهدي
مغنياً وكان المتوكل مؤثماً موضعاً وكان المعتز مخنثاً وكان ابن زبيدة معنوهاً
مفركاً وقتل المأمون اخاه * وقتل المنتصر اباہ * وسم موسى ابن المهدي امه *
وسم المعتضد عمه * ولقد كانت في بني امية مخازي تذكر * ومعائب تؤثر *
كان معاوية قاتل الصحابة والتابعين * وامه آكلة اكباد الشهداء الطاهرين *
وابنه يزيد القروذ * مربى الفهود * وهادم الكعبة ومنهب المدينة وقاتل العترة *
وصاحب يوم الحرة * وكان مروان الوزغ ابن الوزغ لعن النبي صلى الله عليه
اباه وهو في صلبه * فلحقته لعنة الله ربه * وكان عبد الملك صاحب الخطيئة التي
طبقت الارض وشملت * وهي توليته الحجاج بن يوسف الثقفي فاتاك العباد *
وقاتل العباد * ومبيد الاوتاد * ومخرّب البلاد * وخبيث امه محمد الذي جاءت
به النذر * وورد فيه الاثر * وكان الوليد جبار بني امية * وولى الحجاج على

المشرق وقرّة بن شريك على المغرب وكان سليمان صاحب البطن الذي قتله
بطنه كظه ومات بشما وتحمه وكان يزيد صاحب سلامة وحجابه الذي نسخ
الجهاد بالخمير * وقصر ايام خلافته على العود والزهر * واول من اغلى سعر
المغنيات * واعلن بالفاحشات * وماذا اقول فيمن اغرق فيه مروان من جانب *
ويزيد بن معاوية من جانب * فهو ملعون بين ملعونين * وعريق في الكفر بين
كافرين * وكان هشام قاتل زيد بن علي * مولى يوسف بن عمر الثقفي وكان
الوليد بن يزيد خليع بني مروان * الكافر بالرحمن * الممزق بالسهم القرآن *
واول من قال الشعر في نفي الايمان * وجاهر بالنسوق والعصيان * والذي
غشى امهات اولاد ابيه * * وقذف بنغيان اخيه * وهذه المثالب مع عظمتها
وكثرتها * ومع قبورها وشنعها * صغيرة وقليلة في جنب مثالب بني العباس
الذين بنوا مدينة الجبارين وفرقوا في الملاهي والمعاصي اموال المسلمين * هؤلاء
ابرشدهم الله الائمة المهديون الراشدون * الذين تقضوا بالحق وبه يعدلون *
الذلك يقف خطيب جمعتهم * وبذلك تقوم صلاة جماعتهم * فان كسد
تشيع بخراسان فقم نفق بالحجاز والحرمين * والشام والعراقين * وبالجزيرة
والثغرين * وبالجبل والبيغارين * وان تحامل علينا وزير او امير فانا نتوكل على
الامير الذي لا يعزل * وعلى القاضي الذي لم يزل يعدل * وعلى الحكم الذي
لا يقبل رشوة ولا يطلب سجلا ولا شهادة وايه تعالى نحمد على طهارة المولد *
وطيب المحتد * ونسأله ان لا يكلنا الى انفسنا * ولا يحاسبنا على مقتضى عملنا *
وان يعيدنا من رعونة الحشوية * ومن لجاج الحرورية * وشك الواقفية * وادجاء
الخنفية * وتحالف اقوال الشافعية * ومكابرة البكرية * ونصب المالكية *
واجبار الجهمية والنجارية وكسل الراوندية * وروايات الكيسانية * وجحد
العثمانية * وتشبيه الخنبلية وكذب الغلاة الخطابية * وان لا يحشرنا على نصب

أصفهاني ولا على بغض لاهل البيت طوسي او شاشي ولا على ارجاء كوفي
 ولا على تشبيه قمي ولا على جهل شامي ولا على تحنبل بغدادي * ولا على قول
 بالباطن مغربي ولا على عشق حنيفة باخمي ولا على تناقض في القول حجازي *
 ولا على مروق سجزي * ولا غلو في التشيع كرخي وان يحشرنا في زمرة من
 احبناه * ويرزقنا شفاعته من توليناه * إذا دعا كل اناس بامامهم * وساق
 كل فريق تحت لوأهم * انه سميع قريب * يسمع ويستجيب *



« وكتب الى وزير صاحب خوارزم بعد محنته » :

فهمت ما ذكره الشيخ من توبة الدهر اليه من ذنبه * وخطبته لسلمه بعد حربه *
وما يزال يتعرفه منذ انقشعت ضبابة المحنة * وانجلت غمرة الكربة * من صنع
جديد في ظل يوم جديد لم نحسبه * وعز مؤتلف في كل ساعة لم نحسبه * حتى
لقد اشم روائح عود الحال إلى مأها الناصب * ورجوع الدولة إلى رسمها
الذاهب * وهمكنا تكون احوال المقبلين * فان الايام إذا غلظت فجنت عليهم *
رجعت فاعتذرت اليهم * والزمان إذا حاربهم خطأ سالهم عمداً فيستوفون
في الحالين اجر المحنة * وزيادة بشكر النعمة * ثم يحتم لهم بما هو بحالهم اليق
وبمقاديرهم اوفق * والمحنة إذا كانت بعروض زوال فليست بمحنة * كما ان
النعمة إذا انتظر بها التغيير فليست بنعمة * وانما الانسان من دهره في يومه فاما
امسه فافل * واما غده فافل * وكل غم سبب السرور فهو سرور * وكل
ظلمة كانت، طريقاً إلى النور فهي نور * ومن بحاسن ايام المحن ان الانسان
يعرف بها غش الاصدقاء * ويقف منها على اوزان الثقات والاولياء * ويميز
بين من هو صديق البلاء * وصديق الرخاء * ومن فوائدها انها تعلم المرء مقدار
العافية وتعرفه اخراج زكاة الجاه والدولة * وتحلى في فمه ما يجده بعدها من طعم
السلاوة * ومن منافعها انها تطلع الناس على مقادير قوم لولا المحنة لم يطلعوا
عليها * وتظهر كفاية اناس لولا غيبتهم وحضور البدل منهم لم يهتدوا اليها
والآن عرف الشيخ بحقيقته * ووزن بزنته * ووقف السلطان والرعية على
تفصيله وجملته * بحضور غيره وغيبته * وانما يعرف حق الافاضل * من
دفع بعدهم إلى عشرة الاراذل * ويشد يده بالخاصة * من ابتلى بعده بالعامّة

وما اغلى الماء على من فقدته * وارخصه عند من وجده * هذا وقد صقلت
هذه الفترة خلأثق الشيخ بالتجارب * ووضعت في يده مرآة النظر في العواقب *
وهذبت افعاله من كل شوب * وغسلت عنه كل عيب * على انه لم يزل مبرأ
من كل رذيلة * ومخصوصاً بكل فضيلة * ولكن الايام عملها في التعليم *
وخاصتها في باب التنبيه والتقويم * فالحمد لله الذي رد إلى ذلك الامير جماله
وبهائه * وعمر بابه وفناه * وسر شيعته واوليائه * وغم حسدته واعداه
ولم يفجعه بالعلق النفيس الذي لا يشتري بالاثمان * ولا يوزن بالميزان * ولا
يكال بالقفران * ولا يرى مثله في هذا الزمان * كما لم ير في سائر الازمان * ثم
الحمد لله الذي حول كتيبي من التعزية إلى التهتئة واخرج القاضي من ميدان
الصبر * إلى ميدان الشكر * وجعلني رطب اللسان بالحمد لله * بعدما كنت
رطب اللسان بانا لله * ثم الحمد لله الذي استجاب دعائي * ورحم بكائي وعلمي
كيف تطلب الحاجات * ومتى تستجاب الدعوات * وعرفني ان الدهر غريم
ربما يفني بما يعد * وحبلى ربما تتئم فيما تلد * ثم الحمد لله الذي اراني اهل
خوارزم وقد عرفوا رجحان من فقدوه بمن وجدوه * كما عرفوا نقصان من
وجدوه بمن كانوا فقدوه * وانشدوا قول حنظلة بن عرادة التميمي :
عتبت على سلم فلما فقدته وعاشت اقواماً رجعت إلى سلم

وقول دعبل :

وترجعي اليك وان تناءت ديارى عنك تجربة الرجال



«وكتب الى رئيس سمرقند» :

وصل كتاب سيدي بعد ان كنت ظننت لتأخره ظنوناً اعينه بل اعينني بالله
من ان تصدق بها فراستي * او تتحقق مخيلتي * وظن المحب متوزع * والشفيق
بسوء الظن متولع * الكتاب الذي ذكر سيدي لم يصل * ولقد كان الداعد
للجواب عنه موجوداً * والكتاب مشهوداً * والوقت بحمد الله تعالى ومنه طويلاً
ممدوداً * افهم غير المفهوم وليت شعري كيف سلط على كتبنا حتى اقتطعها
دوننا سلبك بن السلعة السعدي واوفى بن مطر المازني * وعمر بن بدائق
الهمداني والشنفري الازدي وتأبط شراً الفهمي والسمهري العكلي ومالك ابن
الريب المزني وشطاط وبرجان وكعب حدر ومالك بن خزيم وعمر الكلب
الهندي * وجحدر البكري والمتشر بن وهيب الباهلي * وابو الشناش الحنظلي *
والقتال الكلابي * وابو حردبة والحطيم التميمي * واكتل ورزام الخربان *
واسكاب والغداف القاطعان * وطهمان ومن مثل طهمان وعبد العزيز وعرقل
التميميان ووبرة الغفاري وحاجر بن عمرو الازدي هؤلاء لصوص العرب
وصعاليكها الذين كانوا يسلبون الناس سلباً * يأخذون كل سفينة غصباً *
واما بعد اليوم إذا كتبت إلى سيدي كتاباً قرأت عليه المعوذتين * وعلقت في
جيده تميمتين * واخذت من حامله كفيلين * احدهما ذو الجناحين * والآخر
ذو النورين * حاجتي في كذا قضيت بسيدي لا زال قيامه بالخواجج يحل ما
يعقد * ويسهل ما يشدد * ولا زالت عنايته تفك اسيراً * وتيسر عسيراً * لا
جرم لقد كتب على سجل رق * وقلد رقبتي له حقاً يوفى على كل حق * وان
رجلا نقل هذا الدهر اللثيم من المذمة إلى المحمدة * وعلمه انجاز الموعدة *
لرجل يحسن ان يغير اللثيم * وان يعلم اللثيم الكرم * فلا زلت اتحمل لسيدي

عارفة تنضاف إلى سائر عوارفه * وآنف صنيع إلى سالفه * حتى تسود حواشي
جريدة نعمه علي * وإياديه إلي * فاعمل جريدة غيرها * واضيف إليها
مثلاً *

* * *

« وكتب إلى أبي سعيد أحمد بن شبيب جواباً عن كتاب له
ورد عليه يشره فيه بخلاص وزير خوارزم شاه من المحنة » :

كان كتاب صاحب الجيش ورد مشحوناً ببشارتين * أوردتا فرحتين *
أوجبتا شكرين * أحدهما وهي كبراهما خبر سلامته * وسلامة أحواله ونعمة
الله تعالى عليه في جملة * والثانية خبر ما أتاح الله تعالى للوزير أبي فلان من
الفرج الذي وافى بغته * وورد على القلوب والاسماع فلتة * فما أدرى بآية
النعمتين كنت أكبر اعتداداً * وأكثر بها لمحاسن الأيام تعداداً * وبآية البشارتين
كان سروري أكبر حجماً * وأعظم جرماً * ولاية الفرحتين كان قلبي أطرب *
ولساني بشكر الله تعالى أرطب * على أن سلامة صاحب الجيش وإن كانت
البشارة التي توفى على البشائر * والنعمة التي تربى على النعم البواطن والظواهر
فإنها جرت مجرى الثيب إذا كانت متطلعة متشوقة * ومتوقعة متوكفة * وردت
على شيخ ينتظر موردها * وعلى قلب ينتجز مواعدها * وخبر نعمة الله تعالى
على ذلك الوزير وقد جرى مجرى بيضة العقر * وقام سماعه مقام اقتراع البكر *
ورد والقلوب فيه غير طامعة * والنفوس إليه غير منازعة * واليأس قد ارتج
باب الرجاء * والبلاء قد نسخ آيات الرخاء * وطول أيام الفترة * قد هزم
بجيش ألهم جيش المسرة * وكان نعمة خرجت من بيت نقمة * وفرحة نبتت في

ارض غمة * وخبراً ساراً مر على اذن طالما قرعها خبر البلاء * وعلى عين
 طالما باتت على السهر واصبحت على البكاء * والسرور إذا خرج من الكمين
 كان انفس للزينة * والضحك إذا وجد في ساعة البكاء كان اغرب في السماع
 والرؤية * والحمد لله الذي جعل صاحب الجيش يهدي البشائر إلى مضاعفة *
 وينعم على النعم متراكمة مترادفة * ويورد على خبر سلامته في نفسه التي هي اعز
 النفوس علي * ممزوجاً بخبر سلامة احب الناس بعده إلى * لتكون ريح المسرة
 قد هبت علي جنوباً وشمالاً * وجناح الانس والطرب قد رفرف حولي يميناً
 وشمالاً * كأن الخيرات لا تعرف طريقاً إلي إلا من بابه * وكأن البشائر لا
 تحسن ان تطلع علي إلا من كتابه وخطابه * وفهمته وعظم اعتدادي بمورده
 لصاحب الجيش علي اني لو انصفت له لشكرته بلسانين * واحببته بقلبين * ركتبت
 بيدي بقلمين * وواليت ايامه ودولته بنفسين * كما انه يحسن إلي من جهتين *
 ويبشرني من جانبين * ويهدي إلي الهدية ذات الطرفين * فأما ان نعمته علي مثني
 مثني * ومكافاتي له عنها فرادى * فتلك اذن قسمة ضيزي ولكن متى استوفى
 فعل محسن وحال شاكر * ومتى ربح رئيس على شاعر * ومتى استوى من
 يطلب سائلاً * ومن يطلب نائلاً * لاعدمت صاحب الجيش سيداً وسنداً *
 ومدداً وعضداً * وركناً مؤيداً * وسناناً محمداً * وسهماً مسدداً * وسيف
 مجرداً مهنداً * وجنداً مجنداً * وعزاً مؤيداً سرمداً * ولا خلوت منه ابداً *

* * *

«وكتب إلي خوارزم شاه» :

ورد علي كتاب الامير مع فلان فلا أدري ايها كان اشد أسروري بالرسول

ام سروري بالمحمول * وفهمته ولما عرضته على اصدقائي * صار يحسدني
 عليه اعدائي * فلما اجتلوا محاسن الكلام بقلوبهم * ومحاسن الخط بعيونهم
 علموا ان بخوارزم قوماً من التجار الافضل * ومن الطراز الاول * إذا اخذوا
 الاقلام كتبوا * وإذا اخذوا السيوف ضربوا * وان كان الامير رأس الجريدة
 وفارس الكتيبة ونكتة المسئلة وطراز الكسوة ووجد الرزمة وصدر الدست *
 واول التمخت * ونخال الخلد ودق الدق ولب اللب ويحسب الامير ان هذا
 الكتاب وافاني ليلاً فاحببت له الليل حب كثير عزة وعشقتة عشق جميل بثينة
 وابتغضت له النهار بغض العاشق الفراق * وبغض العروس الطلاق * ولقد
 تركت الاسماع به مشحونة * والقلوب مفتونة * واتاني خلال ذلك فرح لا
 يسعني جالدي منه فرحاً * ولا تحملي اعواد سرجي مرحاً * فانشدت :
 وإذا نظرت إلى اميري زادني ضناً به نظري إلى الامراء

ولقد قال لي من لا يدع فضلاً الا تنقصه * ولا جميلاً إلا غمصه * هذه
 كتابة الوزير * لا كتابة الامير * فقلت له ما زدت على ان جعلت الفضل خادمه
 والكمال تابعه * ومن خدمه الفضلاء فقد خدمه الفضل * ومن تصرف في
 عمله العقلاء فقد تصرف له العقل * وكيف يخدم الفضلاء غير فاضل *
 ام كيف يرضى الكملة بالمقام على غير كامل * واصدرت الجواب إلى حضرة
 الامير عمرها الله تعالى بوفود الرجاء * وملاً رحابها وابوابها برسل الملوك
 والرؤساء * وصرف إليها زمام كل رغبة * وثني نحوها عنان كل رهبة *
 وجعلت هذه الاحرف جنيبة للجواب وجنائب القول من جنائب الخيل .



« وكتب إلى العامل على البريد بالاهواز » :

كنت ظننت بك يا اخي ظناً كاذبه قبح فعلك * وضعف هجرك ووصلك *
فانك تعمل فيهما على قياس واجب ولا تصبر منهما على طعام واحد فلا
جرم لقد رجعت في ودي لك وما كنت ارجع في هبة * وندمت على ثقتي بك
وعهدي بي ان لا أندم على حسنة * وهذا ايدك الله تعالى رزقي من كل من
اصفيته حيي * ووضعت في يديه قلبي * فأنا ابدلاً بين صديق اشكوه وقد
كنت اشكره * واعذله وقد كنت اعذره * وارتجع قلبي منه كرهاً وقد
سلمته اليه طوعاً حتى لقد اشتغل قلبي بخوف الاصدقاء * عن خوف الاعداء *
واشتغل شعري بالعتاب عن المديح والمجاء * حتى لقد صرت اعد سوء الظن
حزماً وارى المساهلة غبناً واحسب المكافأة على القبيح عدلاً * ومعاشرة الناس
بالغش عقلاً * وان كان هذا ليس جميلاً فأنا فيه تلميذ اصدقائي وهم في الحمد
عليه شركائي *

* * *

« وكتب إلى أبي حامد بن روزبه اديب قومس » :

وصل كتاب شيخي مكتوباً بخط ينطق بغير لسان * ويفصح من غير بيان *
احسن من كل شيء غير كلام صاحبه * والطف من كل شيء غير اخلاق
كاتبه * القصيدة قد حفظتها لما لحظتها * ورويتها لما رأيتها * ولو اجبت
عنها * لسرقت الجواب منها * إذ كانت قد جمعت نشر البديع * وضمت
اطراف الرصف والترصيع * ولو فعلت ذلك لكنت قد اهديت إلى شيخي من
ماله وخلعت عليه من يده وضربت به بسيفه على أني قد طلقني الشعر ولا أقول

طلّقه وانما الشعر بالطرب * او بالرغب او بالرهب * ولا بقي شيء يسر به
فاطرب * ولا بقي كريم فارغب * ولا بقي وجل فارهب *

* * *

« وكتب إلى أبي زيد جواباً عن كتابه » :

وصل يا ولدي كتابك القصير نجداً * المختصر جداً * وفهمته ذكرت انك
. شتاق إلى اللقاء * واستبطنى في ذلك القدر والقضاء * والمسافة بيننا صغيرة
البقعة * ضيقة الرقعة * إذا زرعت بذراع الهوى * وسحت بيد الذكري
وهي بعيدة إذا . سحت بيد التسلي * ونظر إليها بعين التغافل والتناسي * والبعيد
قريب إذا التقى العزم والتوفيق * كما ان القريب بعيد إذا التقى التفريط والتعويق
فلا تتعلق باذئاب العلل * لو صح منك الهوى ارشدت للحيل *

* * *

« وكتب إلى أبي حامد ايضاً الاديب بقومس » :

ورد علي كتاب الشيخ وهو اعز كتاب علي الا أنه كان صغيراً كأيام لقائي
له * قصيراً كمدة انسي به * على انه لا قليل من البر * ولا صغير من الذكر *
على ان صغير البر الطف واطيب * كما ان قليل الذكر اشهى واعذب * عاتني
الشيخ عتاباً انساني الرعد القاصف * والريح العاصف * والبرق المخاطف *
واردت جوابه فعقل لساني عنه ذكر ايام تفض العزائم * وتسل السخائم *
وما كل انسان يعطي السلطان على قلبه فيقلبه * وعلى شيطانه فيغلبه * فلم نزع

شيخي قميصا من حسن العشرة ولم يزل يلبسه * واطلق لسانا لم يزل يحبسه *
انا بكتاب شيخي اذا ورد علي اشد سرورا من المشتاق الى التلاق * بعد طول
الفراق * ومن العاشق بالعناق * ومن الاسير بالاطلاق * ومن الفارك بالطلاق
فيلتحفني به * وليؤهلني له * ان شاء الله تعالى

* * *

«وكتب اليه أيضاً» :

كتبت الى شيخي كتابا ساءت فيه يدي وخاطري * وغالطت في انتقاده
قلبي وناظري * لان رسوله كان اعجل من عامل حضر مشخصه * ومن
حاج لم يبق بينه وبين الموقف سوى ليلة * او بياض غدوة * وهو على
فراسخ بعيدة * وفوق مجاية بليدة * ومن منهزم رأى خلفه سواد
الطلب * وخاف عاقبة فوات الروح والسلب * ومن الحشري يوم الجمعة وقد
سمع الآذان * وركب السلطان * فلازمي حتى ضغطني ضغط الغريم *
وضبطني ضبط الحصيم * وشغلني عن بسم الله الرحمن الرحيم * فكتبت
ويدي ترتعش * وقلبي ذهل دهش * وانا ارى لشيخي ان يستعمل هذا
الرسول في جباية المال * واستحاث العمال * واجتلاب الصدقات والجوال *
فانه يحاسب على اللحظة * ويضايق في اللفظة * ويتقاضى تقاضيا يزهد النفس *
ويقطع النفس * فاو عرف ملك الموت سره * لجعله خليفته وفوض اليه امره *
فانه اكره منه لقاء * واشاء اقتضاء * وحاجتي ان لا يردده شيخي الى فاني ارحم
الارض من ثقله * واحب بطنها وابغض ظهرها من اجله * والسلام :

* * *

« وكتب تعزية إلى أبي بكر »

بلغني ما قاساه شيعي ايداه الله تعالى في هذه المصيبة من غم يشكي * بل
يبكي * وجزع يضني * بل يفني * والموت خطب ثقل حتى خف وكثر حتى
قل وهان علي الباقي لما رآه بالماضي وعلى المعزي لما نظره في المعزي ودخل الجميع
تحت قول المتنبي :

يدفن بعضنا بعضا ويمشي اواخرنا على هام الاوالي

وشيعي اعرف بالله * واقرأ لكتاب الله * واروى لاناخبار رسول الله * من ان
يتأدب بغير ادب الله * ولا يسلم لقضاء الله * ولكن لمفاجأة المصيبة لدعة
يستراح منها الى مباحة الصديق * والى تسلية الاخ الشقيق * فقد يأنس المريض
الى العائد وان علم انه لا يملك شفائه * ولا يدفع بلائه * جعلنا الله تعالى ممن
يتنجز بالصبر ما وعده من البشري * والصلوات والرحمة والهدى فانه تعالى
ذكره ذكر الصابرين فقال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة
واولئك هم المهتدون * والهمنا العزاء عما استأثر به * والشكر على ما اخلف
منه والسلام

* * *

« وكتب إلى أبي سعيد رجاء بن الوليد الاصفهاني : »

كتابي وقد عفا بيننا رسم المكاتبة والمراسلة * ونسي اسم المطالعة والمواصلة *
والذنب في ذلك لاحدنا فان كنته فمني المعذرة * ومن الشيخ الصنم والمغفرة *
وان كان هو فقد عذرته قبل ان يعتذر * وغفرت ذنبه قبل ان يستغفر *

وطفات عليه بنصبي لساني نائبا عنه * وخليفة له * ورد ولدي فلان فنظرت منه
وفيه الى ابيه ورأيت الايام قد كسسته رداء جمال وكمال * وصقلته بيدي اقبال
واقتيال * وخرجت نجيبا اخجل النجباء * وابنا احيا الآباء * ورأيت :
يطلب شأوا امرأين قدما حسنا بهذا الملوك وفاتا هذه السواق
هو الجواد فان يلحق بشأوهما فمثل ما قدما من صالح سبقا
على تكاليفه فمثل له لحقا أو يسبقاه على ما كان من مهل

وما اجم هذا الولد النجيب على سبقه الى المدى * وعلى ارتفاعه في الذروة
العليا * وقد رسخ عرقه في تلك الدرة الكريمة * وفرعت غصونه على تلك
الدوحة العميمة * لا بل لو اقام على مريط الشيخ فرس لما اعتدلت له ان يكون
جوادا * ولو بات في خزانته سيف لما شكرته على ان يكون حساما * فكيف
بولده * ومن هو قطعة من كبده * كانت الايام امتعني بلقاء الشيخ مديدة
قصيرة كان نهارها لقصره ظهرا وعصرا * وليلها عتمة وفجرا * فلما شكرته
رجعت فيما وهبت * وندمت على ما صنعت * وذلك رسم اللثيم فانه اذا
شكر على احسان غلط به تنبه للؤمه فاساء * وندم على ما سببه من المسرة فساء *
والكریم اذا شكرته قابل الشكر بالمزيد * وتجاوز الصنع القديم الى الجديد * فان
عادت الايام بمثل تلك الغلطة * وظفرت بتلك الغلطة * كتمتها شاني * وشكرتها
بضميري دون لساني * بلغني خبر تلك العثرة التي كانت عينا اصابت الاحسان
وعيبا لحق الزمان والسلطان * فزاد ذلك في جراح الايام بي * وفي وقائعها
بقلي * ثم تذكرت ان الدولة للمحسنين * والعاقبة للمتقين * وان الدهر
يخطيء ثم يصيب * ويذنب ثم يتوب * لا يبخل على الشيخ بكتبه فلو لم استفد
منها الا خبر سلامته لكانت الضالة التي تطلب * والعلق الذي لا يعار ولا
يوهب * فكيف وفيها الفاظه التي تشرق العجز الى شبابها * والشابة الى
احبابها * فما قرأتها قط الا حسد طرفي لساني على لفظه * وحسد لساني

طرفي على لحظه :

فوالله ما ادري ازيدت ملاحسة * على الخلق ام رأى المحب فلا ادري
وانا وان كنت شاعر اللسان فلست شاعر الخلق * ولا شاعر الوفاء والصدق *
ولا شاعر الصداقة والود * ولا شاعر الديانة والعقد * لا تتلون اخلاقي الوانا
ولا اكون على صديق ومن يشكو الي زمانا * ولا اكون اخاه ايام دولته *
وعدوه ايام عطلته * وقد غشت المروءات * وانثلمت المودات * ومات الوفاء
والثبات *

* * *

« وكتب إلى ابن العميد الحاكم :

كتابي الى الشيخ عن سلامة تهنأتها منذ ورد علي خبر سلامته * ونعمة اسبغت
علي منذ وقفت على ما اسبغه الله تعالى عليه من نعمته * ورد علي كتاب الشيخ
الذي كل سطر من سطورهِ كتاب * وكل لفظة من الفاظه باب بل ابواب *
المفيد باطنه وظاهره * البديع اوله وآخره * الذي ما ورد علي الاحسدني عليه
من رآه بيدي * وود انه لو كانت عيناه عيني * وعلم اني قد حوييت في الحظوظ
بقسم وافر * وانه قد حصل منها على غبن ظاهر * لا زال الشيخ ابا عذر كل
كلمة سائرة * وكل فعلة نادرة * ولا زالت اخلاقه مظنة لحفظ العهد * ومحطا
لرجال الحمد * وشريعة موروده لزوار المجد * وبابا مفتوحا لمستخرجي الرشد *
فلان قد غضب علي وما اعرف لي ذنبا * يستوجب منه عتبا * ولا انسبه مع
ذلك الى التجني * ولا اضع فعله موضع الظلم والتعدي * ولكن من الذنوب ما
يظهر لمن رآه * ويخفي على من جناه * وقد يرى الانسان من عيب غيره * ما

لا يراه من عيوب نفسه * ولذلك قيل :

ان المرأى لا تـرى لك عيوب وجهك في صداها

وكذاك نفسك لا ترى لك عيوب نفسك في هواها

اسأل الشيخ ان يرد على من صلحه ما فقدته * ويوجدني من عفوه ما نشدته *
ليكون قد صار طبيبا لاخلاق اخوانه يداويها من داء الهجران * ويصلحها من
فساد الزمان * ولتكون نعمه علي متفرقة اغصانها * ومتلونة الوانها * فان النعمة
اذا تكافأت مذهبها * وتعادلت جوانبها * اتسع فيها مجال الشكر والذكر *
وطالت فيها خطوة النظم والنثر *

* * *

« وكتب إلى أبي القاسم الابي البندار » :

خرج الشيخ الى ناحيه عمله خروجه السارق * لابل خروجه الآبق * قد كتم
اخوانه حاله * ولم يستكشفهم اشغاله * وخصني من بينهم بالقسم الاوفر من
الكتمان * لا بل بالقسط الاوفر من الحرمان * واما كان يضره لو صحبت
ركابه * وكثرت بسوادي اصحابه * وقد الزمته الذنب دوني * وان كان
مقسوما بينه وبينني * كان ينبغي لي ان اقيم على بابهِ حارسا * وبكل درب من
دروب محله فارسا * واتعرف خبر رحيله * واقف على كثير ما يأتي وقليله *
اذا رحل شيعته بجسمي مرحلتين * وبقلي اثنتين * على ان قلبي قد شيعته حيث
هو معه فليتنفصل برده علي * ولينفذه بل يقدمه رسولا قاصدا الي * فان غاية
المشيع ان يرجع * وعاقبة الضيف ان يودع * ولا يأخذ قلوب اصدقائه في
رافق اعماله ولا يكثر بمشيعيه سواد أضيافه ولا يتركني بلا قلب فاني احتاج
في مكاتبته الى قلوب وللنظر في كتبه الى عيون وللصبر على فراقه الى نفوس

ولا يقل هو عندي تذكرة منك * ونائب على بابي عنك * فانما يحتاج الى
التذكرة من ينسى * والشيخ بحمد الله تعالى لا ينسى ولا ينسى *

* * *

« وكتب إلى أبي سمكة بقم » :

انا الح على شيخي في السؤال * واتجاوز حد الادلال * الى حد الاملال *
لان المذني اسأله لا يوجد منه عوض * ولا يقوم عنه جوهر ولا عرض * ومن
طلب خطيرا * احتمل كبيرا * وعلى قدر نقاسة المتاع رغبة المبتاع * وبحسب
عظم النائل * ضراعة السائل * وليس يرد كتاب شيخي على من هو اضمن
مني به * ولا ارغب مني فيه * ولا اروي مني له * ولا اشكر مني عليه * ولا
اتوق مني اليه * واظن شيخي يستخشن مس عتابي له وعتاب عن قلب نقبي
وصلد بري خير من ملق فوقه برد سايري وتحت غش خفي فقد يكتم البغض
في زوايا الهوى * وقد ينبت المرعى على دمن الثرى * ولولا اني قد اصبحت
تحت نعمة الشيخ مستورا * واصبح لساني بعدها مقصورا * لسألت كتاب كذا
والكني الى الخروج من الحواصل * احوج مني الى طلب النوافل * ولقد نقص
شيخي الى الادباء * وصغر في عيني العظماء وصارت اخلاقه لي مرآة ارى فيها
الحسن والقبيح * واتبين فيها السقيم والصحيح * وثمره الادب العقل الراجح *
وثمره العلم العمل الصالح * فاما ادباء اهل زماننا فطرقوا بالادب الى الجهل *
فحصدوا النقص من زرع الفضل * لا نعدم في كل زاوية منهم صغيرا يتكبر *
وقليلا يتكثر * لا ينيد من دونه بخلا * ولا يستنيد من فوقه جهلا * ولو تعلم
لعلم جهله * ولو علم لحفظ علمه * والبخل وحده قبيح فكيف اذا قارنه

الجهل * والجهل بنفسه نقص كبير فكيف اذا كان معه انبخل * ومن عجائب البخل انه داء يعدي فان الجواد يبخل اذا بخل عليه * ويتحول داء غيره اليه * فشر الادواء داء اعدى * وشر العيوب عيب تعدي * امتع الله تعالى شيخي بمحاسنه التي هي مبيت المدح ومقبله * وغرة الدهر وتحجيله * واطال بقاءه * وجعلني فدائه *

* * *

« وكتب إلى أبي بكر النحوي اديب الجبل واصبهان » :

بذلت في حاجة الاديب مجهودي * واليه تنتهي غاية جودي * فان اكن بلغت منها رضاه * فذلك الذي اريده واتحراه * واتكن الاخرى فالرمية قصرت عن الرمية * والسعي وقع دون مقتضى الامنية والنية * فانما الذنب لرسوله الذي زعم انه اكفى * وقال لي حسبك وكفى * فان الطبيب يخرج من الدواء * مقدار ما يشكى اليه من الداء * ذكر الاديب في كتابه ان سوق الادب كاسدة وانما الكاسد ما اشترى بدون قيمته * وقرب ربح تجارته * فاما ما لا يشتري ولا يكتري ولا يذكر ولا يسمى فقد تجاوز الكساد * وبار بل باد * كتاب شيخي اذا ورد بخطه نظرت منه الى روضة البصر * والى نزهة الفكر * ورأيت منه جمالا يراه القلب قبل الطرف * وشممت منه ريحا تشمه الروح قبل الانف * واني اشتاق الى وروده على شوق المهجور الى الوصل * والغائب الى الاهل * فاذا انقطع عني * وانقطع دوني * ثكأت املي * وفجعت بسروري وجذلي * وغزى بعساكر الهم صدرى * وخلا لها ظهري وشيخي يتفضل فينظم الطرق الي به * ويكون شفيعي الى لسانه وقلبه * ان شاء الله تعالى

* * *

«وكتب إلى أبي بكر بن شيمرد»:

لو علمت بخروج الشيخ لآخذت بحظي من حلاوة تشييعه * ومرارة
توديعه * وقمت بالواجب علي من الاخذ بركابه * ومن تسوية ثيابه * على
اني لو شيعته لأصبحت شيعا وصديقا * واهميت معه صاحبا ورفيقا * ولما
تركني الشوق ارجع عنه * ولا خلاني اخاؤ منه * وكنت اصير زيادة في
اشغاله * بل زيادة في عياله * فاذا انا قد طلبت الاحسان فاسأت * وارتدت
الصواب فاخطأت ولقد تركني الشيخ بجميل عشرته * وكريم صحبته *
ابغض كل من احببته * واباعد كل من قاربته * وكأنه انما بعث الي * ليفسد
الاخوان علي * فقد ضيق خلقي * وان كان وسع رزقي * وافسد افعالي * وان
كان اصلح احوالي * ومن العجب وجود الحر في هذا الزمان الذي صار فيه
اللؤم سنة متبعة * واصبح الكرم بدعة مبتدعة * ورخص الثناء حتى ما يبتاع *
وغلا السخاء حتى ما يباع * والكلام في هذا الباب شرط بطين يستهلك الناس
مع عزته * ويستفرغ الفراغ مع قلته * واني لاعتب على شكري للشيخ وانسبه
الى النزارة وهو غزير والى الصغر وهو طويل عريض ولقد شكرته شكرا لو
شكرت الزمان به لاصبح لي شتاؤه ربعا * وجدبه خصيبا ربعا * ومدحته
مدحا لو مدحت به الفلك لما دار الا بمرادي * ولا تصرفت بروجه الا على
اسعادي * ولا سعى الا في مصالح معاشي ومعادي * وليس يخلو شكري
لصنيعة سيدي ان يكون دونه أو فوقه أو مثله فان كان دونه فالظن بمثل الشيخ ان
تكون يده العليا على من عامله * وصنيعته الراجحة على شكر من شكر له *
وان كان فوقه فقد ربح على الشيخ فليردني الى رأس المال * فان ربح الرؤساء

على الشعراء من المحال * وان كان مثله فقد اخذ * في مثل ما اعطى واستأداني
كفاء ما ادى فليستأنف الآن برا * استأنف شكرا * وليجدد نعمه * اجدد
نعمه * هذا ايد الله الشيخ مزاح حمل عليه بطار الغني والشيخ هو الذي اغناني
فليتحمل بطاري وديناني * وكيف احاسب من نفسي بعض صنائعه الي *
وروحى بعض ودائعه لدي * ومن افعاله الجميلة عندي تمنى كل حساب * وتملأ
كل كتاب * الشيخ صاحب الديوان رفعت اليه حاجتي فاستقبلني بوجه مانع *
فوليتته قننا صبور قانع * ليعلم ان الكريم الوف عروف * وصدوف عروف *
يشكر على اليسير * وتلطف نفسه على الكثير * نسخة الرسائل قد حملتها وما
تساوي عندي ان تهدي الى احد * او تحمل من بلد الى بلد * ولكن الشيخ
اشتهاها شهوة راكب الخيل لركوب الحمار والبغل * وشهوة آكل الطبيخ
لآكل الخل والبقل * وتظرف بطلبها تظرف الغني بلبس الوداري وهو غريق
في الوشي والعتابي وقادر على الديباج الحسرواني ولعله اراد ان يضحك منها
ندهاءه * ويتجف بها جلساءه * فتكون بابا من ابواب الهزل * او جنسا من
اجناس النقل .

* * *

«وكتب إلى الوزير بالحضرة» :

ما اقرب الاشياء حين يسوقها * قدر وابعدها اذا لم تقدر
كانت ايد الله الشيخ حاجتي في وعاء المطال * وفي ضمان الايام والليال *
فما كسني فيها الزمان * وارجف لي بها الاخوان * قد اخلق ثوب الرجاء لها
حتى تمزق * وتراجع حسن الظن بها حتى تمحق * وطابت النفس عنها *

بيد الياس منها * حتى دفعت زمانها الى الشيخ فانشطها من عقال التعذر * واقامها
 من صرعة التعسر * وقضاها قضاء سبق الاقتضاء * ونسخ باليقين الرجاء *
 فكان غيثا سبق صيبه دعوة المستقى * وماء سيجا قد كفى مؤنة المستقى *
 وانما كنت ابد الله تعالى الشيخ مجدا على الطريق مازوحا * وبابا من ابواب
 المكارم مفتوحا * لا المجد يحصل * ولا الباب يدخل * حتى كانت يد الشيخ
 اول من جنى تلك الباكورة * واحتوى تلك المكربة المذخورة * فالحمد لله الذي
 وفقه لحفظ ما ضيعوه * ورفع ما وضعوه * ولقد اشترى من الشكر سلعة
 قليلة الطلاب فيا ليت اللئيم يشم رائحة افعاله * او يلاحظ شخص خصاله *
 ويا ليت البخيل يعطي من رزقه * قيمة خلقه في سعة وضيقه * ويا ليت المخلف
 للوعد تصير المواعيد في رقبته * او حقائب على عاتقه * فلعلها اذا اثقلت
 ظهره * ضيقت صدره * فلا يعود بعدها الى وعد يخلفه * وحر يسوفه *

وليت رزق اناس مثل جودهم ليعلموا انهم بنس الذي صنعوا
 تأخر ما رسم الشيخ حمله من الرسائل لاني اردت ان يحصل بخط لا يورث
 العين قذى * ولا القلب اذى * ولولا اني رابع الكتاب والشعراء بالباء لا بالياء
 لما احتجت لتلك النسخة الى هذا الاحتشاد * ولناسخها الى كل هذا الارتياح *
 ولكني كابي الدميمة لا يألو جهدا في جودة كساها * وكثرة حلاها * يشترى
 لها المطوى والملوى * ويكسوها الديبقي والمروى * ويتجاوز في جهازها الفضة
 الى الذهب * والشعر الى القصب * ثم هو مع هذا كله خائف عليها ان ترجع
 اليه مطرودة * وعليه مردودة * ولو كانت بنته حسناء ولو انها من الثياب
 عارية * ومن الجمال كاسية * ومن الحلى عاطلة خالية * ومن وجهها حالية *
 لعلمه ان لها من نفسها شافعا لا ترد شفاعته * وبائعا لا تنقض بيعته * وبعد هذا
 كله فاني مقرر على نفسي بالتقصير * ومستحق للوم الكثير * فان المحال اذا

نصر زاد بردا * وان الخطأ اذا احتج له صار عمدا * فلان قد اصحبه كتابي
 بالوصاية * وصنعت له ما يسعه رجاؤه وشكره من الرعاية * وارجو ان
 الشيخ لا يلوم من جر اليه حمد الاحرار بزمامه * ووقف الثناء والاجر على
 مدرجة بره وانعامه * وانما انا دلال من دلالي الشكر * وسمسار من سمسرة
 الثواب والاجر * ولم ارى لهذين السلعتين مشريا اصح من الشيخ عقدا *
 ولا اجود منه نقدا * فجهزت اليه باعة البضاعة * ودلت عليه الباعة * والسلام

* * *

«وكتب إلى تلميذ له» :

ان كنت اعزك الله تعالى لا ترانا موضعا للزيارة * فنحن في موضع
 الاستزارة * وان كنت تعتقد انك قد استوفيت ما كان لدينا * فسقط حقنا عنك
 وبقي حقلك علينا * فقد يزور الصحيح الطبيب بعد خروجه من دائه *
 واستغناؤه عن دوائه * وقد تجتاز الرعية على باب الامير المعزول فتتجمل له
 ولا تعيره عزله * ولو لم تزرنا الا لترينا رجحانك * كما طالما رأينا نقصانك *
 لكان ذلك فعلا صائبا * وفي القياس واجبا *

* * *

«وكتب إلى حاكم نيسابور من اصفهان» :

وردت ايد الله تعالى الحاكم من الوزير على رجل يستطيل اليوم اذا بعدت
 عنه * ويستقصر الدهر اذا قربت منه ابدع في اكرامي بدائع لو كانت

كلمات أكانت أمثالا • ولو كانت ابياتا لكانت افرادا • وكسائي طرازا من
 الصيانة ضفت على ذبوله • ولاحت على صفحات احوالي غرره وحجوله •
 وخاطبني بكلام كأنما نحت من خاتمه حسنا ورقة • وكأنما اقتطع من كلامه
 لطفًا ودقة • ووعدني مواعيد • في صحبة العبد والتوحيد • ورقاني في غاية
 تزيق رجل المني • وتقصّر دونها همم النوري • وتنجّل خلفها المدرجات العلي
 اردت مطالعة احكام هذه البشرى • واتحافه بشرح هذه النعمى الكبرى •
 ليعلم ان تلك الفترة كانت خيرة وغيره • واذ هذه العاقبة كانت دولة وكرة •
 وان الدهر اوفانا كليل المعرة • كما اوفانا كليل المضرة • وتحمل اليانا من
 الخير • مقدار ما تحامل علينا في المكر • ومهد لنا ايام اليسر • عدد ما مالد لنا
 من ايام العمر • فقد انصف وهو ظلوم • وتكرم وهو لثيم •



« وكتب إلى محمد بن حمزة رئيس خوارزم :

قد انتظرت من الشيخ ان يسبقني الى خطبة الوصل * كما لم يزل سابقا الى غاية كل فضل * فأبى كسله الا ان اسبقه اليها * واغلبه عليها * فابتدأته بالمكاتبة حين ضاق مسلك الصبر * وحين اتسع مجال النزاع في الصدر * وحين رأيت الحظ يضيق بين هيبتي وتغافله * والربح يذهب بين اشغاله وتشاغله * وقد بلغ الله تعالى الشيخ رتبة لا يضعه معها ان يتواضع * ولا يزيد في ارتفاع قدره ان يترفع * فليستدم نعمة الله تعالى عليه بان يرب مودات الاحرار اوفى ربابة * ويعمر ما بينهم وبينه أوفى عمارة * وليعلم ان عليه زكاة للشرف اخراجها انمي للمال * وابقى للحال * ومنعها تحقيق للوفر * وتعريض لحوادث الدهر * وليزد اخوانه على قدر زيادة الله تعالى عنده فان العادة مطلوبة * والزيادة في النفوس محسوبة * زاده الله تعالى مما عنده * واطلع عليه سعه * واعلى جده * وجعل حاسده عبده * ورد فلان هذه الناحية فملاً العيون جمالا * والقلوب كمالا * والاسماع مقالا * وغمر الاعداء فضلا والاولياء افضالا ونوالا * ورأينا في قميصه رجلا بل رجالا * وعجبت من ملك كيف سمح بمفارقة هذا الشخص النفيس لبابه * وخروجه من حيز اصحابه * ولقد ضيع منه ما لا يوزن به عوض * ولا يقوم مقامه عرض * وقدر انه يصيب في كل زاوية من يسير في اقسام النجابة * ويجمع بين الفروسية والكتابة * فاذا به على النقصان وهو ينتظر الزيادة واذا هو يلتزم خراجا ويحسب انه يحصل الغلة واسأل الله تعالى ان يصلح حال تلك البقعة فاني اراها تلفظ الرجال * وتنفي عن نفسها الكمال * وان امرأ تعق منه الآباء والاجداد * ويخالف به تدبير الاولياء والبلاد * لتحقيق بان لا تخشى فاتحته * ولا ترجى عاقبته *

* * *

« وكتب إلى أبي سعيد رجاء بن الوليد الاصفهاني » ؛

وصل إلي كتاب الشيخ وعقته * إذ لم أطر فرحاً لما رأيته * ولم انطح
الفلك فخرأً وعجباً لما فككته * ولقد استخفني الفرح به واشتغلت بلحظه عن
حفظه وتصرفت من فصوله في رياض سقتها الخواطر * لا الغيوث المواهر *
وطلعت علي شمس البها * لا شمس الضحى * لا بل روضة الخط أحسن من
روضة النبات لأن روضة النبات مداس للخف والحافر * وطريق للسابل
والعابر * وتلحظها أعين اللثام * وتدوسها أرجل العامة والطغام * وهذه
الروضة عن أكثر العيون مكنونة * وعن أكثر الأيدي مصونة * لا يرتع
فيها إلا ناظر خاصي * ولا تمسها إلا يد نبيل سوي * قال ديك الجن :

لو كنت املك للرياض صيانة يوما لما وطىء اللثام تراها

رأيت الشيخ يرغني في خطابه إلى غاية تنقاصر عنها قيمتي * ولا تطمح
نحوها همتي * فعلمت أنه يسلفني نعمته لأدخل في غرامه * وأصير واحداً
من جملة أنعامه * وليكون قد تناولني بالبر من كل طرفة قولا وفعلا وجوهرأً
وعرضاً ولساناً وبياناً والله تعالى يكافئه ويكفيه * ويبقيه ويقيه * ويرينيه كما
ارتجيه * ويريني ما أحب له فيه .

* *

« وكتب إلى الوزير أبي القاسم اسماعيل بن عباد رحمه الله »:

كتابي إلى الوزير وأنا على بعد الدار سالم في جملته * مستظهر على الأيام
بدولته والحمد لله تعالى على سلامتي في سلامته * وصلى الله على سيدنا محمد

وعثرته إذ رأيت كتاب الوزير وقد ورد على غيري غرت عليه غيرة الفحل
على الشول * بل غيرة المرأة على البعل * ولوددت أن لم يكتاب به غيري *
أو من يشكره مثل شكري * فاني مع استقصاري لنفسي في ذلك قد اتعبت
الوراقين * بل اتعبت الكرام الكاتبين * وابتقيت للخواطر والألسن شغلا
طويلا * وطرحت عليها عبثاً ثقيلا * ولقد كانت أيامي ببضرة الوزير
قصارا * وكان ليلى بها نهارا * وساعاتي فيها سحارا * كما أن أيام فراقه
ليال طوال * وليلة فراقه تعد بليال * وأني بعد صبري على فراقه بلحلد على
وقع سهام الحجر * واسع المجال في ميدان الصبر * ولقد أصابت عين
الزمان وفائي وسلبتني حسنتي وهي جزعي بفراق اصدقائي * فاجرتني الله
تعالى على هذه المصيبة * ولا حرمني عليها جميل الأجر والثوبة * لا يعني
الوزير وقد اشتريته بأهل الدنيا * ولا يبعدني عنه * وقد قربني الحب منه *
ولا يبخل على بكتبه * فعهدي به لا يبخل علي بفضته ولا بذهبه * وليأنف
من أن يكتب اسمه في جريدة البخلاء * بعدما صدرت به جرائد الاجواد
والسمحاء * إن شاء الله تعالى .

* * *

«وكتب إلى أبي الحسن الحكمي» :

أنا لأمر سيدي الشيخ ممثلاً * ولتبله مراده مستقبل * ولكن فلان طرفني
والشوق قائده * والحب سائقه * فليوفر الشيخ علينا يومنا فلا يقدر أن
يضمن لنا غداً وليعلم أنه من سلب أخاه ثوب الفرح * وأقامه من بين يدي
الطاس والقدح * فقد قطع عليه طريق السرور * وقام بازائه مقام حوادث

الدهور وقطاع الطريق على الناس * أقل وزراً من قطاع طريق الطاس والكاس
لأن الذي يأخذه أولئك من المال قد يصاب منه بدليل * ويوجد إلى العوض
منه سبيل * والذي يأخذه هؤلاء من العمر * ويقطعون من أيام الدهر *
لا سبيل إلى ارتجاعه * ولا الثام لجراحه اقتطاعه * هذا والضيف مولاي
والضيف عبده فهل يرى الشيخ أن افتات على مولاي * وأن أخالف هواه
بهواي * وقد علم ما جاء في الأثر من ذم العبد إذا عصى مولاه * وخرج
إلى سخطه من رضاه .

« وكتب إلى تلميذ له وقد ظهر عليه الجدي » :

وصلني خبر الجدي فنال مني وهيج حزني * وراع قلبي واسهر عيني *
وهذه العلة وإن كانت موجعة * وفي رأي العين فظيعة شنة * فانها إلى
السلامة أقرب * وطريقها إلى الحياة أقصد * لأن عين الطبيب تقع عليها *
ويد الممرض والمعالج تصل إليها * وإنما هي قرح نبهته الطبيعة ودم أثارته
الحرارة وظاهر الداء أسلم من باطنه * وبارز الجرح أهون من كامنه *
وهذه بعد علة تعم الأبدان * وتشمل الصبيان * وإذا كانت العلة عامة
كانت أكثر طباً وداء وأخف على القلوب أعباء * لأن النفس تستريح إلى
المشاركة وتأنس بالجماعة كما تستوحش من الوحدة ولعمري أنها تورث سواد
اللون * وتذهب من الوجه بدباجة الحسن * ولكن ذلك يسير في جنب
السلامة للروح اللطيفة * والنفس الشريفة * وفي الشر خيار * ومن المحنة
إلى المحنة صروف ومقدار * وإذا أخطأت سهام الأيام جانباً * وأصابت

جانباً * فقد سرت أكثر مما اساءت لأن الحسنة فيها تستعبد وتستغرب *
 والسيئة منها تنتظر وترتقب * ولست استطيع لك غير الدعاء * ولا أكلم
 في بابك إلا طبيب الأطباء * ولا أصانعه عنك إلا بالثقة والرجاء * لا أسأل
 صحتك * إلا ممن خاق علتك * وأرى لك أن تحسن ظنك بربك * وتستغفره
 من ذنبك * وتجعل الصدقة شفيعةك * واليقين طبيبك * وتعلم أنه لا داء
 أدوأ من أجل * ولا دواء أشفى من مهل * ولا فراش أوطأ من أمل *
 شفاك الله تعالى وكفاك * وسلمك وعافاك * وبلغك رضاك وحسبك به
 طبيباً وكفاك * .

* * *

« وكتب إلى فقيه من تلامذته » :

كتبت إليك من حضرة الغرائب والرغائب وهي حضرة الوزير وأنا متردد
 بين فائتين من فعالة ومقاله * وراتع بين روضتين جاهه وماله * والحمد
 لله رب العالمين * وصلى الله على سيدنا محمد وآله اجمعين * انتظرت كتابك
 فتأخر وطلبت له عذراً فاعوز * وأخذت احتال صبراً عنك فاعجز *
 وعرضت معاملة لك لي على الود بيننا فأبأها * وقدمت أفعالك معي إلى القلب
 فما ارتضاها * فراجع رحمك الله تعالى ما طلقته من ودنا * واذكر أو
 تذكر ما نسيته أو تناسيته من عهدنا * واعلم أنك إذا أنفقت أصدقاءك واحداً
 واحداً أو شكت نفقتك أن تدعك منلساً منهم * وخالياً عنهم * حملت إليك
 نسخة رسائل الوزير وهي كالخلقة لا يدري أين طرفاها * وكالشمس لا
 يفضل أولها على آخرها * كلها خيار * وكل حروفها اختيار *

فأعرها من إذا استعارها منك قبل يديك * وإذا ردها عليك قبل رجلك
وأعلم أن قدر هذا الكلام في الكلام كقدر صاحبه في الأنام * فلان قد
نصب لنا الحبائل * وأراد بنا الغوائل * ولقد قرع باب البلاء ووطئ ذنب
الحية الصماء * وأدخل يده حجر الأسود * وقعد للملك الموت بالمرصد
ونطح برأسه الجبل * واستبطأ الأجل * وطرده العافية عن باب داره * وأنزل
النحاس في جواره * واستهدف لسهام الحنف * ووطئ على حد السيف *
فلا جرم أصبح نقل كل لسان * وضحكة كل انسان * وحملت امهاته
سفاتج إلى البلدان * وأجلت غيرة جهله عن أديمه وقد عرك * وعن ماء
وجهه وقد سفك * وعن ستره وقد هتك * وهكذا يكون حال من عرض
عرضه السقيم * وأصله اللئيم * لمكر العقلاء * وقول الفصحاء * والسنة
الشعراء * وأقلام البلغاء * وليس وراءه لسان تقرع به الآذان * ولا عرض
يعارض به الأقران *

* * *

« وكتب إلى الملك لما أصيب بابنه عن خوارزم شاه » :

كتبته وأنا مقسم بين فرحة وترحة * ومردد بين محنة ومنحة * أشكو
جليل الرزية * وأشكر جزيل العطية * واسأل الله تعالى للامير الماضي
الغفران والرحمة * وللامير السيد التأييد والنعمة * فان المصيبة بالماضي وإن
كانت تستوعب الصبر * فان الموهبة في الباقي تستغند الشكر * والحمد لله
الذي كسر ثم جبر وسلب ثم وهب وابتلى ثم أولى وأخذ ثم أعطى كتب على
المشرق خاصة بل على الدنيا كافة أن تطمس آثارها * وتظلم أقطارها

ونهب ربح الخراب عليها * وتنظر عين الكمال إليها * حتى ذبلت شجرة
 المملكة ووهن ركن الملة * وطرف ناظر الدولة * وانثلم جانب الدعوة
 ثم استدرك الله تعالى برحمته خلقه * فرد إلى الأمير حقه * وقرت الدولة
 في قرارها * وعادت النعمة إلى نصابها * وطلعت الشمس من مطلعها *
 ووضعت الرئاسة في موضعها * فانا الآن بين شكاية الأيام وشكرها وبين
 حرب المدهر وسلمه أبكي وأنا ضاحك وأضحك وأنا باكي العين إلا أن الضحك
 علي أغلب * والفرح لي من الغم أقرب * لأن المصيبة ماضية * والنعمة
 باقية * رحم الله تعالى الماضي رحمة تهون علينا مصرعه وتبرد له مضجعه
 وتضاعف حسناته * وتمحوا سيئاته * وأعان الأمير على رعاية ما استرعاه
 وألمه شكر ما أعطاه * وتولاه فيما ولاه * ووالاه جزيل ما أولاه *
 وأيد بالهيبة سلطانه * وثبت بالبقاء أركانه * وحرس من الغير زمانه * .

* * *

«وكتب إلى أبي منصور ملك الصغانيان يعزيه في عمه أبي سعيد»:

كتابي إلى الأمير وقد ملك الجزع صبري وعزائي * وجعل ناظري
 في اسار دوعي وبكائي * وانقلب دهش * والبنان مرتعش * وأنا من البقاء
 في الدنيا مستوحش * والجفن غرق * والقلب محترق * وما اجتمع قبله
 غرق وحرق * للمصيبة التي ثلث عرش السلطان * وطمست نور الزمان *
 وجعلت الصبر سيئة * والجزع حسنة * والاسى سنة * والاسا بدعة *
 وحق لمن أصيب بمثل فلان أن يصاب بصبره * وأن يدفن معه الفرح في قبره
 وأن يجعل يومه تاريخاً لجدع أنف الكرم * وركود ربح الهمم * وانكسار

تاج العجم * وإذا تفكرت في عظم هذا الدازل * واربائه على سائر المصائب
والنوازل * انشدت :

فما كان قيس دملكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدا

وإذا تذكرت بقاء الأمير وهو البقاء الذي لا وقع معه لخطب وإن كان مؤلماً *
ولا خطة بعده لمصائب وإن كان مستعظماً * انشدت :

إذا مكرم منا ذرا حد نابه تخمط منا ناب آخر مكرم

وإن بيت الأمير الماضي سلفه * والأمير الباقي أيده الله تعالى خلفه * لبيت
عظيم المصائب * عظيم المواهب * محتتهم أجل المحن * ومنه الله تعالى
عليهم أكبر المن * ولن يسقط عرش مثل الأمير قائمته * ولا يخرب بيت
هو بقيته * اللهم ارحم الماضي فانك رحيم بالكرام * منعم على أهل الإنعام
واحفظ الباقي من عين الكمال * فاتها أكبر آفات الرجال * وأنفذ سهام
الأيام والليال * وأطل بقاءه فانه بقاء المجد * وادم عزه فانه عز الشكر
والحمد * واجعل فداءه من لا يرضى بأن يكون فداءه * ولا يفتمخر بأن
يكون وجهه حذاءه *

* * *

٢٠٠

« وكتب إلى أبي القاسم بن علي صاحب جيش الصغانيان » :

لم يزل يبلغني ما يرتفع على يد الأمير من الفتوح التي تفتح لها أبواب السماء *
ويفوح منها روائح العز والثناء * في أولئك الأعداء الذين امتنعوا بشدة
كلبهم * وقلة سلبهم * ومشاركة المسلمين قديماً لهم * ورضاهم رأساً
برأس منهم * حتى لقد حققت الدماء * وسكنت الدهماء * وأمنت السبل *

واجتمع الشمل * ورجع النافر * وعمر الغامر * واجتمعت الكلمة واتفقت
 البيضة وأغمد السيف وركز الرمح وقرت الأمور قرارها * ووضعت الحرب
 أوزارها * وهذا صنع لم يخص الله تعالى به أهل افق دون افق * ولا افرد
 بمزيته سكان غرب دون سكان شرق * إذ كانت النعم فيه عمت كل من
 عرف الإسلام وفضله * وعادى الشرك واهله * لازال الأمير يرى كل
 يوم بسيفه فتحاً يعظم به الخطب * وتستبق فيه الكتب ولا زال الشرك من
 قتلاه * والنفاق من جرحاه * والفساد في الأرض من أسراه * حتى
 تملأ فتوحه كل سامع وناظر * وتشغل كل كاتب وشاعر *

* * *

«وكتب إلى فقيهه في تعهد مسجد» :

أحق الأماكن بأن يصان ولا يهان * وأولاهها بأن ينحى عن مدرجة الاختلال
 ويرفع عن أن تتناوله يد الابتذال * مكان بني ليجمع شمل التعبد * ويضم
 نشر التهجد * وترفع منه الحوائج إلى من لا يضجر من السؤال * ولا
 يتبرم بكثرة السؤال * وهو الكبير المتعال * فان صيانة هذا المكان صيانة
 الدين * بل صيانة الإسلام والمسلمين * وكبت الكفر والكافرين * وما
 ظنك بموضع هو بيت من بيوت الله * ومظنة لقراءة وحى الله * تصف
 فيه الاقدام بين يدي الله * ويتميز فيه أولياء الله من أعداء الله * وهو من
 بيوت اذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه وهو مسكن من مساكن الأبرار *
 ومجلس من مجالس الأخيار * وحصن من حصون المسلمين على الكفار *
 وجسر بين الجنة والنار * دخوله عبادة * والمقام به سعادة * والاعتكاف

فيه سنة ستحة * لا يخرقه كافر * ولا يقربه إلا طاهر * من عمره
عمر طريق الآخرة * ومن بناه بنى له بيت في الجنة * وبلغني ما أنت فيه
من بناء مسجد محلاتك * ضاعف الله تعالى لك عليه ثوابك * وأكرم آباك
ورضي عنك * وتقبل منك * فتوسع رحمتك الله في نفقتك فانما
تعامل وتسلم كريماً سخياً * ولا تحاسب نفسك على دخلك وخرجك فانك
بصدد اضعاف ذلك من الثواب * وانما يوفي المحسن أجره بغير
حساب * وتذكر قول الله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله
واليوم الآخر

* * *

«وكتب إلى أبي شجاع بن محمد كاتب ابن قراتكين» :

كتابي وقد وجدت فلاناً لا يضر ولا ينفع * ولا يضع ولا يرفع * وانما
هو مشط يقلبه خصي أصلع * وأن مجال الشكاية فيه لرحب وأن طريق المذمة
عليه لسهل ولكني لا أقطع يدي بيدي * ولا أضرب بعصي ببعصي *
ولا أرمي يسراي عن يمناي ولا أتباعد عن قربني الأصل منه * ولا
أضربه بالسيف الذي طالما ضربت به عنه * ورأسي رأسي وان كان أصلع
وانني مني وإن كان أجعد * وأما فلان فان المشرق عاطل هو حليته *
وعريان هو كسوته * وجماد هو روحه * وأعزل هو سلاحه * وأخرس
هو لسانه * لا فجع الله به عيني ولا قلبي فان عيني بعده لا تقر * كما أن
قلبي بعده لا يسر *



« وكتب إلى رئيس نيسابور » :

أرجو أن الشيخ لا يلقى أمري بيد الأغفال * ولا يسلك بحاجتي طريق
المطال * ولا يكلني إلى غيره في حاجة كتبتها عليه * ووضعت عنانها
بيديه * فمن المحال أن استمد النهر * وأنا جوار البحر * وأن
أحتاج إلى النجم وأنا اسري في ضوء البدر * وقد كان الشيخ في تلك الحالة
الأولى أمهل * حتى كآذه أهمل * وتغافل حتى كأنه غفل * ولست
أشكو يومه * لأنني أرجو غده *

* * *

« وكتب إلى علي بن كامه » :

كتابي إلى الأمير عن سلامة أسأل الله تعالى أن يديمها * لاتوصل إلى خدمته
بها * والحمد لله تعالى ونعمة الأمير على النعمة المجملة المفصلة * الغراء
المجملة * التي إن سكنت عن شكرها شكرها عني أثرها علي * وإن كتبتها
أفشاها دوني من رآها لدي * وإنما أنا غرس نعمته * ونبات راحته *
نادمته وأنا مقتبل الشباب * حدث الأتراب * وها أنا قد الجمني الكبر
بلجأه * ولثمني البياض بلثامه * وإذا عتقت المنادمة صارت سبباً دانياً *
وكانت رضاعاً ثانياً * لا بل رضاع الحمر * أقوى في حكم الفتوة سبباً
من رضاع الدر * لأن رضاع اللبن معروف الأمد * منقطع المدد *
ورضاع الشراب ربما دام الشهر والدهر * واستوعب المدة والعمر * ولأن
رضاع اللبن يحرم من طريق النكاح وأن كان يعقد قرابة ووصلة من طريق

الولادة فهو يعطي من حيث يمنح * ويوصل من حيث يقطع * ويبعد سبباً *
 من حيث يقرب نسباً * ورضاع الشراب يصل من كل جوانبه * ويعقد
 حرمة من جميع مناديه * ولأن رضاع اللبن يقع بين الأطفال الذين لا
 يتبينون أحوالهم * ولا يعرفون ما عليهم مما لهم * ورضاع الشراب لا يقع
 إلا بين الرجال الذين يعقلون كيف يصلون وكيف يقطعون :

أقر السلام على الأمير وقل له أن المنادمة الرضاع الثاني

إن المنادمة التي نادمتني رفعت عنائي فوق كل عنان

وأقل ما في هذه الحال أن أشكرها فعلاً * من حيث أشكرها قولاً * وهو
 أن أزور تلك الحضرة الجليلة كما تزار عظام المشاهد * واعتكف فيها كما
 يعتكف في المساجد * فانها وإن لم تكن مشهد حرم وصلوات * فانها
 معتكف عطايا وصلات * وإن لم يكن صاحبها إمام خلافة يرجى ثواب
 زيارته في الآجل * فانه إمام سماحة ينال ثواب زيارته في العاجل * ولكني
 رجل قد طال ذيلي * وازدحم شغلي * وقيدت السن رجلي * فلا أقل
 الآن من أن أوجه رسولي وهما قلبي ولساني * على ظهر مركبي وهما قلبي
 وبناني * وأن أنظم في شكر نعمة الأمير قلائد لا السارق يسرقها * ولا
 النار تحرقها * ولا الماء يفرقها * كل ناطق عندها أبكم * وكل شاعر
 بأزائها مفحم * وسأبلغ من ذلك ما يقيم لي عنراً * ويصير لي ولعتبي عدة
 وذخراً * إن شاء الله تعالى



« وكتب اليه لما ولي قومس » :

كتبت والولاية التي شرفت بالأمير ولم يشرف بها * وتسببت له ولم يتسبب لها * وصغرت قياساً إلى شأنه * من حيث كبرت قياساً إلى مقادير أهل زمانه * قد بلغني خبرها فجزرت ذيلي فرحاً * ورحت لا تحملي أعواد سرجي مرحاً * ووددت لو شربت طرباً عليه البحر المحيط قدحاً * وأين بالأمير عن افتراع المنابر * وقيادة العساكر * وهو من أهل بيت يحكم بالملك صغيرهم * ويشيب عليه كبيرهم * تقرأ بأسمائهم المنابر النافرة * وتسكن بأعلامهم البلاد الشاغرة * لم يرضعوا إلا ثدي ولايه * ولم يروا إلا تحت رأيه * ولم يغتدوا إلا في حجر سياسة ورياسة * فلا زال يترقى ذروة رتبة بعد رتبة * ولا زال اسمه يفتزع خطبة بكرةً بعد خطبة * ولا زال الملك سليله ونتيجته * والعز صنيعته وخريجته * حتى يملك الأقاليم ويفترش السرير العظيم * فيعطي القوس باريها * ويملك الزعامة من يليق بها ويحسن فيها *

* * *

« وكتب إلى أبي طاهر وزير أبي علي بن الياس بكرمان » :

كتبت ولما اتصل بي خبر المصيبة لم أملك من قلبي إلا ما شغلته بها * ولا من عيني إلا ما بكيت به لها * ونزل بي ما ينزل بمن قارعه الزمان عن واحدة ونازعه الموت في بعض نفسه وزل عن يده الذخر الذي أدخره لصروف الزمان وسلب السيف الذي لم يزل يعده للقاء الأقران ثم تنجزت وعود الله تعالى

بالصبر والعزاء * ثم بالتسليم للقضاء * وقلت إنا لله وإنا إليه راجعون كما
 أمرت * وانظرت الصلاة والرحمة كما وعدت * ولقد كانت المصيبة
 بفلان جراحة لا دواء لها إلا الصبر * وخسراناً لا جبر له إلا الأجر * ولقد
 سلبته علماً من أعلاق الفضل لا يخاف من حصله غيباً * ولا يستعظم له
 ثمناً * سهم المنايا بالدخائر مولع ولقد طلق من الدنيا عروساً غدارة *
 مكاراة غرارة ختارة * طالما قتلت بعلها * وخانت أهلها * فها أنا أيد
 الله تعالى الشيخ جريح يد الدهر ولا طبيب لمن جرحه * وسليب يد الموت
 ولا ضامن لمن اجترحه * وقد دفنت يدي بيدي * وبكيت على عمي بعيني
 وافردت في نفسي عن نفسي والرزية بمثل فلان رزايا * كما أن العطية
 كانت ببقائه عطايا * ولكن لا كثير من المصائب مع التأدب بأدب الله تعالى
 كما لا قليل من المواهب مع الإيمان بالله تعالى * رحم الله فلاناً الجامع
 لمحاسن الآداب * الشيخ حلماء وإن كان غض الشباب * فلقد اختضر
 وهو قتي السن * واهتصر وهو رطب الغصن * وكسوف البدر عند تمامه
 أوقع * وكسر العود عند اعتداله أوجع *

إن الفجيعة بالرياض نواضرا لا شد منها بالرياض ذوابلا

* * *

«وكتب إلى حاجب الوزير أبي القاسم بن عبادحين ورد
 خراسان وحمل إليه نزلاً» :

حملت إلى الخزانة عمرها الله تعالى ببقاء الحاجب * كما عمر حالي ببقاء
 صاحب * شيئاً من الطين الخراساني * والشراب الحسرواني * فليتفضل بقبوله

فان الطين تراب لا يعد * ومعار لا يرد * على أني لو حملت اليه حياتي *
وامديت اليه صومي وصلاتي * وكتبت في صحيفته حياتي وقاسمته عمري *
وجعلت له حظي من سعود دهري * ووضعت ذلك كله بين طبق من قلبي *
ومكبة من صدري ما كنت إلا بالعجز موسوماً * وعلى التفريط ملوماً * وانما
جلبت هذا اليسير الحقير النزر الصغير * من داره الصغرى * إلى داره
الكبرى * وحولته إلى يده اليمنى من يده اليسرى فان رأى الحاجب ان يتواضع
بنا * ويخفض جناحه لنا * فعل ان شاء الله تعالى .

* * *

« وكتب إلى أبي محمد العلوي »

كتابي عن سلامة أسأل الله تعالى للسيد مثلها * بل لا أرضى له ضعفها *
ووصل كتاب السيد المشحون لطفاً وبراً * المفيد فخراً وذخراً * الموجب الحمد
لله شكراً * الذي كل حرف منه فائدة بل كل نكتة بل كل فقرة بل كل
تصنيف وخطبة تشغل بتخليدها الاقلام * وبحفظها الافهام * ذكر السيد في
كتابه ان أهل اصفهان تراحموا عليه * واستعاروا كتابي اليه * وذكروا أني
اكتب من اخذ قلماً * ونثر كلاً * وهذا باب ما قرعته * وشأن ما اتبعته *
وصناعة ما درت حولها * فان كان الاقبال ساق إلى هذه الغريبة * والاتفاق
اعطاني هذه الرغبة * فما ارد نعمة الله تعالى إذا صارت إلي * ولا أدفع
في بحر السعادة إذا طلعت علي * ولا شك ان هذه ثمرة محبتي للعترة الطاهرة *
صلوات الله تعالى عليهم اجمعين * وقد كنت اذهب في رد العدوى إلى حكم
الخبر * في العدوى والهامة والصفر * والآن اتهمت من رواه * وكذبت من
حكاه * وتأولت أن السيد اعداني بكتابته * واعطاني بعض برائته * بجمع
اسمي مع اسمه * ويجعل فهمي جنينة لفهمه * الحاجة التي استبطأت فيها السيد

انما خرج كلامي مخرج الادلال وليس بعجب تسخب الشيعة على الرافضي
ولا تحكم الملحف على السخي سمعت كلام فلان وبمثل ذلك الكلام يتسلى
الاخرس علي بكمه * ويفرح الاصم بصممه * ومثله رزق الصمت المحبة
واعطى الانصاف الفضيلة ولكن ماذا اقول في معاييب قوم هم جيران في الدار *
واخوان في النجار * وبيضتي التي تفلقت عني * وغيضتي التي التفت حولي *
وبلدهم عشي الذي درجت فيه * وبيتي الذي خرجت منه * فمحاسنهم الي
منسوبة * ومساوئهم علي محسوبة : .

وهل انا الا من غزية ان غوت غويت وان ترشد غزية ارشد

وبودي لو وجدت هؤلاء القوم في درج الفضل ادنى مرقاه * ورأيت لهم في
مساعي ان سبق اقل مسعا * فجعلت الخطوة ميلا * وادعيت القليل جليلا *
ولكن ادعاء الفضل من غير معونة نقيصة * كما ان الاقرار بالنقص من حيث
الاعتذار فضيلة * والقتال عن العسكر المنهزم ضرب من المحال * وتعرض
لسهام الآجال * .

ولو ان قومي انطقني رماحهم نطقتم ولكن الرماح اجرت

على اني احمد الله تعالى اذ كان قاتل ذلك الكلام في الاصول كلابيا * وفي
الفروع ناصيبا * ولو كان لمنطقه حظ من الطراوة والطلاوة * او برز كلامه
في معرض من القبول والحلاوة * لصار شبكة من شبك الشبهة * وبابا من
ابواب الضلال والفتنة * وحباله من حبال الشيطان * ورقية من رقي البهتان *
ولفتح علينا بابا يفسد المذهب * ويورث التعب * والله تعالى الطف بالاسلام *
وارحم للأنام * من ان يعطى عدوه سلاحاً يغلب به اوليائه * وينصر به
اعداءه * ذكر السيد شهادة الوزير لي * واعتداده بي * وهذه نعمة طالما
تدبرعت جمالها * وتسربت سربالها * وجررت اذيالها * لا زال الفضل بقاء
ذلك السيد ثابت المناكب * مقبل الجوانب * عامر الطرق بالجاني والذاهب *

ولا سلب الله تعالى الزمان جماله بذكره * ولا العباد دنياهم بطول عمره *
 ولا زال جاهه مبأولاً * وبابه مأهولاً * وسيفه على اعداء الله تعالى مسلولاً *
 وعدوه بحده مقتولاً * ولا زال الشرق يفاخر به الغرب * والعجم تفاخر به
 العرب * بل لا زالت اصفهان تفاخر به البلاد * واهلها يباهون به العباد *

وهذا دعاء لو سكت كفيته فاني سألت الله فيه وقد فعل

ولم يبق الا ان يرزق عمرا يسع نعمته * ودعها يساوي قيمته * فان هذا الزمان
 يضيق عن نفسه * وان كان يتسع لشخصه * وكان الله تعالى لم يخلقه الا ليعلم
 خلقه كيف يحيي ديت الكرم * وكيف يرد ذاهب الهمم * وليلزم حجته
 من جحد احياء الموتى وقال بقدم الدهر والدنيا فان من قدر على ان يحيي ميت
 الخلق * قدر على ان يحيي ميت الخلق * وليكذب عبيد بن الابرص في قوله *
 وغائب الموت لا يؤوب * وليبد بن ربيعة في قوله :

ذهب الذين يعاش في اكناهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب
 فقد رأينا من يعيش في كنفه الاعداء * فكيف الاولياء * ويرد بجره المفحمون
 فكيف الشعراء .

* * *

« وكتب إلى قاضي القضاة » :

كتابي الى القاضي عن سلامة من الله تعالى بها بعد اليأس منها * وقربها بعد
 البعد عنها * واهلني لها اضعف ما كنت املاً * واسوأ ما كنت عملاً * واقبح
 ما كان بيني وبين الله تعالى اثرا حين انحلت عقدة الرجاء * ولحظني عين
 البلاء * وارضني طبيب الاطباء * وبعدت علي مسافة الشفاء * وتقاصرت

عن علاجي خطوة الدواء * وافلست من العافية كما ايسرت من الحمى *
 وقربت من الآخرة كما بعدت من الدنيا * ووقفت على جسر قدومه الوفاة *
 وخلفه الحياة * ونظرت الى المنية عن عين كرية نظرها * حديد بصرها *
 وعرفتني الايام ان ابن آدم ضعيف التركيب * منتقض الترتيب * دواؤه داؤه
 وبقاؤه فناؤه * واعضاؤه اعداؤه * كفاه موتا ان يبقى فيهرم * وحسبه داء
 ان يصح ويسقم * ثم اراد الله تعالى ان يرى عبده رحمته * بعدما اراه قدرته *
 فاقامه من صرعته * واستله من مخلب علته * وازال عنه يد المنية بعدما اشتبكت
 به * فله الحمد ربا عفوا غفورا * رحима شكورا * يأخذ حكمة وعدلا *
 ويعفو رحمة وفضلا * ويمرض عبده ليعتبر * ويعافيه ليشكر * ثم لا يغلق
 عنه باب الدعاء * ولا يحسم مادة الرجاء * ولا يديم مدة البلاء * وصلى الله
 تعالى على سيدنا محمد خاتم الانبياء * وعلى آله الطاهرين الازكياء * كان ورد
 على كتاب القاضي فاستظهرته حرفا حرفا * وقبلته الفا الفا * وضممته الى
 الصدر والنحر * وسجدت له حين رأته سجدة الشكر * وما اظن سبب تأخره
 كان غني شدة شوقي اليه * وفرط حرصي عليه * فان الحرص شوم * والحرص
 محروم * وهذه عادة الدهر معي وقديم صنعه بي فانه اذا علم اني احب امر
 اناطه بالعيوق * ووضعه موضع بيض الانوق * وابعدته وهو غير بعيد *
 وشدده وهو غير شديد * وانا بعد اليوم لا اقر للدهر بما اقترحه عليه *
 واطلبه لديه * فلعلي اخدعه عن طبعه * واختله عن سوء صنعه * ومن ذا
 يخادع الايام * او يغالط الحظوظ والاقسام * فلان قدولي قضاء كذا عرفه الله
 تعالى بركة ولايته * ولا جعل هذا الامر اقصى غايته * وجعل ولايته منفعة *
 وعزله فراغا ودعة * ولا جعل شغله سخرة * ولا فراغه عطلة آجر الله تعالى
 القاضي على المصيبة بفلان فلقد كنت بحياته قرير العين * شديد الركن *
 يؤنسني ان جمعت بيني وبينه بقعة * ويسرني ان تضم اسمي الى اسمه صنيعه *
 وكنت اعدده لي جناحا وسلاحا * وفي ظلمات الخطوب مصباحا وصباحا *

فغصبيه دهر طالما غصب فلم يطالب * وسلبنيه قدر طالما سلب فلم يعاتب *
ولولا كراحتي للاعتراض على القضايا * والتحكم على المنايا * لقلت أيموت
فلان الفلاني * ويعيش فلان الفلاني * خطب منك * وبدل اعور * وسبحان
من له في كل قضية الطاف نعرفها * فثبتها في فضله ونعمته * ونجهلها فنردها
الى عدله وحكمته * فانما كان نجما من نجوم الادب هوى * او غصنا من
غصون العلم ذوى * فانا لله وانا اليه راجعون ثم انا لله ورحم الله المتوفي رحمة
تغسل اوضاره * وتحط اوزاره * والحقه بالطيبين الطاهرين * من آل يس *
وفرق بينه وبين النواصب والضالين * الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم
يحسبون انهم يحسنون صنعا ولا زال القاضي يعزي عن احبابه * ولا يعزي
عنه ولا به * ولا كان عليه طريق للنوائب * ولا على جنبته معبر للمصائب *

* * *

« وكتب إلى قاضي سجستان حين نكبه اميرها : »

إذا ما الدهر جر على اناس كلاكله اناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

أما بعد ايد الله تعالى القاضي فانه لم يحسن إلى غيره من اساء إلى نفسه * ولم
ينصر اصدقاءه * من خذل حوباءه * وانما يحب المرء اخاه بما فضل عن
محبه لروحه التي له خيرها * وعليه ضيرها * وكازت محنة القاضي محنة شملت
الانام * ونخصت الكرام * ووجب على كل من اشم روائح العقل * وميز بين
النقصان والفضل * ان ينفطر لها الما * وان يبيكي عندها دماً * وخلص إلى

من ذلك ما اضحك مني الاعداء * وابكي لي الاصدقاء * حتى رحمني من كان
يحسبني وحتى عجب من جزعي من كان يصبرني * وحتى غضضت طرفاً طالما
رفعته * وقبضت بنائاً طالما بسطته * وحتى عزيت كما يعزى الثكلان * وسابت
كما يسلى اللهفان * وانا بعد ذلك استصغر فعل نفسي وهي جزءة هلعنة *
واستقل سعي عيني وهي سخينة دمة * وكان يجب علي مقتضى هذه الجملة
واساس هذه البنية ان احضر مجلس القاضي فاصابره نهاراً واساهره ليلاً
وتكون المحنة بيني وبينه احملها عنه ويحملها عني ولكني علمت ان والينا هذا
رجل ينظر إلى الذنب الخفي * ويتغابي عن العذر الجلي * وله اذنان واحدة
يسمع بها البلاغات وهي كاذبة * واخرى يصم بها عن المعاذير وهي صادقة *
وليس بينه وبين العفو نسب * ولا له إلى التثبت طريق ولا مذهب * ولوتعرضت
لسخطه * بعدما عرفته من شططه * لتحملت دونه الوزر في ظلمي * واكننت
مقدمته إلى ذمي * ومن قعد تحت الريبة ركبتة * ومن تعرض للظنة نالته *

ومن دعا الناس إلى ذمه ذموه بالحق وبالباطل

واقل ما كان ينبعث من حضوري ان يشب هذا الجواد وثبة يصون القاضي
عنها * ويبتذلني لها * فأكون قد ضررت نفسي ولم انفع غيري فاذا بالمحنة
قد تضاعفت على القاضي ضعفين * وتكررت عليه كرتين * يرى بولي من
أولياته * داء لا يقدر على دوائه * ويرى وقوداً لا يصل إلى اطفائه * ويتبين
في حالة متصلة بحاله ثلثة لا يمكن سدها * ومحنة لا يستوي له ردها * فلما
مثلت بين تخلفي آمناً * وحضوري خائفاً * عدلت بين طرفي الرؤية * ووزنت
بين مقداري المحنة * فرأيت ان اميل مع السلامة * واقنع من العمل بالنية *
واغتفر عهدة التفصيل لصحة الجملة * فغبت وكلي غير جسمي شاهد *
وتميزت وما انا الا مشاهد * وبعدت وقلبي قريب وباينت وقلبي سهيم واغضبت

على عين كلها قذى * وانطويت على صدر كله شجا * وانصرفت بقلب
ساقط راض واغمضت بجفن ضاحك باك وقلت :

فان تسجنوا القسرى لا تسجنوا اسمه ولا تسجنوا معروفه في القبائل
ولقد نسجت في ذم الظالم حللا لا يبلها الماء * ولا يجففها الهواء * ولا تغطي
عليها الظلماء * والمغبون من احتقب الاثم والغارم من غرم العرض والرابع من
محنته فانية * ومثوبته باقية * ولو انصف الظالم لكان يعزى * ولو انصف
المظلوم لكان ينيء * جعل الله تعالى هذه الحادثة براء عمقاء ليس لها مدد *
ولا ليومها غد * وجعل العمل بها اخر عهد القاضي بالعسر * وخاتمة لقائه
لرب الدهر * ولا حرمه فيما نزل به مثوبة الصابرين * ولا اخلاه فيما بعده
من مزيد الشاكرين * برحمته

* * *

« وكتب إلى مسكويه وقد تزوجت امه » :

العاقل اعزك الله تعالى لا يرى المحنة اذا تحطت دينه محنة * ولا يرى النعمة
اذا تعلقت بذنب خطيئة نعمه * ولا يريد الشرف الا بالتقوى * ولا يرى الضعة
الا ما وضع من رتبته في الدار الاخرى * وبلغني ما اختارته الوالدة صانها الله
تعالى فحمدت الله تعالى الذي رزقك والدا لا يلزمك حق ابوته * ووعدك اخا
لا يملكك حمل اخوته * وقد كنت اسأل الله تعالى ان يبارك لك في حياتها *
والآن اسأله ان يعجل لك بوفاتها * فان القبر اكرم صهر * وان الموت اسر
ستر * ولا تذهب نفسك حشرات على ما سبقك عليك الدهر وغلبك عليه
الرزق فلا حمية فيما احل الله * ولا مضايقة من حيث وسع الله * وللانسان

أبَاءَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَانَ الْعَقُوقُ مِنْ جِهَتِهَا * وَوَقَعَ الْجَفَاءُ مِنْ جَنْبِهَا * فَانْكَ
بِرَّهَا صَغِيرًا * وَبَلَغْتَ مَرَادَهَا كَبِيرًا * فَاجْتَمَعَ لَكَ بَرٌّ * وَوَقَعَ لَكَ عَلَى اللَّهِ
اجْتِرَانٌ *

* * *

« وَكُتِبَ إِلَيَّ صَدِيقٌ لَهُ عَلَى دِيْوَانِ الْخَرَاجِ » :

الْأَيَّامُ أَيْدِكَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنِي وَبَيْنَكَ تَرْجُمَةٌ لِي عَنْ صِحَّةٍ وَفَائِكَ * وَشُهُودٌ
عِنْدِي عَلَى صَدَقِ اخْتَائِكَ * وَأَقْلَ حَقُوقِكَ عَلَى يَلْزَمِي أَنْ لَا أَشْغَلَ لِسَانِي بِغَيْرِ
شُكْرِكَ * وَلَا قَلْبِي إِلَّا بِذِكْرِكَ * وَلَوْ تَجَاوَزُوا طَبَقَاتِ أَهْلِ مَوَدَّتِكَ فِي مِيدَانِ
الْمَقَّةِ * وَتَنَازَعُوا خِصْلَ الْإِنْسِ وَالثَّقَةِ * رَجَوْتَ أَنْ أَكُونَ سَابِقًا لَيْسَ لَهُ سَابِقُ *
وَلَا يَذْكُرُ مَعَهُ لِاحِقُ * وَأَنْ تَجْلِيَ الْغَايَةَ مِنِّي عَنْ حُبِّهِ مَرْبَاةً بِالْوَفَاءِ * وَعَنْ شُكْرِ
مَرْضَعٍ بِالْدُعَاءِ * وَقَدْ بَلَغَنِي خَبَرُ سَعْيِكَ لِفُلَانٍ فِي الْعَمَلِ الَّذِي هُوَ دُونَ قُدْرِهِ *
وَأَنْ كَانَ فَوْقَ أَعْمَالِ عَصْرِهِ * فَشُكْرَتَكَ عَنْهُ وَأَنْ كَانَ شُكْرَكَ أَوْفَى وَأَمْلًا *
وَبِإِفَائِكَ حَقِّكَ أَحَقُّ وَأَوْلَى * وَارْدَتْ أَنْ كُلَّ شُكْرِكَ إِلَيْهِ * وَلَا أَتَطْفُلُ فِيهِ
عَلَيْهِ * فَكُرِهْتُ أَنْ تَطْوِي صَحِيفَةَ الشُّكْرِ وَلَمْ يَجْرَ لِي فِيهَا اسْمٌ * وَأَنْ تُخْتَمَ
جَرِيدَةُ الْمَشَارَكَةِ وَلَمْ يَكُنْ لِي فِيهَا قِسْمٌ * فَذَكَرْتَهُ لَكَ وَأَنْتَ لَهُ أَذْكَرُ * وَشُكْرَتَكَ
عَنْهُ وَهُوَ لَكَ مِنِّي أَشْكَرُ * عَلَى أَنِّي أَرْغَبُ بِذَلِكَ الْحَرِّ عَنْ التَّلَطُّخِ بِأَوْضَارِ
الْأَعْمَالِ * فَأَنَّهُ مَزَالُ أَقْدَامِ الرِّجَالِ * وَضُنَّا بِهِ عَنْ تَخَالِيطِ الْآيَامِ * وَصِيَانَةِ
لَمَحْلِهِ عَنْ مَدَانِسَةِ الْإِوْهَامِ * وَنِعْمَتِكَ عَلَيْهِ مُقْتَسَمَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَهُ * بَلْ أَكْثَرُهَا لِي
دُونَهُ * فَمَا ذُنُوكَ بِعَارِفَةٍ وَاحِدَةٍ تَكْسِبُكَ شُكْرَيْنِ * وَتَسْتَعْبِدُ لَكَ حَرَيْنِ * وَجَدِيرِ
بِمَنْ هَمَلَتْ عَلَيْهِ سَحَابُ عَنَائِكَ * وَرَفَرَتْ حَوْلَهُ أَجْنَحَةُ رِعَايَتِكَ * أَنْ يَنْبُو

عنه سيف الزمان مفلولا ويرجع عن ساحته عسكر الزمان مهزوما والله عز وجل
 أسأل ان لا يحرمك نعمة يمد اليك بها عنق ودود * ومنة تفقأ عنك عين حسود *
 اخبرت انك ايدك الله تحدث نفسك بزيارتي وانه ليسرني ان اخطر ببالك *
 ويسوءني ان اصير زيادة في اشغالك * ولا تجشم نفسك فان خيالك في كل ليلة
 نائب عندي عنك * وان لم يكن فيه ولا في الدنيا كلها عوض لي منك *

* * *

« وكتب إلى أبي محمد العلوي » :

كتابي عن حضرة الوزير وانا راتع في فضله * مستنذر من الايام بظله *
 متعرف نعمة الله تعالى علي به وقد كنت اشكو الى السيد ما منيت به من ضعف
 احتمالي لاعباء من الوزير علي * وسوء محاورتي لاحسانه الي * وكنت اخشى
 ان اكون سببا لحرمانه غيري من نزاع الآمال اليه * ووفود الشكر عليه *
 فيقدر ان كلا منهم يكفر النعمة كفري * ويسر وجهه الصنيعة سري *
 والكفر مخبئة لنفس المتعم * فقصدته هذه الكرة لاقيم عذري * واقزم ببعض
 شكري * واحط عن رقبتي تلك الاعباء التي قمت تحتها طليحا * لا بل قعدت
 نحوها طريقا * فما هو الا ان وردت حضرته حتى اثال علي من عطاياه الغزار *
 ومن نعمه الغرائب والابكار * ما صير امسى ابغض يومي الي * ويومي اكرمهما
 علي * حتى لم تبق زاوية من زوايا الافضال الا اجال لي منها قدحا واجري
 باسمي عليها سهما ولولا ان بعض الشاكرين يسلف الشكر قبل ان يستحق
 عليه * وينتحل البر قبل ان ان يسدى اليه * ويجعل ذلك استجلاب رزق *
 وايجاب حق * واقامة سوق * لكنت لا اقتصر على هذا المقدار شكرا * ولا

اضعافه عشرا * ولكنت لا ارجع عن هذا الميدان الواسع بمقدار هذا الطلق * ولا ارمي هذا الغرض البعيد بمثل هذا الرشق * بل كنت لا انصرف وفي الجفير نبل * ولا انقطع وفي القريحة فضل * ولا ارضى من نفسي الا بان اصبح محسورا * وامسي مبهورا :

فقد وجدت مكان القول ذا سعة فان وجدت لسانا قاثلا فقل

وما ظن السيد برجل ليس لعطائه اسم غير الجزيل * ولا لفعاله نعت الا الجميل
اول لقائه بشر * وآخره بر * ومقدمة فعاله الى زواره بشرى * وساقتها
نعمى * اكثر ما يكون نوالا * اشد ما يكون السائل سؤالا * واكثر ما كان
الطافا * اكثر ما كان الزائر الخافا * واسهل ما كان حجابا * واطلق ما كان
وجها ازحم ما كان شغلا واضيق ما كان وقتا واخصب ما كان نوالا * اجذب
ما كان مالا * واعدل ما كان في القضية * واحكم ما كان بالسوية * اخص
ما كان المحكوم عليه وسيلة * وانفذ ما كان حيلة * واوسع ما كان نطاقا *
اضيق ما كان الخطب خناقا * واسجع ما كان حلما * اعظم ما كان الجاني
جرما * واجرا ما كان مقادما * اهور ما كانت الحروب فحما * والعساكر
عظما * واضحك ما كان سنا * اشد ما كان قلبه جزنا * واسمح ما كان
بماله * لمن استفاد بحاله * لا يصارف في عطائه * ولا يحاسب على آلائه * قد
تكافأت اقسام فضله * وتناظرت محاسن قوله وفعله * فلم يشغله السخاء عن
الشجاعة * ولا صرفه الحلم عن السياسة * ولا ثنى عنانه علم الحديث والاثر *
عن علم الكلام والنظر * ولا قدح في هيئته * ما اشربته القلوب من محبته *
ولا بنحس الرئاسة سحقها * من حيث وفي العشرة حظها * فهو القوي من غير
عنف * واللين من غير ضعف * والشجاع الا انه سخي * والحافظ الا انه
ذكي * والغوي الا انه نحوي * والسلطان الا انه تقى * والسائس الا انه

أريحي * يسكت حلما لا حصرا * وينطق علما لا هذرا * ويحلم كرما لا غفلة
ويمنع نظرا لا تقيرا * ويقدم شجاعة لا خرقا * ويتوقف حزما لا جبنا كل حسنة
من حسناته واقفة على حد ما دونه تفریط ولا وراءه افراط يخرج مكارمه في
اقصد الافعال * ويزن افعاله في كفة الاعتدال *

لا عيب فيه يعاب الا انني امسى عليه من المنون شفيقا

بل عيبه انه في زمان لا يسعه * وفي عالم لا يستحقه * وبين قوم يفعل ولا
يقولون * ويحسن ولا يستحسنون * ويبصر ولا يستبصرون * ويروى ولا
يروون * ومنع واجب الاستحسان * قطع لمواد الاحسان * وتضييع حقوق
النعمة * داعية من دواعي النعمة * واقل ما عنده ان عطاياه قد صيرت المفحم
شاعرا رجعت العفيف سائلا كالمنهل يقصر رشائه * ويعذب مأؤه * فيشرب
منه العطشان نهلا * والريان عللا * وكالطعام يحسن في العين ويطيب في البطن
ويخف على القلب فيأكله الجائع تغذيا والشبعان تفكها والحمد لله الذي اراني
بهذه الحضرة الاغنياء يعملون عمل الفقراء * والملوك يجترفون حرفة الشعراء
وما رأيت حضرة اكثر منها داخلا راجيا * ولا خارجا راضيا ولا اجمع فيها
بين وجهين مختلفين من بلدين متباعدين قد فرق بينهما الاصل والنسب * وجمع
بينهما القصد والطلب * فوردا وهما اعرى من الحية وصدرا وهما اكسى
من الكعبة * ودخلا وهما اخلى من الراحة وخرجا وهما اغنى من الشمسة *
حتى لقد صارت مجمع الرجال ومثابة العطاء * وملقى الرجال وموسم الشعراء *
وقرارة ينصب اليها العلم والادب * وقبلة يهوي اليها العجم والعرب * وما
فيهم الا من يود لو اصبحت جوارحه السنة تشكر * وقاوبا تحفظ وتذكر *
هذا وفي شواهد احواله * ما يغني عن استماع اقواله * وشاهد العيان * اقوى
من شاهد البيان * ودليل البصر * اوضح من دليل الخبر * وناوس كسرى

أملاح من شهر زهير بن أبي سلمى * ولو جحدوا كذبتهم العواقب * ولو سكتوا
 اثنت عليه الحقايب * جميع طبقات اهل الفضل رجلا ن اما اليه طاعن واما
 بخضرتة قاطن * فالطاعن يحسد القاطن * والقاطن يستبطن الطاعن * فقد
 نفضت اليه البلاد رجالها * وابرزت له جمالها * والقت له الارض افلاذ
 كبدها * وحسبك بالغلاء جاليا * وبالا حسان جاذبا * ومن صادف ثمرة الغراب
 لم يفارقها ابدا * ومن وجد الاحسان قيذا تقيدا * ولقد اصلحني هذا السيد بل
 افسدني * وقربني الى الناس بل ابعدني * لاني بعده لا استام الا العظيم * ولا
 ارعى الا الجميم * ولا استكرم الكريم * ولا اوم اللئيم * لان الناس كلهم
 في عيني بعده لئام * فكيف اعيب ما اجتمع عليه الانام * ومن احمد مراده *
 وصادف من الماء والكأ مراده * لم يشرب الا من عفوه * ولم ينل الا من
 صفوه * ولم يلق دلوه الا في جمه * ولم يرتع الا بين غدير وروضه * فها أنا
 اصبح وامسي بين السرور والجلد * واتقلب بين العل والنهل * واردد الطرف
 بين الخيل والحول * قد استوفيت على الايام حواصلي وبقاياي * وضمت على
 مطالبني منها يمني ويسراي * واصبح اعدائي وهم بالحاجة الي اوليائي * كما
 اصبح اصدقائي وهم بالחסد لي اعدائي * فلا طريق الي للتقر * ولا منفذ في
 لسهام الدهر * والى الله تعالى المعذرة من لساني العيي * وخاطري البكي * وقد
 أسأت مجاورة هذه النعمة بكفرها * وسودت وجه هذه العارفة بقلة شكرها *
 وسوء الشكر * أول منازل الكفر * وقلة التهدي للنشر والإذاعة * أول
 طبقات الجحد والإضاعة * وقد رأيت بهذه الحضرة أفواماً كنت شاهدتهم
 على باب سيف الدولة ومنهل الصبا عذب * وعود الشباب رطب * وذكرت
 بهم مآرب هنالك وأياماً سلبتها سلباً * ونزعت من يدي غصباً * ودهراً
 كأني كنت أقطعه وثباً * فلما رأيتهم قد هاجروا إلى هذه الحضرة * وجعلوها
 من بين الدنيا هجرة * علمت أن الكرم يتوازث بين الكرام وإنه انحدر إلى

أصفهان من الشام * وإن العالم والأدب يتيمان ليس عليهما غيره وصي *
وأن المروءة والسيادة إيمان ما لهما سواه ولي * وإن المغرب لسيف الدولة
رحمه الله * والمشرق لحضرة الوزير أبيه الله *

أرض مصردة وأرض تشجم منها التي رزقت وأخرى تحرم
وإذا نظرت إلى البلاد رأيتها تثرى كما تثرى الرجال وتعدم

فأما آل أبي صالب فانهم ينزلون منه على سيف التشيع وسنانه * وعلى يد
الحق ولسانه * وما ضرهم مع حياته أن لا يعيش لهم الأشر * وما ضرهم
مع عطائه أن لا ترد عليهم فذك وخير * غيره منه على الشرف أن لا يصاب
عن الابتذال رحله * وأن لا يحفظ فيه وله أهله * ذهاباً بنفسه عن إتباع
الأنام * وتقليد الأيام * في إهانة الكرام * وإكرام اللئام :

إن الكريمة ينصر الكرم إبنها ولابن اللثيمة للثام نصور

فلا جرم إن الأيام تنطفل عليه من السعود بما لم يقترحه عليها * وتخرج له
من خبايا الصنع الجميل ما لم يتدبره لديها * لما رأته يخرج زكاة نعم الله تعالى
عليه * ويستظهر باحراز ودائع الله تعالى لديه * فعنده في كل يوم نعمة
تصغر النعم * وتتعب في إداء شكرها اليد والفم :

وما بلغت آمالنا منه رتبة نراها رضا في قدره المتجدد

وقد علم السيد إنه ليس من فرق الاسلام فرقة إلا وفد هبت لأهلها رويحة
ودالت لها دولة كما اتفق المختار بن أبي عبيد للكيسانية * ويزيد بن الوليد
للغيلانية * وإبراهيم بن عبيد الله للزيدية والمأمون لسائر الشيعة والمعتصم
والواثق للمعتزلة والمؤكل للنواصب والحشوية وما بلغنا أن أحداً من أصحاب

تلك النول * زاد في عدد تلك النحل * ولقد قتل المختار أهل الكوفة وبعث
كتبه ورسله إلى أهل البصرة فما قدر أن يزيد جمجمة واحدة في عدد جماجم
الشيعة لقد رفع المحتشم سوطاً ووضع سيفه وصاب * وصادر وسلب *
ووعده وأوعده فبنا عنه الدهر بواجته * وقامت العوائق عليه في وجهه بغيته
وهذا الرجل لم يزل يستدعي بتوبله وفعله * ويستعين على عمارة المذهب بجاهه
وماله * ويجرد لسانه والسيف مغمده * ويغمد لسانه والسيف مجرد * حتى
إذا علم الله صدق نيته * ومضاء عزيمته * ورآه لا يريد إلا رضاه * ولا
يسلك إلا طريق هداه * جمع عليه القلوب المتعادية * وألف له الأهواء
المتباينة * فدخل الجميع دين الله أفواجا * وتقاطروا على استجابة الدعوة
فرادى وأزواجا * فلم يبق في نواحي سلطانه أحد من النواصب إلا
وقد غاصت عليه الرحمة وخلصت له الدعوة فهو مبتدئ بالدرس قد نبغ *
أو متوجه في العلم قد بلغ * وأن أحدهم ليدخل في الحق تحسناً * فيجد
بركة الدين حتى يعتقده تديناً * والناس بالزمان والزمان بالسلطان * وإذا
أراد الله أمراً كان * وما أقرب البعيد إذا صادف أسباباً * ووافق دعاء
مستجاباً * وما أسهل الصعب إذا حضره التسليد * وأكتفتها العصمة والتأييد
وأن رجلاً يخيل طباع الزمان * وينقض بنية البلدان * ويفطم الناس عن
عادة المنشأ وألف الأخوان والآبا ويصير حداً بين النار والجنة * وبرزخاً بين
البدعة والسنة * لعظيم حجم المهمة * واسع ذرع البسطة بعيد مضرب
العزم والنية ثابت مناكب الحول والقوة سالك في طريقة لم يسلكها من قبله ولن
يسلكها من بعده وشتان بين من يصطاد وحش الفلا * وبين من يصطاد قلوب
الورى * وما أبعد ما بين من يبني البنيان * ومن يبني المقالات والأديان *
وأين من يعمر الرساتيق والأمصار * ممن يعمر الجنة ويخرب النار * لا بل
أين من يفترع عذارى الجوارى * ممن يفترع عذارى المعالي ولكن كل

قوم على مقاديرهم يدركون * وكل حزب بما لديهم فرحون * هذه أيد الله السيد شهادة ما أقمته حتى أعددت لتعديلي فيها مزيين وهما السؤدد والكرم ونصبت لتبولها مني قاضين وهما النعم والنقم * وكتبت بها سجلاً حررت به يد الصدق * وطبعته بخاتم الحق * وحضرته من توفيق الله تعالى إذن تسمع وعين ترى فمن رضي بقولي فأنما مدح نفسه * وزكى حسه وأشرف من الحق من قبله * وأحسن من الحسن من فعله * ومن غضب فلا أرضاه الله * فأنما سخط من الحق ما يرضاه الله وباب الاحسان مفتوح فمن شاء دخله * وحمى الجميل مباح فمن انتهى فعله * وليس على المكارم حجاب * ولا يغلق دونها باب :

إذا اعجبته خصال امرئ فكفه تكن مثل ما يعجبك
فليس على المجد من حاجب إذا جثته زائراً يحجبك

* * *

« وكتب إلى تلميذ له وقد استعار نسخة رسائله ينسخها فتمادي »:

أنت مشغول بنسخ ما استعرت من الرسائل * ولا يسع القلب الواحد لكل هذه الشواغل * وغيرك من أصحابنا حريص على نسخها ولو كان القلم يمينه والقرطاس جبينه * والثلث دنياه ودينه * فاعرهم أعزك الله تعالى فإلى أن تتفرغ لها * قد فرغ غيرك منها * وحصل اليوم شكر المعير * وغدا فائدة المستعير فإذا أنت قد أفدت واستفدت * وابدأت في الربح واعدت * واجعل تعجيل ردها إلينا * كفارة لما جنيته من حبسها علينا *

« وكتب إلى خوارزم شاه » :

بعلمنا كان الأمير وسمني من تقريبه لي * وتحفيه بي * سمة طار في الناس
ذكرها * وفاح بين العالم نشرها * وتوجهت إلى المطالب * وقصدني
الراغب والراهب * وصرت مثابة من مثابات الوسائل * وصار بابي سوقاً
من أسواق الحاجات والمسائل * نزع بيننا الشيطان * ودب إلينا الخلدان *
وكسدت عند الأمير تلك السوق التي لم أشكره في نفاقها * ولم أعاتبه على
كسادها * والأمير بكرمه يقيم لي في الظاهر رسم الانعام * ويعظم قدر
توفره على نصبي من الاعظام * والناس يحسبون ان حظي في قلبه * لا حظي
من ظاهر قربه * وإن محلي من ضميره في المحبة * كفاء محلي من ظاهره في
الرتبة * فلست أعدم كل يوم مستشفعاً بي إليه * ولا يعلم هو أنني عليه *
ومستعيناً بجاهي عنده * ولا يشعر أنني أقوي أسباب الخيبة له * فان رددتهم
ظنوا بي الظنون * ولا موني وهم لا يعلمون * وإن أجبتههم * ظلمت الأمير
وظلمتهم * أما ظلمي للأمير فتعريضه لرد الرسائل * وإقامته مقام المانع
الباخل * وأما ظلمي لهم فبيعي المغشوش منهم * وتشرفي بما ليس عندي
عليهم * وإني لا بغض الظلم من نوع فكيف من نوعين * وأكره أن أكون
مسيئاً إلى واحد فكيف إلى اثنين * وحاجتي إلى الأمير أن ينزلي من لقائه
وبشره * منزلي من مكنون صدره * وأن يسمني مع ابعادي عنه * كما
يسمني بتقريبي منه * وأن يجعل هذه الأخرى سبيلاً لسلامتي * كما جعل
تلك الأولى سبباً لغنيمي * فاني شاكره على هذا الجفاء * كما شكرته على
ذلك البر والاحتفاء * فان كل اللسان * أو تعذر على خاطري الاحسان *
سرق من كلام الأمير ثم رددته عليه فأكون قد بعث منه بزه واهدبت إليه
ملكه وأصير عيالا عليه في مقاله * كما طالما كنت عيالا عليه في ماله *

« وكتب إلى كاتب صاحب الجيش جوابه عن رسالة مدحه
وعاتبه فيها » :

فهمت كتابك الذي هو أشرف كتاب إلي * قد رصع بأظرف عتاب علي
وما كان أحوجك إلي أن تجعل كلامك بمائه * وتحلي ظرفك الناصع ببهائه *
فلا تشوبه بالعتاب * ولا تكدره بمر الخطاب * فتكون قد أدبتنا بصمتك *
وعاقبتنا بعفوك * فكفناك سلاحاً لك قراع الحلم دونك فلربما بلغ الإحسان من
العقوبة ما لا تبلغه الإساءة * ودخلت المسرة مداخل تنبو عنها المساءة على أنني
ما أجهل منفعة العتاب * ولا أنكر مرافقة بين الأحباب * ولا أشك في إنه
يطري خاق الود * ويخلو غبرة العهد * ويداوي ادواء القلوب * ويترجم
عن خفيات الغيوب * وإنه الأنموذج بين الأولياء والأعداء * والجسر بين
المدح والهجاء * والمصلح للعشرة الفاسدة * والمقرب بين الديار المتباعدة *
ولهذا اشتقت لنظرة العتيبي وهي الرجوع إلى الرضا ولكن إذا كان مصدره عن
شكاية * ومنبعه عن جناية * ووقع عن فترة في الود عرضت * أو ثلثة
في الانصاف حدثت * جمع الشمل * وجدد الوصل * وصقل ما صدىء
من العشرة * وأزال ما وقع من الفترة * وإذا كان مصدره عن تجرم وتجن
كان مفتاحاً لباب العريضة * ومكافئاً لصفو المودة * وترجماناً عن لسان
القطيعة وإنما هو دواء إذا لم يصادف داء استحال داء * وإذا صادفه كان
شفاء * وقد كانت هذه الواحدة منك فلتة وقاك الله شرها فمن عاد إلى مثلها
قتلناه بسم القطيعة وهو أشد الختوف * وضربناه بسيف الهجر وهو أمضى
السيوف * ولولا اني لا أستخير مقابلتك * ولا أرمي معارضتك * لزعمت

إنك الظالم المتظلم * والمجرم المتجرم * وإنك لما عرفت جرمك * وتذكرت
 ظلمك * وعلمت ما وجب عليك من العتاب * الذي هو أبلغ العقاب *
 ورأيت أنك قد ارتكبت من القطيعة جريرة قد أحلت عرضك الأمانة الواقعة
 فيك * واحمدت جانبك للظنون المظنونة بك * أخذت أخاك قبل أن يأخذك
 وشكوته قبل أن يشكوك * وبرزت هارباً في زي طالب * وخرجت جانباً
 في معرض عاتب * وتكلمت بجرأة المنصف وتحتها جور الظالم * وأدليت
 بحجة البريء وأنت عين الجارم * حتى لقد كدت أن تشككني في نفسي
 وتغلبني على علمي * وتجعل لوهمي سلطاناً على فهمي * لولا يقيني بباطلك
 ومعرفتي أن الإساءة في شقك والله تعالى المستعان على صديق نحن منه بين اثنتين
 إذا صار منا أذاقنا مرارة صده * وسامنا بشاعة فقدته * وصغرت بيننا وبينه
 وطاب اللقاء * واقفرت بيننا وبينه معاهد الاخاء * ودبت لنا وله عقارب
 القطيعة * وهبت علينا وعليه رياح الجفوة الفجيعة * وإذا صالحنا نسب إلينا
 المظالم * وتجرم علينا الجرائم * وعلى ذلك فصلحه أحب إلينا من حربه *
 وبعده أثقل علينا من قربه :

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على أن قرب الدار خير من البعد

ذكرت إنك مترجح مني بين وصل وإعراض * ومرتبك من عشرتي بين
 انبساط وانقباض * ولقد صدقت في الأولى * ولا أقول كذبت في الأخرى
 سقى الله أيامنا التي عاشرتنا فيها عشرة قصرت عن تناولها يد الدهر * وطرفت
 عن ملاحظتها عين القطيعة والهجر * وجلت عن أن تثلمها أنياب السعاة *
 ونبت عن أن تمضي فيها معاول الوشاة حتى لقد دخلنا من الأنس مداخل لا
 تطردها الحشمة * وفتلنا من الوصل مرائر البين والغيبة * حتى إذا أمنت
 عليك الدهر الذي لا يؤمن * واثمنت عليك العيش الذي لا يؤتمن * خالفتني

إلى الود فهدمت منه ما بنيته * وسبقتني إلى الوصل فعوجت من أطرافه ما
سويته * وابرزت مصون الوفاء للغدر * ووضعت ربة الأخوة في يد الدهر
وسلطت على ما زرعته يد الوفاء * حاصداً من الجفاء * وذكرت
بعد هذا كله اني أستاذك في الهجران والصد * وتلميذك في الوفاء وحسن
العهد * وإنك عرفني ثم أنكرتني * واستلنت مسي ثم استوعرتني * وهذه
دعوى قد سلمت أولها * وانكرت آخرها * وأنا فيما عرفته لك * ولست
فيما أنكرته عليك * فان العمر أقصر مدة * والزمان أصغر مسافة * من
أن أخترتها معك بالعتب والعتاب * واستهلك نفسي منهما ومنك من تكليف
الابتداء واقتضاء الجواب * فان المودة إذا كانت لا تتبع إلا بالاستبطاء *
ولا يعيش أمرها إلا بالعتب والاشتكاء * كانت كالعلق النفيس يحتوي غصاً
ويؤخذ سلباً * وكان المطالب فيها كالمصادر على قلبه * وكالمستنزل كرها
عن حبه * وأنا بعد هذا أبرأ إليك من عهدة خاطري العليل * ولما
الكليل * وكيف ينبعثان لي في عتابك وهما مقصران في مدحك * وكيف
يسرعان في حربك وهما بطيثان في صلحك * هذا وطريق مدحك نهج قصد
وطريق عتابك وعث وعمر وجانب صلحك مورك مشرق * وجانب حربك
مهول غلق * واني لأخذ القلم لأكتب به عتابك فيتشظى علي * ويسقط
من يدي * وكيف تساعدني بناني * على ما يخالفني فيه جناني * وكيف
يطيعني بعضي فيما يعصيني فيه كلي ولو كنت أحمد بن يوسف في البلاغة *
وعبد الحميد بن يحيى في اتساع الكتابة * وجعفر بن يحيى في الاختصار *
وأبا الربيع في التوسع والاكتثار * وأبا العيناء في العارضة وأبا العتاهية في
البدئية وابن المعتز في التشبيهات * وأبا نواس في الحمريات والطرديات *
والعتابي في المعاتبات * والنابعة في الاعتذارات * وصرع الغواني في
الاستعارات * والفرزدق في الفخريات * وجريراً في المهاجاة وغلبت في

المخاطبة صعصعة بن صوحان * وقمعت في الفصاحة خالد بن صفوان *
ونظمت ببيتمة ابن المقفع مرتجلاً واتيبت بعجوز آل رقية مبتدعاً وبعذراء آل
خارجة مقتضياً وضرب بي المثل في المقامات لا بسحبان وائل * وبوهي به في
العي عندي لا بباقل * وحفظت حفظ الشعبي وحاضرت محاضرة ابن القرية
النمري وابدعت ابداع أبي تمام الطائي ووعظت عظة الحسن البصري وجادلت
جدل النظام في الكلام وصنفت تصنيف الجاحظ في الجدل والمزل * وارببت
على اياس بن معاوية في الذنن والعتل * وبهرجت الأصمعي رواية * وزينت
أبا عبيدة حفظاً ودراية * وعلمت أمير المؤمنين عليه السلام الحلال والحرام
ولقنت شريحاً القضاء والأحكام * وصرت الذي زاده الله بسطة في العلم
والجسم * ووفقت توفيق سليمان في الحكم * وأخذ عني بطلاميوس علم
الهيئة وارسطاطاليس علم الفلسفة وبلنياس باب الطلسم والحيلة وقرأ علي سيويه
نحو البصريين * والفراء نحو الكوفيين * واختلقت إلى الهند في تعليم الحساب
ودرس علي أبو عثمان المازني علم التصريف والاعراب * واقتبس مني
الخليل عروض الشعر * وكان هاروت وماروت تلميذي في السحر * وضرب
على قالب خطي خط ابن مقلة وتوارث الكتابة أهل بيتي كما توارثها بنو ثوبة
وأملت على ابن الكلبي شجرة النسب * وعلى أبي عمرو بن العلاء أيام العرب
وأوتيت الحكمة وفصل الخطاب * وكنت الذي عنده علم من الكتاب *
وعددت في الراسخين في العلم عدا * وقال لي موسى هل اتبعك على أن
تعلمني مما علمت رشداً * ثم حملت بعد هذا كله على أن يمضي بي في عتاب
الاخوان لساني * أو يجري فيه بناني * لقصر عن ذلك عناني * ولارتبك
فيه عقلي وبياني * ولعيبت والحق معي * وانقطعت والحجة لي * وما
أعتذر إلى أحد من عييين بليت بهما * وخلقين ركبت منهما * جبني عن
الإصدقاء * وجرأتي على الأعداء * رأيتك أيدك الله تعالى قد تواضعت لي

فيما تجلببته من الفضل الذي لوَّصَح لي لكنت فيه جنيتك * ولسلكت فيه طريقك * وانت بحمد الله تحسن أن تأخذ ما فوقك مما تحتك * وأن تمدح نفسك بما تمدح به غيرك * وأن تتواضع وانت ترتفع * من حيث يرتفع غيرك وهو يتضع * وأن يخصك في المراتب الكبير * من خص غيرك الكبير ولست أقول انك صادق فادعي لنفسك فضلاً * ولا انك كاذب فأناقض لك قولاً * ولكني أضع بيننا قول الأول :

وعين الرضى عن كل عيب كلياة ولكن عين السخط تبدي المعاييا

ولولا أني أكره أن ننسب جميعاً إلى التقارض في الثناء * وأن نقعد تحت قولهم من ضيق الصدر سرعة الجزاء * لوصفتك ببعض ما فيك من المحاسن التي أنت فيها عريق صريح وغيرك فيها دخيل دعي وانت لها نسيب قريب وغيرك عنها أجنبي بعيد وبعد فانا والله معتمد للأيام بنصبي منك * متحمل لها شكر العارفة فيك * منافس في نعم الله تعالى علي بك لا أفنح عيني علي أحب منك إلي * ولا أضم جناحي علي أعز منك علي * ولا أقرأ لك كتاباً إلا يهون علي ما قبله * ويذهلني فيما بعده *



« وكتب إلى رئيس دامغان » :

أنا أغار لما بيني وبينك أيادك الله تعالى من ذل التماق * ومن عشق التشوق
واقشر لك عصا العتاب * واتسرع لك بخشونة الجواب * إذ كانت الحال
بيننا مبنية على أساس الصدق * ومصونة بحمد الله تعالى عن شوائب المذق *
وليس بعد العتاب إلا التقدم إلى الصلة أو الزكوص إلى القطيعة وإنما هو جسر
عن يمينه العتبي والرجعي * وعن يساره النوى والشكوى * فلا تفتح من
التجوز باباً أغلقته يد الوفاء * ولا تبح من الحفاظ جانباً حمته قضية الود والائفاء
ولا يحتج في الباطل بحجج هي أضعف من قلب العاشق * وأوهى من دين
المنافق * وأرق من أمانة الفاسق * وأعلم أن كلام من ينصر الباطل لا يولد
إلا مخدجاً * ولسانه لا يكون إلا ملجأ * واقصر ما يكون بنانه * إذا
طال لسانه * وانزر ما تجده عقلاً * اغزر ما تجده قولاً * فان الباطل يصغر
من حيث يكبر * ويقل من حيث يكثر * وليس طلاقة اللسان بغير الحق
إلا أذى للسامع وحجة على القائل * وسلاحاً لكل جاهل * وجناية على كل
عاقل * وكل قليل سد ثلثة الحاجة فهو كثير * وكل كثير وقع دون
الكفاية فهو قليل يسير * وشبكة المحال أوهى من أن يتشبث بها رجل محق *
وكيد الباطل أضعف من أن ينفذ في حق * وحسب الكاذب بفعله شتماً *
وبقبله خصماً * وبالسكوت عنه ذماً * وقد خرقت فيك حجاب المجاملة
ولبست لك ثوب المكاشفة فان أدباك ذلك فمؤدب الحر العاقل إخوانه *
ومراته زمانه * وسوط الفرس الجواد عنانه * وإن أبيت فما أنا باخع
نفسي على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً .

«وكتب إلى خوارزم شاد» :

كتبت إلى صاحبي بتلك الناحية يعرفني انتشار ما لي بها * وتمرد شركائي فيها * وما كنت أظن بقعة يجوز فيها للامير ختم * أو ينفذ له فيها حكم *
تعلو بها للباطل راية * أو يكون بها للظلم على العدل ولاية * ومن العجائب أن اكتسب الدرهم في بقاع لم أنبت فيها * ولم أخرج منها * ثم يؤخذ مني في عشي الذي فيه درجت * وبيتي الذي منه خرجت * وأن أحمله فأقطع به لحج البحار * وفيا في القفار * ويسقط مني على باب الدار * هذا وقد علم الأمير أن والدي رحمه الله تعالى خلف على ما لو خلفه على أهل بلد لكفاهم * ولو فرقه على فقراء الدنيا لأغناهم * فما زالت صروف الدهر بخوارزم تقاطني جهرأ * وتختلني سرأ * حتى خرجت منها اعرى من حية بعد ما كنت أكسى من بصلة وافقر من الحجر بعدما كنت أغنى من الكعبة واعطل من المحرم بعدما كنت أحلى من الشمسة قد كسرت كسر الجوز * وقشرت قشر اللوز * وجرى علي في مسقط رأسي ومجمع أسرتي * ومقطع سرتي * من الغرم الثقيل ما كان من الثقل أثقل * ومن الذل الطويل ما كان من الطول أطول * ومر على رأسي ما لو مر على رأس الشاب لشاب * ولو نزل بالحديد لذاب * على اني حينما كنت تاج على خوارزم معقود * وشرف لها معدود * ومشهد فيها مشهود * ومقام من مقاماتها محمود * وكل من رآني مدح بلداً كنت من أهله * وفدى والدأ أنا من نسله * وعهدي بمثلي يغنم * فصرت اليوم أغنم * فسبحان من جعل القصر المشيد برأ معطلة وجعل الغنم غنيمة وصير السالب سلباً وحول الراكب مركباً وأدار الفلك فيما يدل على اضطرابه * ويترجم عن خرقه وانقلابه * ومثلي أيدك الله تعالى إذا ابتذل

استوحش * وإذا استوحش أوحش * ومن وطىء العقرب أوجعته وإن
أوجعها * ولسعته وإن لذعها * ومن فل السيف برأسه انكسر
منه أكثر مما كسر * وخسر أكثر مما خسر * وإن من باعني لقليل البصيرة
بالبيع والشراء * رديء المعرفة بأبواب الأخذ والعطاء * مستريح مما تعبت
له نفوس الكرماء * نائم عما لم تزل تسهر له عيون العقلاء * والسلام

* * *

« وكتب إلى أبي سعيد أحمد بن شبيب لما شارف نيسابور » :

| | |
|---------------------|------------------|
| مرحباً بالقمر الطا | لع في جنح الظلام |
| مرحباً بالأسد الور | د وبالجيش اللهام |
| مرحباً بابن شبيب | واياديه الجسام |
| مرحباً بالرجل الاو | حد من بين الأنام |
| مرحباً بالكاتب الجز | ل وبالحبر الهمام |
| قد نجونا منك يا بين | فودع بسلام |

سبقني أيد الله صاحب الجيش فلم أملك عنانه * وجمع بي خاطري فلم
أضبط زمامه * فكبت هذه الأبيات وجملتي بيد الطرب * وتماسكي في
قبضة العجب والعجب * وخرجت من ربة الوحشة * وهي شبكة الغم
والدهشة * حتى لاح لي رايات اللقاء * وفاحت روائح الالتقاء * وعلمت
أنني قد رزقت على الدهر دولة واعطيت على الغم كرة ووردت البشارة التي
جعلتها تاريخ إحسان الدهر * وغرة وجه العمر * ودرياق القلب والصدر
وعلمت أن الله تعالى لم ييسر هذه القدمة * ولم ينلني هذه العزمة * إلا وقد

أراد بي خيراً * واعتمد لي إحساناً وبراً * وقدر أن يثلج صدري ويشد بها
أزري * ويقوي ظهري * وينتصف لي من دهري * ويهزم عساكر
الزمان عني * ويفرق شمل الحدثن دوني * ويرزقي النظر إلى وجه من
صنعي * وخرجني واصطنعني * فتعلمت الترسل من نثره * واصبحت
شاعراً برواية شعره * ووطئت بساط الملوك بعنايته أولاً وراضعتهم الكاس
بجميل نظره ثانياً هذا من دقاق آثاره لدي * ومنسى صنائعه إلي * وإنما
ذكرت قلا من كثر * واشرت بلمحة إلى بدر * فالآن حين أجر ذيل
الفرح * واتسربل الجذل والمرح * وأرى أهل نيسابور خاصة * وأهل
المشرق عامة * إن خوارزم بيت الرجال * ومعدن الكمال * ومنبت
الفضل والافضال * وإن في الزوايا خبايا * وفي الرجال بقايا * وإن
البقاع متساهمة في الفضل * ومتفاوتة بمقادير الأهل * ووددت أن صاحب
الجيش يركب النجم السيار * ويمتطي الفلك الدوار * ويطوي المنازل طي
الرداء * ويصل الغداة بالعشاء * بل وددت أن الريح تحمله * أو أن البراق
ينقله * وإن الخضر يصحبه خليلًا * وسليمان بن داود عليهما السلام يرافقه
زميلاً * ليصغر حجم الانتظار * وتقل مدة بعد الدار *

ولا اعتد في الدنيا بيوم يمر ولا أراك ولا تراني

وها أنا أيد الله تعالى صاحب الجيش سيف طرير * وسنان شهير * ولسان
على الأعداء مسلول * وسلاح على حساد النعمة مصقول * إذا ورد أيد
الله تعالى لزمته بابه * وصحبت ركابه * وكنت بوابه * وقد أعلمت
من سألني عن صاحب الجيش أنه رجل طلع به النجم مرة ودار به الفلك فلتة
وولدت أمه غلظة وسعد به الزمان خلصة * فهو في الرجال علم وفي الكمال
عالم وفي الزمان واهله غريبة * وبين الدنيا وبينها يتيمة * قد كنت سألت

صاحب الجيش حاجة صغرت عن أن تلحظها أجفانه * أو يجري بقضائها
لسانه * ولكن الحاجة على قدر السائل * لا على قدر الباذل * والهبة تصغر
وتكبر في وزن الطالب * لا في وزن الواهب * والصغير إذا احتيج إليه
كبير * كما أن الكبير إذا استغنى عنه صغير * ولو تبارى أهل الشكر في
رهان * وجروا نحو الغاية في ميدان * لبرزت في الحلبة الأول * وكنت
فيما بينهم الأغر المحجل :

ولو أن للشكر شخصاً يبين إذا ما تأمله الناظر
لصورته لك حتى تراه فتعلم أني أمرؤ شاكر

وصلت الجارية فقبلتها بالطاعة * ورددتها بالداله عليه في الساعة * لأن
فلاناً صديقي قد ملكها وأنا أكره أن أعاشر رجلاً له في داري غلاف * وان
تكون عندي مضربة لها غيري لحاف * فما أقبح بالحر أن ينادم من شركه في
حرمة * وسبقه إلى باكورته * فيجلس فحلان على لبد * ويجتمع
سيفان في غمد *

* * *

« وكتب إلى صاحب جيش خوارزم وورد عليه كتابه بخبر
علته يعتذر إليه من ترك العيادة ويتوجع له من العلة » :

هذا كتابي أطال الله تعالى بقاء صاحب الجيش عن سلامة إلا من الاهتمام
لعلته * ومن التذم لترك عيادته * ومن العتب على الأيام الجارية الراكدة
الفاخرة * الظالمة الجائرة * فيما دهمت به الكرم وأهله * والفضل وشمله
والحمد لله تعالى لا على انه حمد مستزيد فيما نابه * مستمد بالشكر لما أصابه

ولكن إقامة لرسم العبودية * وسلوكاً في نهج البشرية * وصلى الله تعالى
على سيدنا محمد وآله خير البرية ورد علي كتاب الشيخ صاحب الجيش بعد
قرم هزني * وتطلع طويل لوروده ألقني واستفزي * وبعد أني حاسبت
لتأخره غني نفسي على ذنوبي واستدركت عليها عيوي * وجلت في زوايا
جناياتي عليه * واساآتي إليه * أنظر بايتها استحققت أن أطوي في إدراج
الجفوة * وأجلس على قافية التغير والنبوة * إذ كنت أعلم أن صاحب
الجيش أعرق في الكلام نفساً * وأصدق في الفضل حساً * من أن يعاتب
وفي الصبر فضلة * أو يؤاخذ وللاحتمال جهة * فلما كاد الكرب أن
يستحوذ على خاطري * ويستوعب حساب صدي وصبري * طلعت على
النعمة * في أثناء البشري * وانفجرت لي ضبابة التخمين * عن نور اليقين
ووصلت إلى السعادة * تكتنفها الزيادة * وفضضت الكتاب الكريم عن
كل ما أجدل النفس وسرها * وبرد العين واقرها * حتى وصلت منه إلى
خبر العلة فدارت بي الأرض وهي ساكنة واطلمت علي السماء وهي مسفرة
وضاقت علي الدنيا وهي واسعة فقلت قبح الله تعالى الدهر فانه على ذوي الكرم
الب * وعلى الفضل وأهله حرب * وللؤم والاثام حزب * وللادب ورهطه
عدو معاند * وللجهل وذويه ولي معاضد * ثم رجعت إلى أدب الله تعالى
ذكره فوجدت ساحة الصبر أوسع ومطية الدعاء أجمل فقلت اللهم أرفع عن
مهجة المكارم أذاها * وادفع للمجد عن تلك النفس النفيسة والروح الاريجية
ما يبيح حماها * وتصديق علينا وعليه بهذا الواحد الذي بقاؤه جسر بين دولة
الفضل * وكرة الجهل * وبرزخ بين مد الجود وجزر البخل * ثم انشدت :

ما حال من كان له واحد يمرض عنه ذلك الواحد

وأنا أتوقع كتاب صاحب الجيش بنجر العافية فان تأخر كنت جنيبه في العلة وان

ورد عمرت المساجد صلاه * وملأت الفقراء والمساكين زكاة * وصمت
حتى تعاتبني بطني سغباً * وقمت حتى تخاصمني رجلاي تعباً * وصليت
صلاة أمامية * وعبدت عبادة علوية * ولم أفعل ما فعله ابن نوفل حيث
قال في أبي شبرمة :

فغزوان حر وام الوليد إن الله عافى أبا شبرمه
جزاء لمعرفه عندنا وما عتق عبد لنا أو أمه

فسأله جار له عن غزوان وام الوليد فقال سنوران في الدار فاعتد بعنق رقتين
وهو يعتق سنورين * ولكن أفعل ما فعل قيس بن معاذ مجنون بني عامر حيث
يقول :

أنا جهلنا فخلناك اعتللت ولا والله ما اعتل إلا الظرف والأدب
وإذا اتصل بي خبر العافية الذي هو عندي عافية الدين والأدب * والفضل
والحسب * قلت :

وما أخصك في برء بتهتة إذا سلمت فكل الناس قد سلموا
أردت أن أركض إلى حضرة صاحب الجيش ركضاً يتقدم الایغال * ويقتل
الخليل والبغال * حتى أصل السير بالسرى * واجمع بين العصر والاولى *
فأشاهد نعمة الله تعالى عليه وعلينا به في افراقه من عاتيه * واكتسائه ثوب
عافيته * ثم تطيرت لنفسني من أن أنظر إلى ولي نعمتي ربه آثار الصفرة *
وإلى جسمه وبه بقايا الفترة * هذا بعد أن جمعت مستشر أسبابي * ووضعت
رجلي في ركابي * ورفعت عصا السفر * وسلمت نفسي إلى القضاء والقدر
وانشدت قول الفرزدق :

ونعود سيدنا وسيد غيرنا ليت التشكي كان بالعواد

ثم أتبعته قول أبي الطيب المتنبي :

حق الكواكب أن تعودك من عل وتعودك الآساد في غاباتها
ولقد جنت الأيام على الاحرار جرماً عظيماً * وأنت الى الكرام فعلاً ذميماً *
وترجم الدهر بأنه لثيم لا يحب كريماً * جعل الله تعالى هذه العلة آخر علل
الكرام * ونخاتمة جنایات الأيام * ولا أراني الله بعدها في خاتمة صاحب الجيش
الا ما يضحك منه العلى * ويطلق وجه الغنى * ولا فجع بسلامته الدين والدنيا .

* * *

« وكتب إلى أبي الحسن المعروف بالبيديهي الشاعر

زعم يعيب به » :

لست اعاتبك عافاك الله تعالى لان العتاب يصلح منك * أو يعمل فيك * أو
لأن جهلك جهل يعالج بالعدل * أو يداوى دأؤه بالقول * كلا عافاك الله
تعالى جهل الناس عرض وجهك جسم لا يزول إلا بالفعل * ولا يقع دواؤه
إلا من الكف والنعل * ولكني إنما أردت بهذه الرسالة أن تتوجه عليك الحجة *
وأن تنقطع عنك العلاقة والعلة * وإن كانت ترد منك على عين عمياء *
وأذن صماء * وقلب لا يعرف النقصان إلا في ماله * ولا يحس بالألم إلا
في جسمه * ولا يجد للنقص مساً ولا للعب وقعاً ولقد عقلت هذا الكلام بك
وضيعته فيك * ووجهته منك إلى من نزه عنه العتب لغباوته * والشتم
لحقارته * ولو قدر الكلام على عقوبة من صنعه * وتوصل إلى تضييع من
ضيعه * لعاقبني بأن يطيل هجراني * ويكون هذا آخر عهده بلساني وبناني
فها أنا المظلوم الظالم * والمخاصم المخاضم * ظلمتني بلؤمك * فظلمت

الكلام بلومك * وخاصمتك في جهلك * فخاصمني العقل في عدلك *
 فيا من جمع على مصيبتين * ووضعني على طريق الظلم من جانبيين * ويا
 من أبت العجائب فيه أن تردني إلا من طرق شتى * وأن تقع إلا مثنى مثنى *
 وليس محنتي فيك بأعظم من محنة -نق الذي لم تزل تعيب به حتى لو تجسم
 نفساً لسعيت في ذمها * أو تمثل داراً لجهدت في ددمها * كأنك لم تخلق
 لتطمس عين النور * وتقلب أعيان الأمور * فتجعل الضوء ظلمة
 وتعكس البدعة سنة حتى كأن سوفسطاً استخلفك على جحند ما يدرك عياناً *
 ويعرف إيقاناً * فأنت وارثه في الباطل * وناصر جهله على كل عاقل *
 وحتى كأن الله أنزل عليك قرآن ضلالة * وبعث إليك رسول جهالة *
 وقال لك خالف الإجماع وأنت على السنة * وعاد الصواب وأنت في الجنة *
 وأوحش الأحرار وأنت أصل الحرية * وباين الناس ومنك منبع الانسانية *
 وأنصر اللؤم وأنت الكريم * وناقض الحكماء وأنت الحكيم * لو علق
 القبيح بالثريا لصعدت إليه * ولو دفن المحال في تخوم الأرض السابعة لغصت
 عليه * الحميل عدو لك تحاربه * والسداد ضد من أضدادك لا تقاربه ولا
 تناسبه * فأنت العكس إلا أنه يمشي على رجلين * والجور إلا أنه ينطق
 بلسان وشفيتين * والجهل إلا أنه مخاطب * والعبي إلا أنه مثاب معاقب *
 لو سئلت عن يحيى بن زكريا لذكرت أنه زنى * ولو ذوكرت في القائم
 إدعيت أنه مضى ولو استخبرت عن إبليس ذكرت أنه سجد لآدم * ولو
 نوظرت في عيسى نفيته عن مريم * ولو أنشدت شعر امرئ القيس لنسبته
 إلى الأفحام * ولو ذكرت أبو جهل حكمت له بالإسلام * ولو استحسنت
 كلام مزبد قات إنه ميت الخواطر * فاتر النوادر * ولو سمعت خطب
 أمير المؤمنين على عليه السلام استعيت بيانه * ولو مررت بایوان كسرى
 استقلت بنيانه * ولو رأيت بناء أرم ذات العماد استصغرت شأنه * ولو

أجري حديث الحسين بن علي عليهما السلام صوبت رأي قائله * وعذرت
فعل جادله * ولو حكى قول فرعون أنا ربكم الأعلى قلت ما أخطأ ولا تعدى
ولو سمي ابن عباس نفيت عنه علم التأويل * وتحلته الجهل بمتن التنزيل *
ولو خوطبت في التراويح أخذت بابتداعها الشيعة * ولو عد الاجبار والتشبيه
الزمت دينهما المعتزلة ولو انشدت * ويأتيك بالأخبار من لم تزود * مارضيت
نظمها * ولو اسمعت * لا يذهب العرف بين الله والناس * ما استحللت
طعمها * ولو حلم الأحنف بن قيس استخففت عقله * واستعظمت جهله
ولو استفتيت في فريضة ادعيت فيها لإجماع الأمة * واتفاق الأئمة * ولو
أعيد حديث ذي القرنين واستبلاؤه على الخافقين احتقرت سعيه * ولو تعجب
الناس من بناء الهرمين أخذت تذكر انتقاصه ووهنه * ولو استبدعوا صنعة
الخليل العروض أخذت تزعم إنه ما أحدث أمراً * ولا افترع بكراً * ولو
استحسنوا وضع كليله ودمته وصفت أن أمثالها غثة * وأن حكمها رثة *
ولو فضل التوحيد أنكرت به النصارى ولو عيب الثبوية برأت من عيوبهم ماني
ولو غنيت بألحان ابن شريح ومعبد قضيت عليهما بأنهما من بابه التوبة والعبادة
ومن شريطة النسك والزهادة * ولو مدحت العافية اسهبت في ذمها * كما لو
فضلت السعادة أكثرت في شتمها * ولو شاهدت الهند عبتهم في ضعف
العزيمة كما لو دخلت بلاد الصين لمتهم في رداء الصنعة ولو غاينت العرب
رميتهم بضيق البيان واللغة وقلة العارضة والبديهة ولو قرأت سيرة عمر بن
الخطاب رضي الله عنه زدت فيها سن المنعة ولو عثرت بحديث يزيد بن معاوية
عددت في فضائله يوم كربلا والحررة ولو قرىء بين يديك القرآن عارضته
بنوادر أبي العبر وبكلام يحجب الغلط ولو لحظت السماء قلت ما أسوأ ما دحيت
ولو درست أيام الفرس هجوتهم بقلّة السياسة وضعف التهدي للعمارة ولو
خوفت بيوم القيامة ذكرت إنه يوم قصير صغير * وإن الخطب فيه يسير حقير

ولو فوتحت في حديث العنقاء حلفت أنها باضت وفرخت في بيتك * ودرجت في وكرك * وإنك طالما سقيتها واطعمتها * وطالما اسرجتها والجمتها * ولو عظم أمر التنين * وحكى الخلاف في إثباته بين المصدقين والمكذبين * أقسمت أنك اصطدته من البحر بشبككتك * ورميت به في السحاب بقوتك * ولو عدت أنساب العرب شهدت أن الشرف في سلول وجهرهم * وفي عدى وتيم * وإن هاشماً في قريش أذنان * كما أن دارما في تميم أوشاب * غايتك أن تزعم أن هشام بن الحكم ناصبي وأن أبا الهذيل العلاف نابي وأن أبا بكر الأصم شيعي وأن واصل بن عطاء حشوي وأن سايमान الأعمش خارجي وإن عبد الحميد بن يحيى أمي وأن رؤبة بن العجاج أعجمي وأن إياس بن معاوية عامي وأن معاوية أول من أحيا السنة وأمات البدعة كما أن الحجاج أول من سن الرحمة ونسخ القسوة وأن النابغة الذبياني لم يحسن الاعتذار * كما أن أبا نواس لم يصف الخمر الخمر ولا الخمار * وكما أن أبا بكر الصنوبري لم ير الأنوار ولا الأزهار * وأن طفيلة الغنوي ما ركب * كما أن أعشى قيس ما شرب * وإن العفاف هندي كما أن السخاء رومي وإن الوفاء تركي كما أن العقل صقلي وإن التشيع شامي كما أن النصب كوفي وأن التجار أقل خلق الله كذباً كما أن الملوك أصغر الناس همماً وإنه ليس شيء أقل تحالفاً وتناقضاً من روايات المحدثين * ولا كلام أقل سخفاً وهجراً من أشعار المناقضين * وأن إبليس أصاب في تفضيل النار على الطين * فلذلك جعل من المنظرين إلى يوم الدين * وإن هاروت وماروت قد أحسنا في عصيان الرب * ومواقعة الذنب * فلذلك صاروا في السحر امامين * وللخلق معلمين * وإن الدين لعبة لآعب * كما أن التوحيد كذبة كاذب * وإن الوحي أساطير الأولين * وإن السنة أرجاف المكلفين * وإن العالم يركب متن عمياء * وإن الموحد

يخبط خبط عشراء * وإنك من بينهم الذي خص بالعلم القديم * وأخبر
 بالنبأ العظيم * ولر انت زدير لانفت من أن تقول :
 وأعلم ما في انورم والأنس قبله ولكنني عن علم ما في غد عمي
 وكذلك لو كنت زيادة بن زيد ما قلت :

إذا ما انتهى علمي تناهيت عنده أطال فاملى أم تناهى فاقصر
 وإنك لو سمعت عليا يقول سلوني قبل أد، تفقدوني * سألته حتى يقول دعوني
 فقد أفحمتوني * وإنك لو أمدت بك الملائكة ما قالت سبحانه لا علم لنا
 إلا ما علمتنا وإن أباك آدم لو أعين بك ما لعب إبليس به * ولا أنف من
 السجود له * وإن عمك قابيل * لو رآك ما أقدم على أخيه هابيل * وإن
 أمك حواء لو رأتك نشزت على أبيك * عشقاً لك ورغبة فيك * وإن العجم
 عرب إذا كنت فيهم * كما أن العرب عجم إذا بنت عنهم * وإن الرياض
 إنما أكتسبت طيب ريح لأنها تستمد من نكهتك * وإن النجوم إنما أعطت
 ضوءها من ضوء غرتك * وإن الخيل ما اختالت في مشيها إلا لأنها حملتك *
 وإن الطير إنما لحت أصواتها لأنها عشقتك * وإن البحار إنما ماجت وزخرت
 هيبة لك * وإن الجن إنما توحشت وخفيت لأنها حسدتك * وإن الشمس
 إنما جعلت مبصرة والقمر إنما جعل آية ممحوة لأن الشمس تواضعت لك بالتأنيث
 والقمر نازعك في التذكير وأن عدي بن الرقاع تحول في هيكلك ونطق على
 لسانك حيث قال :

وعلمت حتى ما أسائل واحداً عن حرف واحدة لكي أزدادها
 وإن هذا البيت معه طنبلي وفيما بين شعره دعي وأنت أحق به * وأملك له
 منه * وإنك نظرت إلى عيب كل ذي صناعة من وراء ستر صفيق حتى عرفت
 مخاريق المنجمين بكذبهم في الأحكام * وغلطهم في حوادث الأيام *

وعرفت إختلاف النحويين * بتخالف الكوفيين والبصريين * وإنهم لو أبصروا الرمية خرج السهم سديداً ولو عرفوا الطريقة كان المقصد قريباً وإن الخلاف دليل على ركوب المحال * وإن ليس بعد الحق إلا الضلال * وعرفت أبطال الأطباء بمناقضة الرومي الهندي وتكذيب الفارسي اليوناني وإن عيش البدوي فيما فيه موت الحضري وإن الذي يموت على أيديهم من المرضى أضعاف من يعيش ويبقى وعرفت تخطب اللغويين بافتنان لغات القبائل * وتباين ألسن أهل المياه والمنازل * فلغة عدنان غير لغة قحطان * ولغة خندف غير لغة قيس عيلان * والمعدي يقول أن هذين لساحران * والحارثي يقول أن هذان لساحران * وعرفت عناد الفلاسفة بادعائهم قدم الطينة وانكارهم ما يعاينونه في أنفسهم من الدلالة وقلت كيف يعرف غيره من أنكر نفسه وكيف يستنبط الغائب ما لا يرى الحاضر وعرفت جهل المهندسين بجهلهم جذر العشرة وهي أس العد * وأول منازل العقد * وقلت كيف يعرف الكثير من لم يعرف القليل وأنى يحكم الفرع من لم يحكم الأصل وكما لا يجهل الواحد من عرف العشرة فكذلك لا يجهل العشرة من عرف المائة وعرفت حيرة المحدثين بتناقض رواياتهم * واختلاف كلماتهم * وإن أحدهم يثبت الرواية ثم ينفيها * ويجلد بالكبيرة ثم يرخص فيها * ويحل الشيء ثم يحرمه * ويصغر الإثم ثم يعظمه * وعرفت شك المفسرين * بأن أحدهم يسمع قول الله تعالى بلسان عربي مبين * وقوله وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ثم يقول استبرق فارسية وسجيل أعجمية وسندس عبرانية وناشئة الليل سريانية وإن هذان لساحران حارثية ثم عطفت بعد هذا كله على نفسك فقلت أنا الطيب الذي لا يموت من شفاء * ولا يمرض من داواه * والنحوي الذي لا تختلف علتاه * ولا تنفض بأولى قوله أخره * والمحدث الذي لا تتناقض رواياته * ولا يثبت ما نفاه * والفيلسوف الذي لا يحمل طبيعة على شريعة ولا يختص بعلم

عقل دون علم رياضة والمهندس الذي يعرف الجذر الأصم * ويهون العقد
الأشد والمنجم * الذي قلبه كتابة * وعينه أسطر لابة * قد سمعنا عواءك
أيها الراضي عن نفسه والغضببان على غيره والعاشق لفعله والمبغض لأفعال دهره
فلا جزاك الله خيراً لا عن الحق عدوك * ولا عن الباطل صديقك * أما
الحق فلأنك هدمت مناره * وطمست آثاره * وأما الباطل فلأنك أبرزته
في معرض الفضيحة حتى هتكت أستاره * وكشفت عواره * ونشرته حتى
ظهر مضمرة * ونصبته حتى ظهر زهوه * وإنما يقبل الناس من البطل ما
يشبه الحق * ويأخذون من الكذب ما يحاكي الصديق * فأما الباطل الذي
تبصره العين العمياء * وتسمعه الأذن الصماء * ويستوي في إبراز شخصه
النور والظلماء * فانه ينهي عن نفسه * وينذر الأبصار والبصائر بعينه *
وينادي بنقص من نطق به فيا من لا يتبله الباطل ولا الحق ولا يناسبه الجور ولا
العدل إلى ما ذا أنسبك بعدهما * وإلى أين أذهب بك عنهما * رحمك الله
تعالى :

وهذا دعاء لو سكت كفيته فاني سألت الله فيك وقد فعل

فلو قسم الله تعالى من الرحمة جزءاً لا يتجزأ لما جبلك كما جبلك * ولا خذلك
كما خذلك * واني لأعلم أن دعائي هذا أول خائب * وإن سهمي فيه غير
صائب * ولكني أصانعك به * وأسخر منك فيه * فأقول رحمك الله
تعالى أنا لو سلمت لك إنك إنسان نفيت عن نفسي الانسانية * وصححت
عليها البهيمية * أعلى منك في النقص حكمة * وأعظم منك في الجهل طبقة
فشر من الجهل نصرة الجهال * وأسوأ من الضلالة الاحتجاج للضلال * لا
ترضى أن تصير في صناعتك ذنباً وقد كنت فيها أصلاً ولا بأن تكون تلميذاً
وقد كنت قديماً فيها أستاذاً تواضع بنا رحمك الله تعالى فان التواضع خلق من

أخلاق السلف * وشبكة من شباك الشرف * وتصدق علينا ببشرك فان
الله يجزي المتصدقين * وأحسن فان الله يحب المحسنين * ولان أخوانك
في فعلك وقولك * فلو كنت فظاً غايظ القلب لانفضوا من حولك * ولولا
أني رحمتك الله تعالى لا أقول بالرجعة ولا أذهب مذهب التناسخية لظننت أن
جميع ما انطوى من العالم تحول في هيكلك * وأنحصرت محاسنهم في شخصك
ولظننت أنك يونس بن فروة الذي قيل فيه :

أتى ابن فروة يونس وكأنه في كبره أير الحمار القائم
ما الناس عندك غير نفسك وحدها فالناس عندك ما خلاك بهائم
فلقد أعجبت بنفسك الحسيسة التي لا تستحق العجب * وأحبيت منها ما لا
يساوي الحب * حتى كأن كسرى أنوشروان حامل غاشيتك * وكأن
قارون وكيل نفقتك * وكأن بلقيس ذات العرش العظيم دايتك * وكأن
مريم البتول أمتك * وحتى كأن الريح عاد هبت من غضبك * وحتى كأن
العود وجميع الملاهي وضعت لطربك * وحتى كأن المريخ يستقي من
صولتك ومضائك * وعطارد يستمد من لطفك وذكائك * وحتى كأن
زرقاء اليمامة لم تنظر إلا بمقاتك * وكأن لقمان لم ينطق بغير حكمتك *
وكانك بنيت منارة الاسكندرية من آجر دارك ووسعت ملعب سليمان عايه
السلام من بقايا ملعب صحنك وكانك علمت زياداً السياسة * وأفدت عبد
الحميد الكتابة * ولقنت يحيى بن خالد الفصاحة والقيت على الحسن البصري
المحبة وعلى الحجاج بن يوسف الثقفي الهيبة وحتى كأنك زرعت غوطة دمشق
وشققت أنهار البصرة وهندست كنيسة الرها ووضعت قنطرة سنجة وحتى
كأن سد ياجوج وماجوج بيديك * والأمر في خروجهم موكل إليك *
وليس بين الأمة وبين أن ينسفوا زرعهم وضرعهم * ويجوسوا برهم وبحرهم

إلا لفظة من الفاظك * ولحظة من الحاظك * وحتى كأن فضائل أمير المؤمنين علي عليه السلام من فضائلك مسترقة * وعجائب بني إسرائيل من عجائب صنعك ملتبطة * وغرائبهم من غرائب فعلك مستنبطة * وحتى كأنك جعلت صخرة موسى عليه السلام عتبة بابك * وحتى كأن الحان داود عليه السلام بعض ما يسمع في محرابك * وحتى كأنك جعلت من مائدة عيسى بن مريم غداءك * ومن كبش اسحق عشاءك * وحتى كأنك أمرت شداد بن عاد * ببناء أرم ذات العماد * التي لم يخلق مثلها في البلاد * وحتى كأن خالد ابن الوليد قاتل تحت رايتك * وقتيبة بن مسلم فتح البلاد ببركة دعوتك * وحتى كأنك وضعت التقويم لآدم بن يحيى وحلت الزيج الأول وعدلت الطبائع الأربع وحتى كأنك كشنت لبطليموس الفلك حتى نظر إليه ومثلت لجالينوس تركيب الجسد حتى وقف عليه * وحتى كأنك أورثت بني أسد العيافة * وبني مدلج القيافة وعلمت شقاً وسطيحاً الكهانة * وحتى كأنك علمت حاتم بن عبد الله السخاء * والسموأل بن عاديا الوفاء * وقيس بن زهير المكر والدعاء وإياس بن معاوية الفطنة والذكاء * وأخذ عنك سيف بن ذي يزن أخذ الثأر * والإدراك بالأوتار * وحتى كأنك دعوت لبني إسرائيل حتى جعل الله فيهم أنبياء وملوكاً وآتاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين ثم دعوت عليهم حتى ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله وحتى كأن خاتم الخلافة في خنصرك * وحساب الدنيا دخلها وخرجها في بنصرك * وحتى كأن الشمس تطلع من جبينك * والغمام يندي من يمينك * وكان البحر يمد إذا أمرته * ويجزر إذا زجرته * وحتى كأن كسرى أنوشروان صاحب زنفرة أصيلبك * ونمرود بن كنان تهرمانك على ولدك وأهلك * وحتى كأن تكبريت محل دارك * والدارة اليتيمة أخس سوارك * وحتى كأن رستم بن دستان عجز عن مد قوسك * واسفنديار

ابن كرسئاسب ضعف عن حمل سيفك وترسك * وحتى كأنك في ملك
 وملك يصغر بينهما ملك سليمان بن داود عايبهما السلام ويقصر معهما قصر
 غمدان * ويضيع فيهما تاج كسرى بن ساسان * ويتضع عنهما جبرية
 فرعون وهامان * وحتى كأنك لا أحد أعلم منك فأضربه مثلاً ولا أعلى منك
 فأجعله غاية وأمداً ومن شبهك به فقد رد الوصف إليك * ووفره عليك *
 والقرء لا يشبه بغيره * والراجح لا يوصف بمن تقاصر عن رجحان قدره *
 وإذا أردت أن تعلم أني في ذمك جاد وفي مدحك لاعب * وأنني في الشهادة
 عليك صادق وفي الشهادة لك كاذب * فأنظر إلى تهافت قولي إذ لا ينتك
 وجاملتك * وإلى إصابتي الغرض وحزني المفصل إذ كاشفتك وصدقتك *
 وذلك أن الصادق معان ومأخوذ بيديه * والكاذب معذول مغضوب عليه *
 وما كان الله تعالى ليوفقي للفصل الخطأ وأنا أجامل من لا يعرف قط أجمالاً
 ولا تجملاً * وأفاضل من لم يناسب مذ كان افضالاً ولا تفضلاً * والفصول
 التي قصرتها على مدابجحتك * ولينت فيها مس القول لك * فانما هي عوذة
 عوذت بها هذه الرسالة * وطلسم حسن صنت بنتحه هذه المقالة فعوذت أحسن
 الأشياء بأقبح الأشياء * وسرت بنقصان المدح كمال الهجاء * على أني قد
 غالطت أسمع الناس وأبصارهم * وسحرت بهذا البيان خواطرهم وأفكارهم
 فهم يحسبون أني أجدت وإنما الصدق أجاد ويقدرّون أني أحسنت وأصبت
 وإنما قصدي الحق أحسن وأصاب فلو شتمتك بالترهات صارت قوارع ولو
 نلت من عرضك بنصف لسان وفم كان كلامي قلائد وخير المدح والهجاء ما
 كان له راو من نفسه ومصدق من ذاته :

وإن أحسن بيت أذت قائله بيت يقال إذا أنشدته صدقاً

يا غداة الفراق * وكتاب الطلاق * يا موت الحبيب * وطلعة الرقيب *
 يا يوم الأربعاء في آخر صفر * ويا لقاء الكابوس في وقت السحر * يا

خراجا بلا غلة * ودواء بلا علة * يا أثقل من المكتب على الصبيان * ومن
 كراء الدار على السكان * يا أبغض من لم ولم * ومن لا بعد نعم * يا بغله
 أبي دلالة وحمار طياب وطيلسان ابن حرب * وضربة وهب * يا قدح
 اللباب في كف المريض * يا نظرة الذل إلى البغيض * يا كنيف السجن
 في الصيف * يا شرب الخمر على الحشف * يا وجه المستخرج يوم السبت *
 يا افطار الصائم على الخبز البحت * يا جشاء من أكل فجلية * وفساء من
 أكل قنبيطية * يا وكف البيت الشتوي في كانون * وعلى الكانون يا فراش
 الجرب المبطون * يا ليل العزبة * ووقت العشق والإفلاس والغربة * يا
 نخجل الضرطة * وجواب الغلطة يا كمد المقمور * ودهشة المصبور * يا
 أقدر من ذباب على جعر رطب * ويا أذل من قراد في است كلب * يا
 أشأم من دم نبي يا أنتن من بول خصي يا شرب الترنجيين على الريق في تموز
 يعاقب النخمة على أثر الحجامة في غرفة بغير كوة يا طلعة ملك الموت في عين
 الكافر * وقد ختم عمره بالكبائر * يا دخول الطفيلي بيت المروزي يا نظرة
 العنين إلى البكر وقد عجز عنها * واستشعر مخايل الغضب منها * يا قرع
 الغريم الباب * ومعه جريدة الحساب * يا حوض دكاكين الدباغين *
 ومنهج حوانيت القصابين * يا مغيض ماء الحمام * يا كوز حانوت
 الحجام * يا وجه المانع وقفاً المحروم * يا شخص الظالم في عين
 المظلوم * يا الأم من اللؤم * وأشأم من الشؤم * وأقل من المعدوم *
 وأوخم من غم المبرسم المحموم * يا غم الدين * ووجع العين * ويوم
 البين * يا أوحش من زوال النعمة بعد كفرها * وأقبح من ارتجاع الصنيعة
 بعد شكرها * يا فم من أكل السمك في الشمس ولم يغسل يده * وخمار
 من تقيأ ولم يغسل فمه * يا أبرد من كافورة في الثلج مدفونة في يوم شمالي
 قرة * وفي وقت بكرة * في جبل من جبال أرمينية يا أثقل من جبل رومي

تحت ثلج -تولي فوقه سماكر في وسطه قوافل لا بل يا أثقل من منادمة طفيلي
على الندماء * مقترح في الغداء والعشاء * محدش للساقى قاطع على المغني *
يواثب ويزني * لا بل يا أثقل من الحق عليك * وأبغض من الانصاف إليك
يا جواب الحجاب * وعبوس البواب * يا مهاجرة الصديق * يا نظرا إلى
زوج الأم على الريق * يا سرور القضاء * وجهد البلاء * ودرك الشقاء *
يا شماتة الأعداء * وحسد الأقرباء * وطوارق الأرض والسماء * وملازمة
الغرماء * وعريضة الجلاء * وخيانة الشركاء * وغش الأصدقاء *
وملاحظة الثملاء * ومسئلة البخلاء * ومحادثة البغضاء * ومشاتمة السفهاء
ونصرة الضعفاء * وعداوة الأمراء * ومزاحمة السعداء * يا كرب الدوا
يا من لو كان اللؤم يلد كان أباه * ولو كان يولد كان أخاه * ولو شارك
شريكاً ما عااه * يا بيع المتاع الكاسد * وجوار الجار الحاسد * وسماع
المغني البارد * يا مطبوح الأفيشون * وحب الاسطينون * يا ليلة المسافر
في كانون الآخر * على أكتاف بائس * تحت مطر وبرد قارس * يا من
لو نظرت إليه السماء وهي تمطر أقلمت * ولو طلعت الشمس بوجهه ما طلعت
يا نخيبة من رأى السراب فظنه شراباً * وندامة من نظر إلى الخطأ فتوهمه
صواباً * يا من هو دليل على أن الله تعالى جواد حيث أطعم مثله ورزقه *
يا من هو حجة الملحد على الموحّد في قوله الذي أحسن كل شيء خلقه * يا من
احتماله أصعب من عد الرمل * ومن عداد النمل * ومن رأى شعرة سوداء
بالليل * والصبر عليه أشق من الصعود إلى السماء على سلم من زبد * وحبال
من شند * والنظر إليه أبشع من النظر إلى ذبح الأنبياء عليهم السلام ونيش
قبور الشهداء والأولياء جعلت فدائك من الخير لا من الشر هذا كله مصانعة
لك * ورفق بك * وذلك لأني شبهتك بأشياء تنقص في باب الذم عنك *
وتأنف والله منك * ولقد ظلمتها بك * إذ كان قد تفرق فيها من المعايب

ما اجتمع فيك * ومن لي بشيء يوازيك * وشبيه يضاهيك * ومن أين
 أبجد اللؤم منتظماً * والقبح مجتمعاً * والجحيل مجتمراً والشؤم محتفلاً والنقص
 محتشداً في هيكل واحد وفي شخص ماثل وإنما يجد الواصف ما يسمع وما يرى
 ويحيل المشبه على ما كان أو يكون في الورى * قد شبه الله تعالى نوره بنور
 المصباح والمشكاة والزجاجة وإن كانت الثلاثة قاصرة عنه في الصفة رحمتك الله
 تعالى دع لليونانية من الحكمة ما تنفق به سيوقهم * واترك لبني العباس من
 التملك ما تمشى به أمورهم * وابق للشمس والقمر من الجمن بمقدار ما
 يطلعان به * ويلوحان فيه * وهب للريح العاصف * والرعد القاصف *
 من الصولة قدر ما يسمع به صوتهما * ويصح به أسمهما ونعتهما * وإرفق
 بالأرض من خطواتك وارحم الجبار من شدة سلطانك * وانظر إلى
 النساء من وراء حجاب ومن خاف برقع والا خرجن عن عشيقك من سر الله
 وقطعن أيديهن وقلن حاش الله * فلا تعرض اماء الله لسخط الله * ولا
 تنرق بينهن وبين عباد الله * ولا تحمل الحرائر على خشونة الطلاق * ولا
 تذق الممالك مرارة الاعتاق * ولا تزدد في شغل الكرام الكاتبين ولا تسود
 صحف العالمين * ولا تشمت إبليس بنا * ولا تعطه مراده فيما * ولا
 تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا لي رحمتك
 الله حوايج فان قضيتها كنت قد تبلفت شكري ورضاي * وإن رددتني
 عنها فقد رأيت النموذج سخطي وشكواي * قد اتفق الناس على ضياع النسخة
 الأولى من كتاب العين فامله علينا * واجمعوا على ذهاب قراءة أبي بن كعب
 وعبد الله بن مسعود فاخرجهما إلينا * وتخالف الناس في المهدي وشكوا في
 السفياي * وفي الاصفر القحطاني * فعرفنا متى يخرجون * فاني أعلم
 أنهم إليك يختلفون * وفي أمرك ونهيك مترددون * وبمشورتك يغيون
 ويحضرون * والكيمياء فقد علمت أنه أنفقت فيه الأموال * وتعب له

الرجال * ثم لم يحصل لهم منه إلا أمانى مسوفة * ومواعيد مزخرفة * فما عليك لو علمتهاه واغنيت الفقراء وزدت الأغنياء وأرحمت الناس من الضرب في البلاد * ومن الكد والاجتهاد * ومن أن يخدم الفقير غنياً * ويتخذ بعضهم بعضاً سخرياً * والزيج الأكبر فقد انقطع وانقرض أهله وهو من مفاخر الروم علينا * ومن محاسنهم دوننا * فاعمل في إصلاحه ولا تدع النصرارى يفضلون المسلمين في إبداعه ومسجد دمشق فهو حسنة يباهي بها أهل المغرب أهل المشرق فابن لنا مثله * ولا تثبت علينا فضله * فانما هي ساعة من هندستك * وجزء تستعمله من أجزاء حكمتك * وقد زدت عليه * وبنيت ضعفيه * وآل أبي طالب قد علمت أنهم مسلوبون حقهم * ومغصوبون لإرثهم * فتقدم إلى غلامك الدهر بأن يرفع رايتهم * ويرد إليهم ولايتهم * والفلك قد زعموا أنه خرف فاردد شبابه * واعد عليه من الشبيهة ثيابه * وقد سمعت قول ابن عباد من نكد الدنيا منفعة الاهليلج * ومضرة اللوزينج * وتجعل في اللوزينج منفعة الاهليلج * فاذا بك قد جعلت الناقص كاملاً * واضفت إلى العاجل آجلاً * وليس يخفى عليك تطاول العراق بعبد الله بن هلال الهجري صديق إبليس فارنا رحمك الله تعالى من عجائب صنعتك * ولطائف فكرتك * ما يكسد به سعرهم * ويهدم به فخرهم * فان إبليس تلميذ لك تعلم منك * وأخذ عنك * وشتان بين من يدعي أن إبليس من إخوانه * وبين من يعتقد أنه من غلمانهم * وهل استنظر إبليس إلى الوقت المعلوم الا ليذكرك زمانك * ويرى برهانك * وهل حسد آدم إلا عليك * وهل عاداه إلا فيك * ولعلك تنكر قولي خرف الفلك ولولا خرفه ما كان القمر سماوياً وأنت أرضي * ولا كانت الملائكة روحانية وأنت بشري * ولا كانت السماء تظل * والأرض تقل * وأنت أكبر منها قدراً * وأكرم منها نجراً * ولا كانت الدنيا تنضم عليك وأنت الدنيا

ولا كنت عند الناس بعض الورى وأنت الورى * ولا كنا نسمة
ونكنيةك ذهاباً بك وبقدرك عن الاسامي والكنى * اني وفقدك فلا شيء
أعز علي منه * ولا أحسن منه * ما سمعت قول علي بن جبلة في أبي
دلف :

إنما الدنيا أبو دلف بين يديه ومحتضره
فاذا ولي أبو دلف ولت الدنيا على أثره
الا غضبت عنك عليه واعتقدت انه سرق صنعتك * وأغار أبا دلف مدحتك
ولا سمعت قوله :

إنما الدنيا حميد وإياديه الجسام
فاذا ولي حميد فعلى الدنيا السلام
ألا تمنيت لو عرفت قبره فرجمته * أو عرفت بيته فهدمته * ولا سمعت
قول ليلى :

ففي كان أحبي من فتاة حية وأشجع من ليث بخفان خادر
ألا قلت فكيف لو رأيت ليلى أخاناً * فتعلم أين دعواها من دعوانا * ولا
أنشدت قول ابن أبي السعلافي الرشيد :
أغيثا تحمل الناقة أم تحمل هرونا
أم الشمس أم البدر أم الدنيا أم الدينا
ألا رخصتكم مما قطع عليكم طريق استحقاقك * ومدح غيرك بمحاسن أخلاقك
وأما قول الطائي :

تسود أقوام وليسوا بسادة بل السيد المقدم سلم بن نوفل

فلا شك أن الشيطان تكلم به على لسانه * حتى أبرز وصفك في غير أوانه *
ولو رآك علم أن سلم بن نوفل لا يسود وأنت حي وأما قول زهير :
لو كنت من شيء سوى بشر كنت المنور ليسلة القدر

فاني والله أعجب منه كيف قاله في غيرك ولم ترمه جهنم بشرارها * ولم
ترجمه الملائكة بأحجارها * وأعجب منه قول من قال في معن بن زائدة :
مسحت معد وجه معن سابقاً لما جرى وجرى ذوو الأحساب

كيف يسبق غيرك في حلبة أنت في عدادها * وكيف يكون غيرك سابق
جياها * أنت رحمك الله تعالى من أيدي هؤلاء الشعراء الكذابين مرحوم *
وفيما بينهم مظلوم * سلبوك علاك وهي حلاك * ونخلوها قوماً سواك *
والمدح الكاذب ذم * والبناء على غير أساس هدم * والكلام يرجع إلى
مظنته * والمدح ينصب إلى قرارته كما قال أبو الطيب المتنبي :

وإذا الفتى طرح الكلام معرضاً في مجلس أخذ الكلام اللذني

وكفأك بفضلك مادحاً لك * وحسبك بانفرادك مقارعاً دونك * هذه
رحمك الله هدية أهديتها إليك * بل هدى من العرائس جلوتها عليك * وما
مهرها إلا فقدك * ولا ثمنها إلا بعدك * فاذا وهبتهما فقد وفيت المهر *
وأرضيت العروس والصهر * فسبحان من ارانيك ولك صهر مثلي * وأنت
ختن لي * وعهدي بالناس يخطبون الكرائم بالكرم * ويطلبونها بحسن
الأخلاق والشيم * وأنت خطبت هذه الكريمة بلؤم نجرك * وصغر قدرك *
وعهدي بهم يحملون المهور في أموالهم وأنت جعلت مهر هذه من عرضك
الخلق * اللبیس الممزق * وأعجب ما فيها أنك إذا طلقته لم تطلقك *
وإذا أطلقتها من حبلك لم تطلقك * فخذها مباركاً لك فيها * فبشت
العروس وزوجها شر منها *

* * *

«وكتب في نكبة نيسابور وواليها حسام الدولة أبي بكر

ابن عبدوس بعض عدول نيسابور» :

وصلت الرسالة التي كل الرسائل دونها في الكتبة * كما أن كل كاتب دون
كاتبها في الرتبة * ووافقت مني قلباً معموراً بل خرباً بالهم * وجسماً معضلاً
بل مكدوداً بالسقم * فشنت القلب حتى نسي همه * والجسم حتى طلق
سقمه * وإذا صدرت الموعظة من قلب سليم * ولسان حكيم * وردت
على أذن واعية * وعين كاثئة * وإذا عرف الطبيب الداء * عرف
الدواء * ولئن كانت الأيام سلبتني من المال علقاً خطيراً * لقد أبقت لي
منك عوضاً كبيراً * ولئن كانت صادرتني على ثوب يبلى * ودرهم يسلى
لقد وهبت لي من مودتك ما لا يبلى إذا أستعمل * ولا يصدأ إذا أهمل *
ولا يفنى إذا بذل * ولا يخلق إذا ابتذل * على أي قد تعودت ضربات
الزمان حتى صارت لا توجعني * والنت صواعقه ورواعده حتى صارت
وإن قربت مني لا تسمعني * ونكبت حتى ما أبكي لنكبة * وفرحت حتى
ما أضحكك لفرحة * ولقد :

| | |
|--------------------------|-------------------------|
| رماني الدهر بالارزاء حتى | فؤادي في غشاء من نبال |
| فصرت إذا أصابتني سهام | تكسرت النصال على النصال |

فها أنا الجريح المقطع * والفود المرقع * والغرض الذي رمى حتى دمي
وضرب حتى نقب وأصابته السهام حتى لا يتوجع لها * ولا يحس بها * وطالما

أرادت الأيام أن تحركني فوجدت بحمد الله صنجة راجحة ونفساً متماسكة
وقلباً لا تقلبه السراء ولا الضراء * ولا يغيره الدواء ولا الداء * ولقد أقبلت
الأيام علي فما استقبلتها فرحاً ومرحاً * وأدبرت عني فما شيعتها جزعاً ولا
هلعاً * ولبست لكل حال لبوساً * أما نعيماً وإما بوساً * ومما أحمد الله
تعالى عليه أن هذه الواقعة لم تثلم قدري * وإن كانت ثلمت وفري * ولا
حلت عقد صبري وعزائي * وإن كانت حلت عقد ملكي وثرائي * واني
أصبحت يوم اجتماع جيشها علي * وزحوف عساكرها إلي * والوجه
طلق * واللسان ذرب ذلق * واللون مضيء مشرق * والقلب متماسك
متمالك * ومدد الصبر متقاطر متدارك * لم ألاحظ الفاتت بعين تدمع *
ولم أقابل النازل بنفس تهلع * ولا عثر لساني ولا قلبي في ميدان كلام *
ولا قصر همي ولا همتي عن غرض في مرام * ذكرت أيدك الله سلفي
رحمهم الله تعالى وإنك بقيتي منهم * ومذكري بهم * ومسلي قلبي عنهم
وصديق الوالد والد وإن لم يلد * وترب الولد ولد وإن لم يولد * ومن
صادق أحمأ ولم يصادق أباه فانما أخذه أبتـر الذنب * مجهول الأصل والنسب
ومن صادق قبله سلفه فقد ضم على الحبل يديه * من كلا طرفيه * وعرف
صديقه من جانيه * رحم الله تعالى أولئك القوم الذين :

ورثت سيوفهم وبقيت فرداً وما نفع السيوف بلا رجال

فلقد فجعت منهم بخير سلف * وورثتهم خير خلف * أطال الله تعالى
بقائك على حالة أرضها لك وأرضاك فيها * ولا أستزيدك عايتها * وهذا
الدعاء محال فاني لو رأيتك امتطيت السماكين وانتعلت الفرقدين * وملكـت
الخافقين واستعبدت الثقيلين * وتناولت الشمس والقمر بيديني * ووطئت
الفلك برجليني * ما بلغت ما أريد * وكنت أستزيد وأستعيد *

«وكتب إلى أبي الحسن بن عبد العزيز قاضي جرجان

وقد خرج منها» :

فإنك قد ودعت نجداً وأهله فما عهد نجد عندنا بلذيم

جميع ما حصل لي بهذه الحضرة من تنزيل وإنزال * ومن إقبال علي وإنثيال
ومن قول جميل وفعال * فأنما فعل بي * واتفق لي * لاحسان الوزير
كان إلي * وتوفره كان علي * وبذله لي الرغائب التي لا تسمح بها الأنفس
مثله ولا تزل إلا عن مثل يده فهو الذي قومي قيمة صارت لي بين المملوك قيمة
عدل * وقضي لي بشهادة أصبحت في العباد والبلاد قضاء فصل * ونظر
إلى أهل هذه الحضرة بعينه * ووزنوني بمثل وزنه * ووضعوني في الكفة
التي وضعني فيها * وأهلوني للمرتبة التي أهلني لها * وعلموا أنه الحاكم الذي
لا تنقض حكومته * والشاهد الذي لا تجرح شهادته * والرجل الذي لا خيار
مع قوله ولا نظر مع أمره * ولا خلاف عليه * ولا رجوع إلا إليه *
وإنه لا يشتري من المتاع إلا ما يخرج من نار الاختبار صريحاً صحيحاً * ولا
يرضى من القдах إلا ما يخرج من كف المجيل معلى لا منيعاً * فضرَبوا على
سبيكته * وسلَكوا في طريقته * ونسجوا على منواله * وحذوا على مثاله
فوصل إلى نواله * وإن كان لم يصل إلى ماله * وحصل لي بره * وإن
لم يخرج به أمره * وشيعتني بركات محضرته بعيداً عنها * كما كانت
تستقبلني وتكتنفي قريباً منها * فكل جميل أطرفته فندوب إليه * وكل
خير رزقه فمن آثار لسانه ويديه :

إن تبوأ غير دنيائي داراً وأتاني نيل فأنت المنيل

وإنما المملوك شعراء يتناقضون فعلاً لا قولاً * وفرسان يتسابقون أنفسهم لا خيلاً

فالحمد لله الذي جعلني أفارق تلك الحضرة فلا تفارقي عوائد فضلها * ولا
 ينحسر عني نصيبي من ظلها * وإياه أسأل أن يطيل بقاء الوزير على حالة
 أرضها له فوالله ما أرضى له الأرض خطة * ولا السماء ظلة * ولا الدنيا
 خزانة ولا الشمس طلعة ولا الدهر خادماً ولا الفلك حاجباً ولا السعد رسولا
 ولا السيف قلماً وان يحرس على الدين جماله * ويبلغه في الدارين آماله *

* * *

«وكتب إلى بعض اصدقائه» :

كتابي وقد كنت أحب أن ينظر سيدي إلي وقد لبست جمال هذه الدولة
 وتشربت حالي ماء هذه الحضرة ورفعت طرفاً طالما غرضته * وبسطت باعاً
 طالما قبضته * فيعلم سيدي ان غراسه قد أثمر * ومراده قد تيسر * وإن
 علاجه حالي قد هزم الباء * وجلب الشفاء * بعدما أعيا الأطباء * وغلب
 الدواء * فان فرح الطبيب بعافية المريض أشد من فرح كل أخ قريب * وكل
 حميم وحبيب * الآن حين انقطعت عن الملوك وأبوابهم فقد كان لي عذر في
 ورود النهر * قبل ورود البحر * وفي الاجتزاء بالتيمة قبل وجود المساء
 الظهور * وعهد سيدي بي وانا ارتاد غير ارضي * وارتع في غير روضي *
 واطلب الرزق خارجاً من داري فالآن قد نزعنا تلك الثياب * واغلقتنا ذلك
 الباب * ونسخنا ذلك الكتاب :

و كنت زبيريا فاصبحت شيعة لمروان وارتد الهوى لابن بحدل
 هذا وقد انثال علي من الخير بينه الحضرة ما ترك بياني حسيرا * ولساني

قصيرا * والنعمة اذا زادت على الوظيفة مسكنة * والسرور اذا افراط مقطعة
ومسكنة * والناطق اذا تحير ابكم * والشاعر اذا خرج عن مقدار استحقاقه
مفحم * فلا زال السيد يبتدع برا * ويقصد بقوله وفعله خيرا * ويكفيه
شرا * ونصره الله تعالى على دهره * فانه لثيم ظفره * قبيح في الاحرار
اثره *

* * *

« وكتب بعد محنته ورجوعه إلى خراسان إلى كاتب خوارزم
شاه وقد نكب : »

كتابي وانا بين محنة قد ادبرت * ونعمة قد اقبلت * وولي قد ملك * وعلو
قد هلك * والحمد لله الذي ابتلى ثم ابلى فانعم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
الاكرمين ورد كتابك ولبت اقول غني وامني * بل اقول اعماني واصمني
تذكر انك امتحنت وانت بريء * ونكبت وانت محسن لا مسيء * واي
ذنب اعظم من ان تشكر بالفضل اهل النقص واي جرم اشنع من ان تنزل
بالفهم فيما بين طبقات اهل الجهل وما للطائر الكبير والقفص الصغير وما بال الدرة
اليتمية * ترضى بالصادقة اللثيمة * وانما الادب جناح فهلا طرت به من الوكر
الصغير * الى الوكر الكبير * وهلا اذ كملت آلتك * انتجعت بها مكانا تكمل
فيه حالتك * وما نزلت بك هذه النازلة الا ليقهلك بها السعد من يد النحس من
تلك البقعة الناقصة اهلا * المنيبة جهلا * فابشر ولا تنهم الله تعالى في مصالح
خلقه * ولا تقنط من رزقه * فانه انما يرتاب المبالغون * ولا ييأس من روح
الله الا القوم الكافرون * واياك ان تقل هذه الحادثة غربك * او تكسر جدك *

او تضرع خدك * او تثلم ركنك * او تسيء بالله تعالى ظنك * فأنما كانت
صاعقة احرقت ثوبك * ومست بعضك * وسلم الله وله الحمد منها روحك
وصان فيها لسانك وقلبك * ووراءك الدهر الطويل * وخلقتك صنع الله
الجميل * ووعدك بجميل صنعه كفيل * وقد خرجت الى الدهر * من نوبة
العسر * فهو غريمك الآن في اليسر * واذا رأى جلاذك على وقع سهاه *
وصلابتك على تصريح ايامه * جاءك معتذرا * وهرب اليك مستترا * واسا
في اليمنى ما جرح باليسرى * ووزن عليك بالسجدة الكبرى * ما اترن منك
بالسجدة الصغرى * فانظروا الفرج فانه منتظر * واصبر فان الدهر لا يصبر *

* * *

« وكتب إلى أبي محمد عبد الرحمن بن أحمد من نيسابور » :

كتبت الى الشيخ من داره التي طالما تصرف بها على امره ونهيه * وتقلبت
فيها بين افضاله وفضله * وحالي ببركته تعلقني بذيل الدولة السامية * وانتماني
الى الحضرة العالية * عن يميني السلامة وعن يساري العافية * ولا تزال كتبي
ترد على الشيخ بكلام ان لم تكن في ادنى طبقات الجودة * كانت في اول
طبقات الرداءة * وإنما يروي الناس أحد النكلامين * ويتمسكون في الرواية
بأحد الطرفين * فأما حسن جيد معجب * وإما رديء معجب * ولقد
أولاني الشيخ من الصنع العليم * ومن الإحسان الحادث والقديم * ما تركني
أهذي بمدحه * وأحتلم بوجهه * وأتصبح باسمه وأتفاعل بذكره *
واحتلم بزرع الشعر بذكر بره * وابن أمتعين على شكر تلك النعمة * ولا
أمسك بيدي طرف تلك الخدمة * بمثل الاعتراف بالتقصير من الواجب *

والقصور عن إداء الواجب * وإنما النعمة مطية شروء ولن ترتبط بمثل الشكر
ولن تنفر بمثل الكفر * وإنما الشيخ أب بر وأهل الأدب أبناؤه * وسمسار
كبير وطبقات أهل العلم والفضل حرفاؤه * فمن أحسن إلى أحدهم فانما
أحسن إليه * وأفضل عليه * واستحق المكافأة من لسانه ويديه * وليشكر
عنا أهل الصنعة إذا أحسن بنا * وليعلم أنه قد حصل له ما حصل لنا * وقد
أحسن إلى فلان في كذا والشيخ هو الذي مهد لي عنده موضعي * وسهل لي
مسلكي * ووطأ لي في تلك الحضرة لساناً * وأقام لي بها ميزاناً * لا زال
الشيخ راكباً كاهل الدهر * محكماً في الخير والشر * تخدمه الأنعام بل
الأيام * وترجوه الكرام كما تخافه اللئام * وتعشقه السلامة والسلام *

* * *

«وكتب إلى أبي منصور كثير بن أحمد» :

كتبت إلى الشيخ من داره التي ما ينغصها علي إلا بعده عنها * وخلوها منه
وقد كثرت كتبي إليه كثرة نعمه علي * وتواترت تواتر اياديه إلي *
وعهدي بتفضل الشيخ يسلك طريق الابتداء والطريق محرم فكيف صار الآن
لا يسلك طريق المكافأة والطريق معبد قد سمع الشيخ أخباري بالحضرة وأنا
أكملت بالصاع الاوفى وأترنت بالسنجة الكبرى * ضعف ما كنت وزنت
بالسنجة الصغرى * واسترجعت باليمن ما كنت أعطيت باليسرى * وفلان
قد وصلت إلى بركات اتصالي به وأنا في غير حضرته * وأخذت ماله وإن
لم يخرج من خزائنه * واستغفر الله من حظي الدنيا كلها حضرته * والناس
بأجمعهم رعيته * والماوك بأسرهم شيعة * والأحرار عياله وحاشيته *

فَأَمَّا أَعْدَاؤُهُ فَرَحَنومُونَ مِنْ أَلَمِ الْحَسَدِ * وَمَقْتُولُونَ بِسَيْفِ الْغَمِّ وَالْيَكْمَدِ *
 سَكَوتُهُ أَفْصَحُ مِنْ كَلَامِهِمْ * وَمَنْعُهُ أَنْدَى مِنْ نَوَاهِمِ * وَحِجَابُهُ أَحْلَى مِنْ
 لِقَائِهِمْ * وَعَبْوسُهُ أَحْسَنُ مِنْ ابْتِسَامِهِمْ * وَغَضْبُهُ أَنْفَعُ مِنْ رِضَائِهِمْ *
 وَيَسْرَادُ أَسَدٍ مِنْ يَمْنَاهِمِ * وَبَحْلُهُ أَفْضَلُ مِنْ عَطَايَاهِمِ

* * *

« وكتب إلى أبي القاسم المزني وقد صالح أخاه » :

كُتِبَ بِي وَأَنَا الشَّيْخُ بَارِعَتِيكَ كَانَ طَارَ عَنْ أَهْلِهِ * وَفَرَعَ عَمِيمٌ كَانَ انْقَطَعَ
 مِنْ أَصْلِهِ * فَرَدَّتْهُ أَيَّامُ السَّعَادَةِ إِلَى بَيْتِهِ * وَضُمَّتْ إِتِّفَاقَاتُ الْإِقْبَالِ بَعْضُهُ
 إِلَى بَعْضِهِ * وَنَعِمَ الْمَعْلَمُ لِلدَّوْلَةِ وَنَعِمَ الدَّلِيلُ لِلسَّعْدِ وَالسَّعَادَةُ وَأَنَا أَعْرِفُ
 الشَّيْخَ مَعْرِفَةً يَقِينٍ وَغَيْرِي يَعْرِفُهُ مَعْرِفَةً ظَنٍّ * وَأَنْظُرُ إِلَيْهِ بِعَيْنَيْنِ وَسِوَايَ يَنْظُرُ
 إِلَيْهِ بِعَيْنٍ * وَالرِّجَالُ كَثِيرٌ وَلَكِنَّهُمْ قَلِيلٌ * وَالذَّهْرُ بِأَشْخَاصِهِمْ جَوَادٌ
 وَبِحَقَائِقِهِمْ بَخِيلٌ * وَقَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنِّي إِذَا هَرَبْتُ مِنْ نِعْمَتِهِ عَلَيَّ *
 وَانْهَزِمْتُ مِنْ عَسَاكِرِ إِحْسَانِهِ إِلَى خِفَتِ رَقَبَتِي مِنْ طَوْقِ صَنَائِعِهِ * وَخَلْتُ
 يَدِي مِنْ بَعْضِ وَدَائِعِهِ * وَتَنَفَّسْتُ إِلَى الْفَرَاغِ مَدَّةً وَاسْتَرَحْتُ مِنْ تَوَاتُرِ الْأَعْيَاءِ
 وَتَنَاسَقِ النِّعَمَاءِ * وَلَوْ سَاعَةً وَاحِدَةً * فَإِذَا نِعْمَتُهُ لِي بِمِرْصَدٍ حَيْثُ كُنْتُ *
 وَعَلَى مَدْرَجَتِي أَيْنَمَا قَطَنْتُ أَوْ ظَعَنْتُ * أَهْرَبُ مِنْهَا وَتَتَبِعُنِي * وَأَرْحَلُ
 عَنْهَا وَتَشِيعُنِي * فَمِنْهَا الطَّلَبُ * وَمِنْهُ الْمَرْبُ * فَلَا عَدَمَتَهَا طَالِبًا * وَلَا
 زَلَّتْ مِنْهَا هَارِبًا * وَلَا زَالَ الشَّيْخُ يَسْتَقْبِلُ بِإِحْسَانِهِ كُلَّ نَازِلٍ * وَيَشِيعُ بِهِ
 كُلُّ رَاحِلٍ * وَأَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ عَلَى حَالَةٍ تَرْضِينِي لَهُ وَفِيهِ قَوَائِلُ مَا أَرْضَى لَهُ
 إِلَّا بِالرِّضَى * وَلَا أَنْزَلَ فِيهِ الْأَوْرَاءَ الْمَغَايَةَ الْقَصُوفَى * وَلَا أَسْتَغْظَمُ لَهُ مَلِكٌ

الدنيا ولا ملك الورى * ولا تزال كتب الشيخ ترد بما يحبي ميت مالي * بل
 ميت آمالي * وتطري خلق حالي * وترد الماء فيما نضب من جمالي *
 ولسان العناية ناطق ووسم الاحسان على الأحوال لائح * وطريق الجميل
 نهج واضح * وللشيخ صنائع في الناس أرجو أن لا أكون أعياهم لساناً *
 ولا أقصرهم بالشكر بيانا * ولا أسواهم لنعمته جوارا ولا أقلهم بأعبائها
 نهوضاً ومن كبر الانسان كبر شكره * ومن شرف الكلام شرف من رواه
 ونشره * وإنما السيد بطاعة عشيرته * والأمير بصلاح رعيته * والممدوح
 بالسنة شيعته *

* * *

«وكتب رحمه الله» :

طالت محنة فلان حتى كأن حبسه الأبد * الذي ليس له أمد * وكأن
 عطبه يوم القيامة الذي ليس له غد * وأني أكره للسيد أن يكون زحلي خطوة
 العفو جمادي حوكة الصفح لا ينحل عقده * ولا تتحامى عن فريسته يده *
 فان ذلك يقوي عزم عدوه على مقارعته * ويثلم رجاء وليه لمراجعته *
 ولعمري أن الاسير لكبير وأكبر من الأسير من أسره ثم أعتقه * وأشجع
 من الأسد من قيده ثم أطلقه *



« وكتب أيضاً » :

تركى مكاتبة الشيخ وهي معترضة لي غم وحسرة وإقدامي عليها قبل استطلاع رأيه فيها خرق وعجلة ولما اكتتفني الحلالان سلكت طريقة بينهما * متوسطة لهما * فاقصرت من الكتاب على الرقعة ومن التفصيل على الجملة فان أكن قد أحسنت فالقليل من الاحسان يقبل * وأن أكن أسأت فالقليل من الاساءة أمثل * موصل الرقعة فلان وهو تام في آله * ناقص في حالته * جديد ثوب الجمال * خلق ثوب الحال * حال من الأدب * عاطل من النشب وسبيله أن يوزن في كفة كماله * لا في كفة حاله *

* * *

« وكتب أيضاً » :

تأخر كتبك يا سيدي فطرق لسوء الظن طريقاً إلى وفائك * وفتح للتهمة باباً إلى اخالك * وأني لأكره الود يعمره التلاقي * ويخربه التناهي * وأبغض الصديق يضع مقاليد البغض والحب * في يدي البعد والقرب * وأنا الذي أصاب عهدك بعينه * وأفسدك بحسن ظنه * ويا عجباً للدهر كيف فطن لمحكك من قلبي * وكيف إطلع على غيبي * وما زال الدهر يترطس سهمه في كل شيء أحببته * ويعارضني في طريق كل مراد طلبته * حتى لو أحببت الموت لأبقياني ولو أردت الحرمان لأعطيني * ولو آثرت الفقر لأغناني * ولو عاديت الباطل لوالاه وعاداني ولقد :

عجبت للدهر في تصرفه وكل أفعال دهرنا عجب
يباين الدهر كل ذي أدب كأنما ناك أمه الأدب

* * *

« وكتب إلى أبي القاسم الحسن بن علي » :

قطع كتابي عن الشيخ لتصاريف الأحوال إليه * وتكون الأسفار والأطوار
إليه * لأنه كان مشغولا بكتائب الأعداء * عن كتب الأولياء *
وبمقارعة الأمراء * عن مطالعة الأدباء * والسيف أصدق أنباء من الكتب
فلا جرم أنه قد اسفرت آماله عن المساعي الغر * وعن الآثار الزهر *
وعن الفتح والنصر * فافترع مملكة طالما خطبت فما نكحت * وطلبت فما
وجدت * بكر فما افترعته كف حادثة * ولا ترقى إليها همة النوب
وبرزة الوجه قد أعيت رياضتها * كسرى وصدت صدوداً عن أبي كرب
وعلى قدر الهمة تكون مقادير الآثار * وفي دون القيمة يكون افتراع الابتكار
وشتان بين من افتض عذارى الجواري * وبين من افتض عذارى النواحي *
لا بل شتان بين من صارع مملوكه تحت اللحاف * وبين من صارع مملكة
تحت الرماح والأسياف * لا بل شتان بين من أفعاله ثيبة وطريقة مسلوكة قد
سبق إليها * وشورك فيها * وبين من :

ترفع عن عون المكارم قدره فما يفعل الفعلات إلا عذاريا

والشيخ أدام الله عزه على قضية فعله وشريطة فضله * ذو الكفاية للسبق
في الحلبتين * والتحلي بالحليتين * فهو فارس القلم واللسان * ثم رب
السيف والسنان *

قد كان يوم ندى بجودك باهرا حتى أضمنت إليه يوم ضراب
وبديهة أنت ابتدأت طريقها لولاك لم تكتب على الكتاب

والحمد لله تعالى الذي الحق زماننا بالأزمان * وإن فضل الزمان راجع إلى
فضل أهل الزمان * وعلى مقادير الأيام * تكون محاسن الأنام * وإن
ذكر أهل العراق في رجالهم الفضل بن سهل ذا الرياستين * وعلي بن سعيد
ذا القلمين * واسحق بن كنداج ذا السيفين * وصاعد بن مخلد ذا
الوزارتين * وقبلهم طاهر بن الحسين ذا اليمينين * ذكرنا ذا الكفائتين *
وزدنا عليهم للواحد إثنين * لأن أولئك إنما ضربوا بأسيا فهم والدنيا شابة
والخلافة مقبلة والأيام مساعدة والسعود قائمة * والنحوس نائمة * ونحن
دفعنا إلى زمان هرمت فيه الدولة وفترت الدعوة وكسدت السلعة وبطلت
الصنعة وضافت المملكة وكل التلم * وقل الدينار والدرهم *
وأنشدنا :

أتى الزمان بنوه في شببته فسرهم واتيناه على الهرم

وإنما الناس بالإحسان * والإحسان بالسلطان * والسلطان بالزمان *
والزمان بالامكان * والامكان على قدر الكيان :

وأنت عبيد الله أكبر همة وأكرم من فضل ويحيى وخالد

أولئك جادوا والزمان مساعد وقد جاد ذا والدهر غير مساعد

هناه الله تعالى بما أولاه * وبارك له فيما أعطاه * وأراه في أولاه واخراه *
وفيمن والاه وعاداه * ما يريد ويهواه * وآتاه مما يسمعه ويراه ما يقترحه
ويتمناه * وأراني فيه ما يرضاه وأرضاه * حتى أرى الدهر وهو عبده
ومولاه * والسيف يتبع مراده وهواه * والإقبال وهو يمسك طريق خطاه
والموت وهو سلاحه ويداه * يضي من أفناه * ويبقي من أبقاه * ويرى
في الآمال والآجال ما يراه * وأطال بقاءه * وجعلني فداءه *

* هذا وقد تناهى طبع هذه الرسائل * التي لم يبلغ شأوها في الفصاحة *
 * سحبان وائل * بل هو عندها أدنى من باقل * ولو ظهرت في أيامه لد إليها *
 * كف مستمد مائل * ولو كانت في عصر قيس بن ساعدة الأيادي لكان
 * لها عليه جميل الأيادي * فلعمري أنها نسخت ما تركت الأوائل *
 * كلمة لقائل * واحكمت كم ترك الأول للآخر * والماضي للغابر * فليكن
 * الأديب لها نعم الآخذ * وليعض عليها بالنواجذ * فانه يبلغ بها في صناعته
 * أشده * وتكون له في الانشاء * أوفر عده * وكان طبعها على هذا الوجه
 * الحسن * وتمثيلها في هذا القالب المستحسن * في مطبعة * الجوائب البهية
 * في القسطنطينية العلمية * وقد تم طبعها * وعم نشرها * في أوائل شهر شوال
 * من سنة ١٢٩٧ هجرية * على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام .



طبعَ هَذَا الْكِتَابُ عَلَى مَطَابِعِ
دَارِ مَكْتَبَةِ الْحَيَاةِ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ

بِـبُيُوتِ - شَارِعِ سُورِيَا

ص.ب. ١٣٩٠

تَلِفُون ٢٣١٩٣٠